صدفة

أمل صلاح -صدفة ، رواية

رقم الإيداع : ٢٠١٨/٩٨١٤ ISBN : 978-977-798-121-7

إن دار الحلم للنشر والتوزيع غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره ، وتعبر الآراء الواردة في هذا الكتاب عن آراء المؤلف ، ولا تعبر بالضرورة عن آراء الدار .
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للدار
ولا يجوز طبع أو إعادة استخدام أي جزء من العمل في أي صورة كانت
إلا بموجب موافقة خطية من الناشر .

© دار الحلم للنشر والتوزيع

عضو اتحاد الناشرين المصريين

القاهرة - جمهورية مصر العربية

Mob : 00201141824562

dar_el7elm@hotmail.com

info.darel7elm@Gmail.com

صدفة

رواية

أمل صلاح

الحلم للنشر و التوزيع

اهداء (١)

إلى تلك الـروح التي تملكتنـي فسـكنت قلبـي وغاصـت في أعماقـي .. لا اعلـم أي صدفـة تلـك التـي ألقـت بـك في طريقـي لتخرجنـي مـن عالمـي الغريـب لتدخلنـي إلى عالمـك الأغـرب ؛ لأرتـع فيـه مـا شـئت إلى حـين .

إلى تلـك النفـس التـي حملـت عنـي «قلمـي» ورتبـت لي « أوراقـي» ومنحتنـي فيضانـا مـن المشـاعر التـي لولاهـا مـا سـطرت حرفـا واحدا فانت شريك روايتي .

وصفتـك فيهـا كـما رآك قلبـي ، تحدثـت بلسـانك ، واختبـأت تحـت طيـات جلـدك ، وشـاطرتك الحـب بالحـب ، والشـوق بالشـوق ، وقلـت مـا عجـز لسـاني عـن البـوح بـه يومـا .

أهديـك « أيامنـا» ، و «مشـاعرنا» ، و «جنوننـا ولحظـات طيشـنا» ، وهـي كل مـا أسـتطيع أن امنحـك إيـاه .

فالحـب لا يكـون حبـا إلا أذا كان « ناقصـا» مفتقـدا لـروح المنطـق ، وجـلال العقـل والحكمـة ..

أمل صلاح

اهداء (٢)

إلى ابنتـي وشـبيهتي «ريـم» التـي شـجعتني عـلى كتابـة هـذه الروايـة وهمسـت في أذني «لا تـترددي وامسـكي بقلمـك ولا تتركيـه حتـى تسـكبي مـا لديـك مـن مشـاعر وعـبرات»

اهديـك عمـرا مـن الرضـا والمحبـة فقـد تجـاوزت بكلماتـك حـد الصعاب حتـى انتهيـت مـن أسـطورتي الصغـيرة « صدفـة» .

أمل صلاح

« عندما تجتاح جوانبك الدهشة ، وتتملكك الحيرة ، وتلمع عيناك
ببريق لم تعهده من قبل ، وتقف عاجزا أمام أسئلة عارية لا يسترها
سوى علامات استفهام ؛ فقد وطأت بقدميك أرض الحب ، فاخلع عنك
المنطق وانتزع منك العقل ثم عطر روحك بنسيمه واستبدل دقات قلبك
بنبضه»

أمل صلاح

صدفة

تمنت لو أن صوت مجفف الشعر ارتفع اكثر وأكثر حتى يعلو على صوت أفكارها .. فعقلها يشبه احتفالية دينية تُمارس فيها العديد من الطقوس في آن واحد كل على حسب عقيدته ومذهبه ، يُقلب الماضي على الحاضر وهو يسئل عن المستقبل كيف سيكون ؟

تستدعي أشخاصا من الذاكرة وتصنع ابطالا من الخيال ثم تترك لهم المجال للنقاش والخلاف داخل رأسها الصغير.

تغيرت كثيرا طوال السنوات الماضية وصارت أكثر هدوءا وتريثا ، واكتسبت قدرا من اللامبالاة كانت تفتقر إليه في سنوات شبابها الأولى ,الا أن شيئا لم تستطع الاربعون عاما الماضية من عمرها على تغيره وهو « قلبها» كانت تخفيه عن أعين الجميع ,بعيدا عن كل الأحداث والصراعات الحياتية اليومية .

انتهت من تجفيف شعرها ، رفعته الى أعلا بمشبك شعر «عاجي» اللون ، وضعت قليلا من الكريم المرطب الخاص بها ,وانطلقت في رحلتها اليومية داخل المنزل ، اعتادت أن تفعل كل شيء بنفسها,تهتم بكل التفاصيل الحياتية الصغيرة التي تخص زوجها وأولادها ، تستيقظ قبلهم وتجهز طعام الإفطار والشاي ,ثم توقظهم ، تتأكد من أن كل شيء يسير بنظام وحب ,تتأكد أيضا من مظهر الأولاد قبل انطلاقهم للمدرسة .

وعندما تغلق الباب خلفهم تُسرع لتلقي بنفسها تحت الماء وكأنها تأبى أن تلتصق بها أثار النوم فتوسمها بالكسل ، ومع الماء تذهب كل آثار الأمس ,لماذا تحتفظ بالأمس ؟ ان لم يكن جيدا فلا حاجة لها به.

تجفف شعرها وترفعه وتنظر في ساعتها .. عليها أن تبدأ كل يوم بإزالة أثار الفوضى التي تركوها على طاولة الطعام بالمطبخ أثناء تناولهم للإفطار وكذلك غرف نومهم ، تأكل ما بقي من حبيبات الذرة العالقة بالحليب في كوب احدى الأولاد ,تضع الاطباق في غسالة الصحون وتضغط زر التشغيل ، تهتم بترتيب مطبخها جيدا ,وتضع كل شيء في مكانه بنظام .

تنتقل الى غرف البيت الغرفة تلو الغرفة ، لقد حرصت ان يتم طلاء غرف الأولاد كلها بلون واحد «زهري» فاتح ، كما اختارت الأثاث أيضا ذا لون زهري أغمق كثيرا من درجة الطلاء وستائر ذات ألوان منقوشة ، تختلف غرفة الولدين عن غرفة اختهم ، فقد كان الولدان يميلان للألوان الفاتحة المبهجة ، وكذلك اختهم التي تصغرهم بعامين ، الا ان الفرق بين الغرفتين لم يكن بسبب الوان الحائط و الأثاث ولكن لطبيعة البنات المختلفة تماما عن الأولاد ، فكانت غرفة البنت تحكي حكاية « سندريلا» بأدوات زينتها واكسسواراتها وألعابها التي تحتفظ بها دوما ، في الوقت الذي

تحـكي فيـه غرفـة الأولاد حكايـة « صراع الوحـوش»
تنتهـي مـن ترتيب البيـت ثـم تدخـل الى المطبـخ مـرة أخـرى لكـن هـذه المرة لصنع كـوب القهـوة الخـاص بهـا ، جـزء مـن طقـوس يومهـا ,تسـتمتع بإعـداده كـما تسـتمتع بتذوقـه رغـم أنـه بـلا حليـب أوسـكر, تأخـذ كوبهـا وتنتقـل الى ركنهـا المفضـل في البيـت ، زاويـة صغـيرة في «صالـة المنـزل» هـي «عالمهـا الخـاص» ، طاولـة صغـيرة عليهـا جهـاز الكمبيوتـر المحمـول ، سـماعات الأذن الخاصـة بها,هاتفهـا المحمـول ، تمـارس في هـذه الزاويـة أحـب الأعـمال الى قلبهـا « الكتابـة».
تعشـق تلـك اللحظات التـي تلتقـي فيهـا اناملها بلوحـة المفاتيح,ترقـص اصابعهـا عـلى دقـات قلبهـا المتهافـت وصـوت الحـروف وهـي تظهـر أمامهـا برشـاقة عـلى شاشـة الحاسـوب .
أجـادت كل شيء فعلتـه لأنهـا أحبتـه ,أحبـت العمـل الـذي تقـوم بـه, وكانـت اذا أقبلـت عـلى عمـل ,غاصـت فيـه حتـى القـاع ، نسـيت نفسـها تمامـا في تفاصيلـه ,مرهـق مـا تقـوم بـه ,الا انـه بـدا لهـا دومـا ممتعـا .. عندمـا كانـت صغـيرة ,كانـت تلعـب بـكل طاقتهـا ,واذا مـا أقبلـت عـلى أحدهـم أقبلـت وكأنهـا تحمـل الدنيـا معهـا ..تنظـر للعـالم بعينـين واسـعتين رائعتـين ,تلهـث ضفيرتهـا خلفها,وتشـتعل وجنتاهـا بحمـرة النشـاط والحيويـة ,فترسـم صـورة لطفلـة « ملهمـة» كـما وصفهـا والدهـا يومـا قائـلا: انـت ملهمـة لمـن أجـاد النظـر اليـك
أحبـت والدهـا واعتبرتـه معلمهـا الأول والرئيـسي ,أول مـن علمهـا «حـب» القـراءة ,واسـتلهمها لتكتـب بعـض الخواطـر ,يدهـا مازالـت صغـيرة ,وعقلهـا لم ينفتـح عـلى العـالم بعـد ، الا أنهـا كانـت تسـتعد لمواجهـة العـالم ..
قربهـا والدهـا منـه ، جلـس اليهـا طويـلا ، رغـم انـه لم يفعـل ذلـك مـع بقيـة اخواتهـا ، وقـد استشـعر انهـم لا يمتلكـون حماسـتها ولا طاقتهـا .
وضعـت كـوب القهـوة عـلى طاولتهـا وسـحبت الكـرسي وجلسـت لتعزف

على لوحة المفاتيح كما اعتادت أن تعزف كل صباح ,وان تستغل فترة وجود الأبناء والزوج بالخارج فتترجم ما تستطيع ترجمته مستخدمة فيض مشاعرها قبل ما تحفظه وتتقنه من معاني ,لا تمل ولا تتعب ، فقد كانت الكتابة بالنسبة إليها «روح» «وحياة» أكثر منها مهنة ، ساعدها زوجها كثيرا كي تمارس ما تعشقه وتحبه ,بذل من ماله ووقته ,في المقابل لقد أعطته كل حياتها ، وعاشت «بطلة» في رواية نجاح حقيقية ساهمت في اعدادها ,لم تبخل عليه بمشاعرها ,ولا طاقتها وجهدها.
يبتسم دوما اذا رآها منكبة على عملها ، يعلم أنها تكتب لتبقى على قيد الحياة ..
رشفت قليلا من القهوة ، نظرت للاضاءة الخافتة فوق الطاولة, وكأنها تعكس ذكرى لا تنساها أبدا ,ذكرى تجربتها الأولى في الكتابة ,أخذتها الذكريات بعيدا عن الحاسوب وعن كوب القهوة وألقت بها هناك في بيت العائلة ..
«إن الذكريات تمنحنا ما تريده في الوقت الذي تريده وليس علينا إلا التسليم التام لمشاعرنا حينئذ»
كانت وقتها لا تزال في الصف الثالث المتوسط « الإعدادي» في احدى المناسبات العائلية ببيت «جدها» جلس الجميع بعد تناول الغذاء ، دارت زوجة عمها بأكواب الشاي على الحاضرين ، وقامت والدتها بتقديم أطباق الفاكهة ,تُعتبر هذه الغرفة بمثابة غرفة الاحتفالات و الاجتماعات المهمة ، وفي الأعياد والمناسبات يأتي أفراد العائلة من مدنهم المختلفة ليجتمعوا في بيت «العائلة».
كانت المرة الأولى التي ترى فيها « سعد» شاب وسيم تخرج من الجامعة منذ عدة سنوات ، يعيش في محافظة أخرى وكانت والدته لا تسمح له أن يأتي الى بيت جده في المناسبات وهو صغير حتى كبر وهو معتاد على ذلك ..

لم يُشارك «سعد» في معظم الاحاديث التي دارت بينهم في البداية,مما زاد فضولها نحوه ، لماذا لا يتكلم معنا ويشارك في الحوار ,هل هو مغرور متعجرف ؟ أم انطوائي ؟ شغل حيزا كبيرا من تفكيرها ، لا تدر لم تخيلته فارس الاحلام المنتظر ..

ثم بدأ يشارك في الحوار ,وكلما تكلم كلما ازداد في عينيها وسامه وازداد قلبها خفقانا ,وكأنه قادم لخطبتها وليس لزيارة العائلة فأصبحت وجنتاها تنافسان لون السجاد «القرمزي» الذي يغطي أرض الغرفة

تشعر انها تعرفه منذ عشرات السنين ، ثم تذكرت أن عمرها كله لم يتجاوز الرابعة عشر حتى الان..

حتى وقعت الكارثة كما سمتها ,يا فرحة لم تكتمل قد أخذها الوسيم وطار فعندما وقف ليُسلم علي الجميع وينصرف ، وهو على باب الغرفة خارجا قابله احد أبناء عمها قائلا: يا مرحبا بـ سعد ثم سأله وهو يبتسم ابتسامة ساخرة : هل لازلت ملحدا؟ ، نزلت العبارة على أذنها كالصاعقة..ملحد؟! أيكون الوسيم ملحدا؟! فارس أحلامها لا يعترف بوجود الله ؟

كانت تعتقد أن الملحدين يسكنون عوالم أخرى غير عالمهم ,لا يشبهون البشر ولا ينتمون لهم ,فإذا بها تجدهم أقرب ما يكون إليها ..

عادت لمنزلها مقهورة وما ان اختلت بنفسها في غرفتها حتى اخذت تبكي بحرقة ، وكأنها زوجة استلمت ورقة طلاقها على حين غرة .

احمرت عيناها وأنفها ، وخشيت أن يراها أحد على هذه الحالة, الا انها لا تنفك تسأل نفسها كل دقيقة وكأنها لا تصدق الوسيم «ملحدا» لا يعترف بوجود الله ؟

اعتدلت وجلست فوق السرير ,مسحت دموعها وأعلنت في نفسها انها لن تستسلم ولن تتركه لضلاله

ثم قامت إلى مكتبها فتحت أحد الأدراج أخرجت أوراقا وأقلاما....
« رائعة هي الحياة عندما تمنحنا قلوبا تستحق أن نبذل من أجلها»
وبـدأت تكتـب عـن « اللـه» عـن صفاتـه واسـمائه وكيـف أن الكـون لم يُخلـق عبثـا ولا همـلا ، مكتبهـا الصغـير اكتـظ بـالأوراق وكتـب التفسـير الموجـودة بالبيـت ، لم يكـن هنـاك انـتر نـت ولا جوجـل ليسـاعداها في معركتهـا ، كان عليهـا أن تخوضهـا وحدهـا وبـكل قـوة, غاصـت وسـط كومـة مـن الأوراق والكتـب تـشرح لـــ « سـعد» كي تـرده الى رشـده كتبـت كثـيرا حتـى تعبـت وكلـما دخلـت عليهـا أمهـا وهـي منكبـة عـلى أوراقهـا دعـت لهـا بالتوفيـق والنجـاح وسـألت اللـه ان تكـون ابنتهـا الأولى عـلى صفهـا ثـم تطلـب منـه أن يعطـي ابنتهـا عـلى قـدر تعبهـا..
نظـرت الى أمهـا متوسـلة ، وحدثـت نفسـها الا هـذه الدعـوة يـا أمـي, فـالام المسـكينة تظـن انهـا تجتهـد في دروسـها مـن ليلـة أمـس ولم يغمـض لهـا جفـن بسـبب العلـوم والرياضيـات ، ولا تـدري أن الوسـيم هـو مـن أيقظهـا مـن أمـس حتـى السـاعة.. فقـد أخـذ قلبهـا ونصـف عقلهـا بـل إنـه احتلهـا بالكامـل ، لا تـدري حتـى الآن لمـاذا قادتهـا الصدفـة إليـه ! تذكـرت اسـمها ، كـم تعشـقه..
طلبـت مـن أمهـا شـطيرة وبعـض الشـاي لعلهـا تسـتطيع الذهـاب الى المدرسـة ,كانـت قـد انتهـت مـن كتابـة رسـالتها البسـيطة كبسـاطة عقلهـا وقلبهـا في « أصـول التوحيـد والعقيـدة» مهـداة لـــ «سـعد» أو الوسـيم كـما تحـب أن تلقبـه.
والآن كيـف ترسـل رسـالتها إليـه ؟ ! انـه سـيغادر الى محافظتـه اليوم,وهـي تريـد ان تعطيهـا لـه قبـل سـفره ، فكـرت في أن تقـص عـلى والدهـا القصـة وتـشرح لـه الموضـوع الا انـه لـن يتفهـم موقفهـا وفي أحسـن الأحـوال سـيقول لهـا ، سـأتكلم أنـا معـه وهـي لا تريـد ذلـك .
طـوت الرسـالة ووضعتهـا في مظـروف و لم تكـن تعتقـد أبـدا أن رسـالتها

الغرامية الأولى ستكون أدلة شرعية من تفاسير القرطبي وابن كثير ، كانت تسمع من صديقاتها عن رسائلهم الغرامية وما فيها من كلمات رقيقة تمس القلب والمشاعر ، أغلقت المظروف وهي تُمني نفسها بان عودة فتاها للحق هي أقوى عندها من كل العبارات الغرامية..

ولكن لاتزال المشكلة قائمة من سيسلمه الرسالة قبل أن يغادر؟ ليس أمامها الا مزيدا من التضحيات ، ستُضحي بمبلغ لأختها الصغيرة كي تعطي الرسالة لـ « سعد « قبل أن يغادر .

نجحت الصغيرة في أن تصل للوسيم قبل أن يغادر بدقائق ,أعطتها له وقبل أن يفتح فمه بحرف كانت قد أطلقت ساقيها للريح .

وعادت الى اختها تبشرها بنجاح المهمة..

سألت أختها : هل فتح الرسالة؟

أجابتها : لا أدري

هل مزقها؟ فتجيب الأخت الصغرى لا أعلم

ماذا فعل بالرسالة ؟ تحاول أن تصل لا جابة تشفي صدرها إلا أن الصغيرة لم تمتلك أي اجابة على أي سؤال فقد كانت أسرع من قذيفة مرتدة

وبقي السؤال عاريا لا يستره سوى علامة استفهام ماذا فعل سعد بالرسالة ؟

« عندما تقف عاجزا أمام أسئلة عارية لا يسترها سوى علامات استفهام فأنت قد وطأت بقدميك أرض الحب فاخلع عنك المنطق وانتزع منك العقل ثم عطر روحك بنسيمه واملأ قلبك برحيقه»

لم تكن تدري وقتها انها انطلقت مبكرا الى عالم غريب يحمل أسئلة بلا أجوبة كما يحمل أيضا في طياته أمواجا من الحيرة تغرق أصحابه وفي ثناياه رياح تعصف بهم ، وأنهم يعيشون في هذا العالم يبكون من ألمهم تارة ومن نشوتهم تارة أخرى ، لايعرفون

سر دموعهـم ولا يقـدرون عـلى كشـف لغـز ابتسـاماتهم وضحكاتهـم الغامضـة ..

لقـد دخلـت صدفـة بالصدفـة للعـالم « المجنـون» الـذي يمنـح جنونـه لسـاكنيه بـلا مقابـل ..

« عندمـا يخفـق قلبـك فجـأة وتلمـع عينـاك بوميـض غريـب دون سـبب فهنيئـا لـك «الحب»

مـرت الأيـام لا تحمـل أي خـبر عـن الوسـيم ولا تجيـب عـن تسـاؤلاتها بخصـوص الرسـالة..

انهمكـت في أيامهـا ومدرسـتها ,تُشـاغب في الفصـل حينـا وتفتعـل المقالـب أحيانـا أخـرى ، يغضـب المعلمـون منهـا أحيانـا الا انهـا بمجـرد أن تطـل عليهـم بوجههـا الباسـم ينسـون غضبهـم منهـا ، كانوا يعشـقون طلتهـا ويطلقـون عليهـا لقـب « الفيلسـوفة» حتـى نـسي البعـض ان اسـمها « صدفـة»

كانـت تحـب اسـمها جـدا وان بـدا غريبـا للنـاس ، ولكنهـا كانـت تعتقـد أنـه جـزء مـن شـخصيتها ، وان الصدفـة سـتكون لاعبـا أساسـيا في أطـوار حياتهـا المختلفـة ، اعجبهـا أيضـا لقـب «فيلسـوفة»فبدت مختلفـة باسـمها ولقبهـا أيضـا ,وكأنهـا تعمـل عـلى «حصـد» الأسـماء والألقـاب التـي تطـلي حياتهـا بطـلاء العقـل ولم تكـن تـدري أن الطـلاء سـيكون يومـا مـا ثقيـلا عـلى أكتافهـا.

عـادت مـن المدرسـة ,دخلـت البيـت كالعاصفـة ، تحـكي كل مـا حـدث معهـا في اختبـار العلـوم وتـأكل كل مـا تقابلـه أمامهـا أثنـاء وقوفهـا مـع أمهـا في المطبـخ ,وتـشرح لهـا كيـف أبدعـت في الإجابـات واتقنـت الرسـومات ، رغـم أن الشـكل الثالثالمعلمة حذفتـه المعلمـة مـن المنهج، الا انهـا لم تثـق كثـيرا في مـا قالتـه المعلمـة لذلـك تمكنـت مـن حـل السـؤال..

تـأكل وتتكلـم في آن واحـد ، دق هاتـف المنـزل ، انطلقـت كالصـاروخ

لتجيب عليه التقطت السماعة «الو»
كان هو «الوسيم» سألها :كيف حالك يا صدفة
وقعت السماعة على الأرض ,التقطتها سريعا ، تريد ان ترد ، الا أن بقايا الطعام وقفت في حلقها ، تريد أن تبتلعها
قالت : بخير ،,الا ان الصوت لم يخرج
كررت : بخير لكن الصوت لا يصل اليه فالطعام محشور في حلقها
رفعت نبرة صوتها أكثر وضغطت على أحبالها الصوتية أكثر : «بخير « فخرج الصوت حادا كصفير قطار لعبة يمشي على قضبان بلاستيكية
قال : قرأت رسالتك
حقا ؟ قالت في نفسها و قد احمر وجهها خجلا
أكمل : لابد أن اناقشك في عدة نقاط لا أفهمها ، فأرجو أن تخبريني بالوقت المناسب لنتحدث حولها
أجابتك بعد الانتهاء من الاختبارات
قال : اذا اتفقنا
وضعت السماعة مكانها الا ان قلبها لم يعد مكانه ، كان يطير في أنحاء المنزل وهي تركض خلفه ,وتحدث نفسها ، لم يمزق الرسالة, لم يهملها ، قرأها ويطلب منها ان تكلمه ، اذا يهتم بها ، هل يراها فتاة أحلامه أيضا ؟ سألت نفسها هذا السؤال ثم هرعت إلى غرفتها كي تذاكر بسرعة لعلها تنتهي من الاختبارات سريعا ، علي أن أتضرع الى الله أن تمر الأيام سريعا .
عادت لدروسها واجتهادها ,كانت تعمل بجد لتنال بحق شرف لقب « فيلسوفة « الا أن صوته من وقت لآخر وهو يكلمها يمر في خاطرها فيخفق قلبها ، كان لصوته نبرة مميزة تخترق القلب وتستقر داخله
انتهت من اختباراتها وفي طريق عودتها كان صديقاتها يرتبن لخروج

بعد الظهيرة احتفالا بانتهاء الاختبارات وانتهاء المرحلة الإعدادية بكاملها ، اما هي فقد كانت تفكر فيه ,هل ستطلبه لتخبره انها انتهت من دراستها ؟ لأنه لا يعلم متى ستنتهي وليس عليه أن يُخمن ذلك ، الا أنها متحرجة من ان تبدأ.
لم يكن أمامها الا ان تترك التفكير جانبا وتشارك صديقاتها في الترتيب لليوم ، وعليها أيضا أن تُشاهد فيلما في العاشرة مساء ثم تقرأ رواية اشترتها من فترة وتركتها لهذا اليوم..

دخلت البيت فرحة منطلقة كعادتها ، وقفت تشارك أمها في اعداد « السلطة» وتأكل قطع الجزر والخيار التي تقطعها, وأخبرت أمها عن خطتها لهذا اليوم وما ستفعله ، الا أنها تناولت طعامها وراحت في سبات عميق ,نامت لوقت طويل ، انهكتها أيام الدراسة والسهر للمراجعة وكذلك التفكير في فتاها الوسيم
لم تستيقظ الا في وقت متأخر من الليل ، كادت أن تبكي وقررت أن تلوم أمها ، لم تركتها نائمة ؟ فاتها الخروج وكذلك الفيلم ، دخلت المطبخ وأعدت لنفسها شطيرة وعصير ، وأخذت تأكلها بغيظ ، واتجهت الى حيث وضعت الرواية ,لم يعد أمامها غيرها..
اخذت الرواية واتجهت حيث مقعدها في الشرفة ، تحب غرفتها وترتبها بعناية ,رغم أن اختها الأكبر منها تشاركها نفس الغرفة الا أنها تشعر أنها مملكتها الخاصة ، لم تزعجها اختها أبدا فقد كانت لكل واحدة ميولها وطباعها الخاصة بها ، نظرت الى اختها وهي تغط في نوم عميق ,وشعرت بالاسى تجاهها فقد كانت في اخر سنة في المرحلة الثانوية ، وعليها أن تذاكر بجد لدخول الجامعة .
رفعت الستارة المنقوشة بألوان البحر والسماء ، وأضاءت مصباحها الخافت ، في كل مرحلة من مراحل حياتها صاحبها فيها مصباح خافت ، وكأنه جزء خفي من نسيجها لا يلمع ضوئه الا عندما

تكـون وحدهـا..

جلسـت عـلى الكـرسي ومـازال العصـير في يدهـا والشـطيرة في اليـد الأخـرى والروايـة موضوعـة عـلى حـرف النافـذة ، دق الهاتـف محطـما سـياج الصمـت المحيـط بهـا فأسرعـت اليـه ورفعـت السـماعة..

كان هـو ، الا أن بقيـة مـن الشـطيرة كانـت لا تـزال في حلقهـا ، للمـرة الثانيـة أحسـت بالإحراجفـماذا سـيقول عنهـا ؟ لا تتوقـف عـن الأكل ولـو للحظـات تـرد فيهـا عـلى الهاتـف..

سـألها عـن أحوالهـا ، قلبهـا يـدق ، تخـشى أن يسـمعه عـلى الطـرف الآخـر..

أجابت بخير

سألها : هل كتبت الرسالة كلها بنفسك ؟

- نعم أنا من كتبها

كان صوتـه يخترقهـا يُذيـب فؤادهـا ، أراد أن يأخذهـا في الـكلام بعيـدا عـن الرسـالة ومـا فيهـا الا انـه كان كبـيرا وناضجـا كفايـة ليعلـم كيـف يبـدأ معهـا خاصـة أن عمـره ضعـف عمرهـا تقريبـا .. لم يكـن يعلـم الـسر وراء سـعيه للحديـث معهـا ، لم تلفـت انتباهـه حـين كان جالسـا في غرفـة جـده مـع العائلـة ، لكـن عندمـا ألقـت أختهـا الصغـيرة الرسـالة في وجهـه و قالـت : هـذه مـن صدفـة

عندهـا قفـز الى ذاكرتـه تلـك البنـت ذات الضفـيرة والعيـون الواسـعة التـي جلسـت ترمقـه مـن وقـت لأخـر حـين يتكلـم ، تبعـثر نظراتهـا حولـه أحيانـا وتسـتقر في أعماقـه أحيانـا أخـرى.

لم يفتـح الرسـالة سريعـا ، كان هادئـا جـدا الى درجـة يصفهـا المقربـون منـه بالـبرود ، مغـرورا بعـض الـشيء ، معتـدا بنفسـه واثقـا فيهـا الى ابعـد الحـدود ، كان والـده موظفـا كبـيرا بـوزارة الميـاه اسـتطاع أن يجـد لـه وظيفـة مناسـبة بعـد تخرجـه ، لم يقـرر أن يتـزوج بعـد لأنـه لم يجـد الفتـاة المناسـبة لـه .

اعتبره البعض زوجا مناسبا « عائلة كبيرة ووظيفة مضمونه,وسيم الى حد ما» سعى بعض الأقارب في محاولة للدفع به نحو الزواج الا ان كل المحاولات باءت بالفشل ، فهو يرى نفسه أكبر من الجميع، ولعل تفكيره كان سببا في الحاده وشططه ، وهذا ما توقعته صدفة فقد رأت في قلبه ما لم يره أحد وفي نظراته ما لم ينتبه لها أحد ، أن قلبه سليم على ما اعتقدت ، لذلك قررت بينها وبين نفسها أن تتولى هذه المهمة الشاقة ، ولم تنكر أيضا أنه استحوذ على قلبها بنظرة واحدة في بيت جدها ، تمنت بينها وبين نفسها أن يكون الوسيم فارسها المنتظر .

كان قليل الكلام بشكل كبير ,لا يتكلم الا بعد أن يفكر جيدا ,ثم يبدأ بإعداد نبرة الصوت قبل الكلام ، يُشعرك أحيانا أنه يُجري عملية جراحية بالحنجرة قبل أن يتلفظ بعدة كلمات .

طويل إلى حد ما ، نحيف ,أسمر ، ذو شعر أسود ناعم مرتب بعناية ، ملابسه أنيقة ,ورائحته توحي لمن حوله أنه خرج من حمامه للتو نظيفا رائعا .

أمسك الرسالة وحاول أن يتوقع ما فيها ,توقع كل شيء الا ما وجده مكتوبا فيها ، ولعل ذلك ما أثار فضوله .

أول مرة يناقشه أحد في هذا الشأن بل ,رأت بعض زميلاته في العمل وزميلات الدراسة أن كونه ملحدا هذا أمر خاصا به ولم تحاول أحداهن رغم كبر اعمارهن أن تناقشه في ذلك ، بل اعتبرته احداهن متميزا كونه ملحدا .

الا ان هذه الصغيرة لم يمر عليها الأمر مرور الكرام ، قرر أن يستجيب لفضوله ، واعتبر نفسه يتحدث مع طفلة صغيرة ، لو تزوج مبكرا لأنجب في مثل عمرها أو أقل قليلا ، فلا بأس من بعض «السمر» .

سألها مرة أخرى : الرسالة من وجهة نظري أخذت وقتا وجهدا ,فلماذا؟

كان يريـد أن يسـمع منهـا مـا يُـرضي غـروره ، وتوقـع أنهـا لصغـر سـنها ستنبهر بـه ._: شعرت بمسؤولية تجاه الأمـر.
جاءت الإجابة غير متوقعة بالنسبة اليه .
سألها مرة أخرى : كيف ؟ اشرحي لي ..
كان قليـل الـكلام ، الا انـه وجدهـا أقـل منـه كلامـا وتجيـب بكلمـة أو اثنـين تـؤدي الغـرض وتصمـت ,فيضطـر هـو لمواصلـة الحديـث ، هـل ستنجح هـذه الصغـيرة في تغـير طباعـه سـأل نفسـه ,إلا أنـه ابتسـم قائـلا في سره ، ان طفلـة في مثـل هـذا العمـر قرويـة سـاذجة أقـل مـن ان تـترك لديـه مجـرد انطباعـا مميـزا .
قالـت : ظننـت انـك لا تعلـم فرأيـت أن أجلـب لـك المعلومـة الى حيـث تكـون .
كان يتوقـع حديثـا مختلفـا وطفلـة صغـيرة تخـبره انهـا شـغوفة بـه ، وأنـه أعجبهـا مـن اول نظـرة ولا مانـع ان تقـول لـه أردت أن تكـون «مسـلما» كي نتـزوج الا أن شـيئا مـن هـذا لم يحـدث .
صمتـت وصمـت لبرهـة ، لكـن شـيئا مـا يدفعـه للمواصلـة ، قـال موجههـا لهـا سـؤال : مـاذا تعلمـين عنـي ؟
أجابـت بـكل بـراءة : لا شيء غـير ان والدتـك كانـت تمنعـك مـن المجـيء الى بيـت جـدي كي لا تتسـخ ملابسـك .
ضحـك لبراءتهـا الا ان كلماتهـا جـاءت كصفعـة مدويـة ، لمـاذا لم تحـاول أن تعلـم عنـه شـيئا ,أو تسـأل أحـد ا مـا ؟
أكمل حديثه : بعد ان أرسلتِ رسالتك ماذا توقعتِ ؟
أجابـت بـبراءة أكـثر مـن ذي قبـل : فكـرت في أن تكـون مزقتهـا لكـن نسـيت الأمـر سريعـا فلقـد كنـت مشـغولة بـدروسي .
سـأل نفسـه هـل هـي بهـذه الـبراءة أم أنهـا طفلـة مخادعـة ,فهـي تجيـب اجابـات سريعـة محـددة لسـؤالي لا تحتمـل أن نواصـل الـكلام أكـثر ، فهـل لا تريـد أن تتكـلم معـي أم أنهـا تلفـت نظـري بإجاباتهـا ؟

الا انـه سريعـا رفـض احتـمال كونهـا مخادعـة فقـد كانـت براءتهـا وهـي تتحـدث تـترك أثـارا غريبـة في نفسـه لكنهـا محببـة ، يريـد أن ينهـي الحـوار معهـا الا ان شـيئا قويـا يدفعـه للمواصلـة يريـد أن يتكلـم ، هـو الـذي يسـتجديه النـاس كي يتكلـم ,يريـد الان الا يتوقـف عـن الـكلام أبـدا !!

وكأن لسـانه ظـل حبيسـا طـوال سـنوات عمـره الماضيـة ، والآن نـال حريتـه ، بـل كان يريـد أن يعـود بالزمـان للخلـف ويتحـدث معهـا وهـو يراهـا ، كيـف ضاعـت منـه مثـل هـذه الفرصـة ، لماذا لم ينتبـه لهـذه الصغـيرة وقتهـا كي يتكلـم معهـا ؟

« إن الأيـام التـي تمـضي لا تعـود مهـما اسـتحلفناها وتوسـلنا إليهـا... تمـضي نحـو النهايـة وهـي لا تلتفـت إلى بكاءنـا وأصواتنـا المتقطعـة ترجوهـا أن تتمهـل ولـو قليـلا»

وجه حديثه بعيدا عن الرسالة وبدأ يسالها عن خططها للإجازة؟

انطلقـت تجيبـه أيضـا فقـد كان الحديـث محببـا لهـا ، أخبرتـه عـن خطتهـا وعـن سـفرهما بعـد شـهر لأحـد المصايـف وعـن مجموعـة الروايـات التـي سـتقرأها وتعلـق تعليقـات مضحكـة فيضحـك بشـدة, لم ينتبهـا للوقـت حتـى سـمعت أذان الفجـر.

أخبرته أن عليها أن تنهي المكالمة ، فسألها : هل ستتصلين بي في الغد ؟

لا يعلـم لم سـألها ولا يـدري لم يريـد أن يكلمهـا مـرة ثانيـة ، ومـا الـذي قـد يربـط بـين طفلـة صغـيرة لم تتجـاوز الرابعـة عـشر وشـاب تجـاوز الثلاثـون مـن عمـره ؟

ردت على سؤاله بسؤال : هل تريد ذلك؟

أجـاب مسرعـا فقـد كان يسـأل نفسـه طـوال المكالمـة نفـس السـؤال: «نعـم» أريـد .

اذا سأتصل بك في نفس الموعد تقريبا .

لا تـدري هـي أيضـا لماذا وافقـت ، بـررت لنفسـها أن الحديـث كان

عاما ومرحا ليس به ما يسئ اليها ولا اليه ، الا أنها سألت نفسها سؤالا : هل ستخبرين أحدا بشأن هذه المكالمة الليلية ، كانت تعلم الإجابة مسبقا ، لا لن أخبر أحدا ,لانهم ببساطة لن يتفهوا ذلك . أكملت ما بقي من شطيرتها وكوب العصير ، أدت صلاتها وتوجهت نحو السرير في هدوء فقد كان أهل البيت على وشك الاستيقاظ لصلاة الفجر أيضا ، سألت نفسها وهي مازالت تتقلب في فراشها : هل سيصلي الفجر ؟ أم أنه نام دون أن يصليه ؟

ظلت تفكر في الإجابة حتى راحت في النوم .

استيقظ في وقت متأخر فوجدت أمها جالسة في الصالة على « أريكة « كبيرة ,كستها بقماش «منقوش» وصنعت لها مساند كستها أيضا من نفس لون القماش

وغطت الأرض بسجادة ذات لون بني يوسطها «نقوش سوداء اللون «وستائر بدرجات اللون البني وفي الركن طاولة خشبية وضع عليها التلفاز ومزهرية بها عدة أزهار بلاستيكية .

جلست صدفة بجوار أمها التي كانت منهمكة في تنقية الأرز,وقبلتها من رأسها ,ابتسمت الأم وقالت : هل ستخرجين اليوم عوضا عن الأمس ؟

وفجأة تذكرت «سعد» ومكالمة أمس ومكالمة اليوم المنتظرة دق قلبها بقوة ، خشيت أن تسمع امها دقاته فتكشف سرها الصغير.

واجابت :سأتصل بـ «منى « وأقرر بعدها .

كانت منى صديقتها منذ المرحلة الابتدائية ,يشتركان في كثير من الاهتمامات والأفكار ,الا أن منى كانت تحب « الموسيقى» والغناء ومشاهدة التلفاز ليس لها أي ميول نحو القراءة كـ « صدفة» .

اتصلت على صديقتها وقررا أن يخرجا سويا ليشاهدان بعض المحلات ويشتريان بعض الملابس الجديدة التي تناسب « المصيف« .

انهمكت صدفة في ترتيب البيت مع أمها واعداد كعكة الشكولاتة

التي تعشقها وفي الوقت المحدد لخروجها مع صديقتها استأذنت والدتها وخرجت .
تحدثت مع منى في كل شيء الا «سعد» قررت الا تشارك أحدا هذا السر مهما كان
ستحفر بعيدا في أعماقها وتدفنه ثم تردم عليه بتراب الشوق ، ستضعه بين الجلد واللحم ، ستخفيه بعيدا عن الجميع ، سيرون فقط انعكاس صورته في عيونها و يلمحونه كطيف في ضحكاتها ، قد يشعرون به في حرارة دموعها ورغم كل ذلك ستبقيه سرها .
لم تكن في قمة انطلاقها فقد كان ذهنها مشوش جدا أثناء سيرها مع «منى» وتفقدها المحلات ,تمسك البضاعة بيديها تنظر إليها ولكنها لا تراها ,تفكر في المكالمة القادمة ,وتسأل نفسها هل ستكون الأخيرة أم ستكون البداية؟ وماذا يجب عليها أن تقوله وما الذي يجب عليها ألا تقوله ، وكيف تختار نبرة صوت لا تفضح مشاعرها ,وفي الوقت ذاته لا تجعلها تبدو كطفلة صغيرة ؟ أمور كثيرة تشغل بالها تأخذها بعيدا عن «منى»وعما تقوله .
«قلوب تلك التي نحملها بين ضلوعنا أم نجوم تضيء ليالي البعد وتهدي خطواتنا الحائرة ؟!»
تذرعت بأن والدها طلب منها العودة مبكرا ، فطلبت من «منى» ان يعودا الى البيت ، سارا في اتجاه البيت ، فهما يسكنان في نفس الشارع ,الا ان منى تسكن في وسطهو تسكن صدفة في آخره .
دخلت البيت وهي مازالت تُفكر ,جلست بجوار والدها ووالدتها أخذت تحدثهم عن لقاءها بمني وما رأته بالمحلات ولكن قلبها كان معلق فوق الطاولة يرقد إلى جوار الهاتف .
مر الوقت بطيئا جدا حتى ذهب كل واحد منهم إلى فراشه,تسللت «صدفة «على أصابع قدميها وجلست على الأرض في الزاوية بين الحائط والطاولة التي تحمل التليفون ,أدارت قرص الهاتف ,لم

يكمـل الهاتـف دقتـه الأولى الا وقـد التقـط سـعد السـماعة .
كان ينتظرها بشوق لا يعرف سببه ولايستطيع انكاره .
انتظرت حتى يبدأ بالكلام .
جاء صوته محببا اليها ,وكأنه يخترق قلبها ويستقر في أعماقها .
_كيف حالك ياصدفة ؟
_بخير الحمد لله ,كيف حالك انت؟
_بخير أيضا ,انتظرت مكالمتك طوال اليوم .
_ابتسـمت ثـم أدركـت انـه لا يراهـا قـررت أن تـرد الا أنهـا لم تجـد كلمـة مناسـبة فالتزمـت الصمـت .
_ما أخبار الاجازة ؟سألها
_بـدأت اليـوم ,خرجـت مـع صديقتـي منـى وشـاهدنا بعـض المحـلات ,نرتـب لـــ « المصيـف» .
_هل ستذهب منى معكم إلى المصيف؟
_هـي لا تذهـب معنـا تحديـدا الا اننـا نرتـب بحيـث يكـون في نفـس التوقيـت .
انطلقـت في الحديـث معـه عـن منـى وعـن المصيـف وحكـت لـه عـن اخواتهـا «سـامح» الأخ الأكـبر يقيـم في «القاهـرة» حيـث يـدرس هنـاك و «سـناء» في السـنة الأخـيرة مـن المرحلـة الثانويـة أمـا الصغـيرة التـي ألقـت بكتابهـا عليـه وفـرت هاربـة هـي « صابريـن « .
ومـن حكايـة الى أخـرى وهـو يسـتمع إليهـا ويـرد عليهـا ,تضحـك أحيانـا بصـوت عـال ثـم تخـشى أن يسـتيقظ أحـد عـلى صوتهـا .
تنفعـل أحيانـا أيضـا بالحديـث فيرتفـع صوتهـا تلقائيـا فيحذرهـا سـعد أن صوتهـا سـيوقظ الجـيران فتضحـك وتخفـض مـن صوتهـا .
اسـتمر الحديـث بينهـما والمكالمـات الليليـة لا تنقطـع ، وكل يـوم يُقـرب بينهـما أكـثر ويتعرفـان عـلى بعضهـما أكـثر.
عرفـت كل مـا يحبـه ومـا يكـره ,وهـو أيضـا اسـتطاع أن يعـرف كل

صغـيرة وكبـيرة عنهـا ، كانـت أصغـر منـه بكثـير الا أنـه اسـتمتع بالحديـث معهـا الى أبعـد حـد .
وكان يعتقـد أنـه مـا يحـدث هـو مـن بـاب « الدردشـة» فقـط وكان يعـرف أيضـا أنـه يكـذب عـلى نفسـه ، وللمـرة الأولى يشـعر سـعد أنـه لابـد أن يسـتمر في الكـذب عـلى نفسـه ، والا سـيضطر فـورا الى انهـاء مكالماتـه الليليـة وسـيكون عليـه أيضـا أن يخـدع نفسـه ويخبرهـا أنـه لا ينتظـر مكالمتهـا كـما ينتظـر الـزرع المـاء وكـما ينتظـر الغريـق مـن يأخـذ بيـده ، إن الصغـيرة سـلبت روحـه وعقلـه ,وهـو لايريـد ذلـك يكـره هـذا الاحسـاس ، يكـره وبشـدة ان يكـون اسـيرا لأحـد ولعـل مـن اسـباب شـططه العقـدي هـو ألا يشـعر أنـه قيـد ديـن وتكاليـف وأوامـر ونواهـي ، كـما يخـشى أن يعـترف لنفسـه أن الصغـيرة احتلـت جـزر قلبـه وأقامـت فيهـا فيضطـر للبعـد عنهـا .
أمـا هـي فكانـت المكالمـة الليليـة هـي أغـلى مـا تملكـه في حياتهـا تمنـت لـو أنهـا تسـتطيع أن تمسـك بالصـوت الـذي يخـرج مـن سـماعة الهاتـف ليتهـا تسـتطيع ذلـك .
ليتهـا تسـتطيع أن تمسـك بأنفاسـه المتلاحقـة التـي تمتـزج بضحكاتـه ليتهـا تملـك أكـتر مـن مجـرد صوتـه .
تخبـئ مكالمتهـا عـن أعـين الجميـع وتمنـت لـو أنهـا تخبئـه هـو نفسـه عـن الجميـع ، كانـت تشـعر أنـه قـوي وكبـير وأنـه قـادر عـلى حمايتهـا ,قادتـه الصدفـة إليهـا .
ليـس بينهـا وبينـه كلام في الحـب ولا الغـرام الا ان مـا كانـت تحملـه في قلبهـا مـن حـب قـادر عـلى أن يغـرق العـالم كلـه اذا فـاض مـن قلبهـا .
كل يـوم تسـير عـلى أطـراف أصابعهـا تجـاه الطاولـة تجلـس في الزاويـة ولكـن مؤخـرا صـارت تجلـس تحـت الطاولـة لتختبـئ جيـدا ,ثـم تتصـل عليـه ,يـرد عليهـا بشـغف ، يحـدث نفسـه أيضـا أنـه غـير مرتبـط بهـا عاطفيـا فهـذا محـال وكذلـك غـير شـغوف بهـا غـير أن قلبـه الـذي يقفـز

من بين ضلوعه مع دقات الهاتف يخبره بأن ثمة شيء «مختلف» لا يريد الاعتراف به .

«إذا لم تتجول بين أشجار» الا معقول « فكيف لك أن تصرخ بأعلى صوتك لقد تذوقت حلاوة العشق ولفحني هواءه ؟»

يسألها دوما عن يومها ويحكي لها عن يومه ومشاكله مع المدير وأحاديثه مع أصدقائه ,وزميلاته بالعمل ,كان قلبها يشتعل بالغيرة كلما ذكر واحدة منهن الا أنها لا تظهر ذلك له .

يحكي عن أمه واخواته والجميع ,يطلب رأيها أحيانا وكان دائما يجد عندها الرأي الصائب رغم صغر سنها .

تخبره آخر «نكته» فيضحك ويخبرها هو أيضا آخر « نكتة» فتقول له : «قديمة» .

حتى وان كانت غير ذلك ,الا أنها اعتادت أن تقول له « قديمة» ثم تبدأ بالضحك على رد فعله تجاه كلمتها ثم تضحك على « النكتة».

كانت مشاغبة الى أبعد حد وكان يُحب ذلك ، تختلق بعض القصص الوهمية وتحكيها له ,واذا ما بدأ في التأثر بحديثها والتفاعل مع الحكاية ,انفجرت ضاحكة ,كنت أكذب عليك .

أخذته لعالم الطفولة وأحلام المراهقة وكان قد ودع هذا العالم من عشرين عاما تقريبا ,الا أنها أعادته إليه مرة أخرى ببراعة

استعدت الأسرة للسفر الى مدينة ساحلية « لقضاء عشرة أيام,حيث يحجز والدها شقتين له ولأخيه وابناءه في نفس العمارة ، وكذلك والد منى صديقتها وجارتها والذي يعمل مع والدها في نفس الشركة .

رتبت أغراضها ووضعت بعض الروايات وشرائط الكاسيت الخاصة بها ,فقد كانت تمتلك جهازا لتشغيل الأغاني خاص بها مزود بسماعات ، ونظارتها الشمسية وكريمات واقية من الشمس وملابس خفيفة مناسبة .

وكذلك رتب والدها واخوتها أغراضهم استعدادا للسفر .
قضت «صدفة « الليل تحكي لسعد عن استعداداتها للرحلة وما أخذته معها .
_هل ستستطعين الاتصال بي من هناك ؟
_لا أتوقع انني سأستطيع ,فالشقة التي نقيم فيها غالبا ليس بها هاتف .
_عموما هذا مناسب جدا ,فأنا أرغب في الابتعاد عن مكالمتنا لعدة أيام .
_انزعجت لعبارته ولم تعرف الإجابة المناسبة لها الا انها أجابت,اذا ستحصل على ما تريد .
_لم أقصد ازعاجك ,فقد شعر بصوتها مضطربا ,لم يكن يريد ان يقول ذلك الا ان عليه ان يثبت لنفسه ويتحداها انه غير متعلق بالصغيرة ولا بالحديث معها
فتابع موضحا :أقصد أن هذه الأيام مناسبة جدا حتى نتأكد من أن كلانا لم يُدمن هذه المكالمات .
جاءت العبارة الثانية أقسى من الأولى ,فهي تدمن المكالمات,وتدمن صوته ,ونبراته ,ضحكاته ,حتى اللحظات التي يكون الصمت فيها هو المخيم على المكان ، تعشق صوت أنفاسه حينئذ وتود لو تستطيع ان تمسك بتلك الانفاس .
_فعلا هي مناسبة جدا لكلانا ، أجابته بصوت حاولت أن يكون طبيعيا
سلم عليها وطلب منها أن تنتبه لنفسها جيدا ,وأن تستمتع بوقتها ,أيضا.
ولعل عبارتيه جعلاها اتخذت قرارا فوريا بأن تستمع بوقتها فعلا وأن تخوض تجربة الابتعاد عنه ولو لأيام فردت : نعم سأستمتع بوقتي يا سعد وألقاك بعد عشرة أيام ..
لايدري لماذا قال لها هذا الكلام وبخ نفسه كثيرا ,ولكنه اعترف بالحقيقة في نهاية الأمر ,انه في صراع مستمر مع ذاته ، يشعر أنها

صارت جزءا من تركيبه النفسي ,وقطعة من يومه ,بل أجمل قطعة في يومه ، إلا أن نفسه المغرورة تأبى أن تعترف بذلك تأبى أن تقع أسيرة لـ «طفلة» صغيرة ، فقد كان يرى نفسه أكبر ممن هم أكبر منه سنا ,هل يعاقبه القدر على غروره بأن يجعل منه أضحوكة بين الناس ، سعد المغرور المتكبر يهذي مع طفلة الفارق بينهما في العمر أكبر من عمرها ؟!

طمئن نفسه أن ما قاله هو المناسب وأنه خلال الأيام القادمة سيتجاوزها وينتزعها من يومه ,ارتاح لقراره ونام .

نامت صدفة أيضا ساعة قبل أن توقظها أمها استعدادا للسفر .

قامت وهي بالكاد تستطيع أن تفتح عينيها ، وماهي الا ساعة أخرى وكان الجميع في السيارة التي ستحملهم إلى المدينة الساحلية.

توقفوا في الطريق مرتين للراحة وتناول المشروبات و بعض الشطائر.

نامت معظم الطريق ,فقد قضت الليل كله تقريبا تتحدث إلى سعد .

وعندما وصلوا إلى هناك كانت أخذت كفايتها من النوم أثناء الطريق ، ترجلت من السيارة وهي في قمة نشاطها .

حملوا امتعتهم وساروا نحو العمارة وهم يسألون الله أن تكون الشقتين في الدور الأول ليتمكنا من السهر مع بعضهما بشكل أفضل .

دخلت كل أسرة الى شقتها ,وبدأت الخلافات تدب بينهما على تقسيم الغرف ,التي كانت تنتهي في غالب الأحوال نهاية واحدة, غرفة للوالدين وغرفة للبنات والولد ينام في الصالة أو البلكونة .

فتح كل واحد منهم حقيبته ووضع ملابسه وأدواته في الخزينة « الموجودة في غرفته

وماهي الا ساعة أو أقل حتى خرج كل منهم من غرفته باتجاه «البلكونة « التي كانت بمثابة «غرفة المعيشة « لهم رغم أنها

مفتوحة على الشارع ,الا انهم يُفضلون ذلك ، وما هي الا دقائق أخرى وخرج أولاد عمهم الى الشرفة أيضا ونزلت منى صديقتها من الطابق الثاني اليهم .

ارتفعت الأصوات مجددا ,واحتدم النقاش حول برنامج اليوم ..

الآباء يفضلن الراحة من السفر بقية اليوم ,والابناء معترضين لن نفرط في دقيقة واحدة من الأيام العشرة ..

قرر أخوها بوصفه أكبر الأبناء سنا وأكثرهم خبرة أن يقود الموقف ويضع خطة البرنامج ,التي ستبدأ من الآن وهي الانطلاق نحو الشاطئ ,ثم تناول الساندويتشات ، ثم العودة للشرفة ليبدؤوا في لعب الورق والدومينو .

صفق الأولاد مهللين ببرنامج سامح ومرحبين بفقراته .

في حين قرر الآباء المكوث في الشقة ,للراحة بقية اليوم ,فهم يعتقدون أن الوقت مازال ممتدا أمامهم للخروج .

سار الأبناء جميعهم في اتجاه الشاطئ يتحدثون ويضحكون ، وكلما مر طيف سعد في خاطر «صدفة» طردته سريعا ,بعدما تذكرت أخر حوار بينهما..

إلا أن طيفه كان يعود سريعا فيلاحقها ، لا تدري أي صدفة ساقته إليها وقادتها إليه .

استمتعوا بوقتهم على الشاطئ ..فقد قاموا بحفر حفرة كبيرة وضعوا فيها أخو منى ثم انهالوا عليه بالرمال ليردموا الحفرة وبعدما ردموها جيدا صبوا فوقها الماء حتى لا يتمكن من الطلوع منها ثم التفوا حوله وهم يضحكون فلم يكن ظاهرا منه سوى رأسه فقط ، الا انه قام واقفا بسرعة وقوة في نفس الوقت فتناثرت الرمال عليهم وأصابت أعينهم ، ثم بدأ يجري خلفهم ويقذفهم بمزيد من الرمال ..

وبعد غروب الشمس قرروا العودة للبيت وتناول الطعام هناك,فقد

بدأ التعب يتمكن منهم ..
وما أن وصلوا الىمنزلهم حتى سارعوا بأخذ حمام وتبديل ملابسهم، وضعت لهم الام الطعام في الشرفة ,تناولوه ثم ناموا قبل أن يبدأوا في لعب «الورق»
شعرت «صدفة» بثقل في جفنيها وكأنهما مربوطان بحجر كبير, ووجه سعد يتراءى أمامها ,وصوته كما الأمواج ,تسأل نفسها,ماذا يفعل الآن يا ترى ؟
استيقظوا في الصباح على أصوات الباعة ,كل واحد ينادي على بضاعته بجوار أذانهم تحديدا .
لم يغب «سعد»أبدا عن بالها ، فهو أول ما تفكر فيه صباحا وآخر من تغمض عينيها عليه ليلا ، تتذكر صوته ,تحتضن كلماته بشوق، تشعر به قريبا منها دوما مهما بعدت بينهما المسافات,يظل الأقرب لها إلا أنها كلما تذكرت كلماته الأخيرة القاسية نفضته من رأسها وصممت على أن تستمتع برحلتها .. في المساء ذهبوا جمعا إلى السينما ، وما ان انطفأت الأنوار ,نظرت صدفة في ساعتها وتذكرت سعد وتساءلت ؟ ماذا يفعل الآن يا ترى ؟
حاولت الا تشغل بالها بما يفعله وأين هو الآن وتابعت الفيلم الذي كان كوميديا ,فارتفعت الضحكات والتعليقات ..
مرت عدة أيام أخرى بين الشاطئ والسينما وركوب الدرجات,ومن وقت لآخر تنظر «صدفة في ساعتها وتسأل نفسها عنه : ماذا يفعل الآن ياترى؟
هل نسيها ؟ ألم تخطر على باله ؟ لماذا قال لها كلماته الأخيرة القاسية ؟ هل يريدها أن تخرج من حياته وألا تعاود الاتصال به مرة أخرى ؟لن أتصل به أبدا حتى بعد عودتي ,هكذا رددت صدفة في نفسها .
في اليوم الأول لسفر صدفة شعر سعد أنه أصبح حرا وغير مقيد

بالمكالمة الليلية ,التي منعته من الخروج مع أصدقائه ..
جاء من عمله ,نام لساعتين ,ثم استيقظ واخذ حماما سريعا,ونزل الى أصحابه فهو يعرف مكانهم اليومي على احدى المقاهي القريبة من البيت ,لعب الورق والدومينو وشرب قهوة مضبوطة,تحدث إليهم وضحك حتى أنه نسي صدفة تماما أو هكذا توهم .
عاد في وقت متأخر ,نظر للهاتف ,ثم توجه الى سريره ونام.
في الصباح استيقظ وهو لا يفكر الا في شيء واحد «صدفه» فلقد اشتاق اليها وبشدة .
يريد أن يبقى في البيت ولا يذهب للعمل ,لعلها تتصل به ,ثم تذكر ما قاله لها ,فأدرك أنها لن تتصل به من هناك .
عاتب نفسه كثيرا ، ولكنه عاد مرة أخرى وردد في نفسه بصوت عال أنه لا يهتم بها ولا بالحديث معها ، ضحك وهو يتخيل الناس يتكلمون عنه وكيف أن فتاة صغيرة ذات ضفيرة استطاعت أن توقعه في أسرها .
تناول افطاره سريعا وخرج إلى عمله شاردا لا يفكر الا في صدفة ، وفي اشتياقه إليها عليه الاعتراف بأنه يملك نفسا مزدوجة منشطرة إلى شطرين ستكون سببا في شقاءه .
عاد من عمله تناول غذائه مع والدته واخته التي كانت في زيارة لهم ,لم يتكلم غير كلمتين أو ثلاث ,أخذ التليفون إلى غرفته وضعه بجواره _لعلها تتصل _ ونام .
قام على رنين الهاتف ,كان زوج اخته يريد ان يخبرها أن تستعد لأنه قادم لاصطحابها .
لم يهتم بماقاله زوج اخته ,ولايريد أن يتحدث أحد اليه ولا أن يأتي أحد الى البيت فيضطر أن يقابله .
أخبر أخته أن تستعد للمغادرة حتى لا يطيل زوج اخته بقائه ويضطر أن يجلس معه فترة أطول ، أغلق على نفسه باب

غرفته,ينتظـر مكالمـة مـن صدفـة .
هـل أدمـن الحديـث معها ؟ لماذا يفتقدهـا ؟ انها طفلـة صغيرة مجـرد مراهقـة لم تتجـاوز الخامسـة عـشر مـن عمرهـا بعـد آه يـا صغيرتي أيـن أنـت ؟وكـم أشـتاق إليـك .
لم يشـعر بفـارق السـن بينهـما أبـدا ,لا يـدري هـل هـو الـذي يعيـش حالـة مـن حـالات المراهقـة المتأخـرة أم أنهـا هـي التـي تعيـش حالـة مـن حـالات النضـج المبكـر .
لم يـدق الهاتـف ,نـام حزينـا يفكـر فيهـا ، حـاول كثـيرا أن ينـسى أمرهـا حتـى لا يشـعر بثقـل الوقـت ,الا انـه لم يسـتطع .
حـاول ان يتحـدث مـع زميلاتـه بالعمـل ,بعضهـن يرحـبن بالحديـث معه بـل يعشـقن اللحظـات الـلاتي يقضينهـا بقربـه ,الا انـه يجـد حديثهـن تافـه جـدا بالمقارنـة بحديثهـا تقفـز ملامحهـا أمـام وجهـه ، يبتسـم لطيفهـا الـذي احتـل أركان الغرفـة .

وصوتهـا الـذي صـم أذانـه عـن كل صـوت ، وحكايتهـا الشـيقة الجميلـة وبراءتهـا وهـي تحـكي وتضحـك فيضحـك العـالم لهـا مـن حولهـا ,يوبـخ نفسـه ويتهمهـا بالمبالغـة ويقـول : مـا هـي الا طفلـة؟!، فـيرد لكنهـا نجحـت في أن تـترك فارغـا كبـيرا .
سـمع اسـمها عـلى لسـان أحـد زملائـه فوقـع قلبـه واضطـرب ,ثـم انتبـه الى زميلـه فـأدرك أنـه كان يقصـد أن اللقـاء لم يكـن مدبـرا انمـا كان «صدفه».
هزه الاسم وشعر بالحنين يزلزله ,يحتاج اليها الان .
عـاد الى البيـت أكـثر حزنـا وصمتـا ,لايريـد أن يتحـدث ويشـعر انـه اذا مـا أُجـبره أحـد عـلى الـكلام سـينفجر باكيـا .
أخذ الهاتف الى غرفته والألم يعصر قلبه .

ان هواءها يحيط به ,يدفعه دفعا إليها وإلى التفكير فيها ، لم يكن في حديثها شيئا مميزا ,غير أنه استطاع أن يمتلكه بالكامل ,ياليتني طلبت منها أن تتصل بي من هناك ، ليتني لم أقل ما قلته .
لم يتناول طعاما يكفيه منذ سافرت ، لم يبتسم ابتسامه من قلبه منذ أيام ، وكل ما يشعر به أن قلبه يردد اسمها وينادي عليها,لعلها تسمع في البعد صوته ,فتحن عليه وتتصل به .
كانت «صدفة» تمر ببعض اللحظات المماثلة الا انها قررت ألا تستسلم لها ,فكلماته الأخيرة أوجعتها ,ومنعتها أن تحاول الاتصال به .
رغم انها اتجهت عدة مرات نحو هاتف عمومي لتتصل به ولكنها كانت تعود في آخر لحظة دون أن تتصل ,يمنعها صوته وهو يكرر عبارته الأخيرة .
اصبح قلبها كحفنة من رمال البحر يبعثرها الحنين من وقت لآخر .
تشعر انها تفتقده رغم وجود الجميع حولها ورغم انشغال الأوقات باللعب والمرح والضحكات ، لكن ماذا تفعل لقلبها الذي يئن متسائلا كل فترة : ماذا يفعل الآن يا ترى؟
كانت واضحة مع نفسها تعترف لها أنه امتلكها أخذ بقلبها وكل عقلها ، لم تعد في حاجة لئن ترى غيره أو تسمع صوتا غير صوته, وكأن العالم خلا الا منه .
مرت الأيام العشر وقد شعر سعد انها عشر سنوات تركت آثارها عليه وحفرت في القلب تاريخا لن ينساه ,حيث كان ميت على قيد انتظارها ,يجره الحنين الى طفلته جرا لم يعلم معنى « نحصي الأيام» الا في غيابها ,فقد غابت معها الشمس وغاب القمر ,غاب كل مظهر من مظاهر الحياة .
يريدها أن تعود بقلبه وبابتسامته فلقد نسيت فيما يبدو وأخذتهم

معها .إلى المصيف .
عادت صدفة الى بيتها بصحبة عائلتها ,وصلوا في العاشرة مساءا, حملوا امتعتهم الى داخل المنزل ,وألقوا بها في الصالة للصباح ثم أخذ كل واحد منهم حماما واتجه فورا إلى فراشه وغط في نوم عميق .
أخذت صدفه حماما سريعا أيضا ,وذهبت لفراشها وهي تسأل نفسها :ماذا يفعل الآن ياترى ؟
الا أن رنين الهاتف أجاب على سؤالها ، قفزت من فوق السرير,قبل أن يستيقظ أحد على صوت الهاتف ,والتقطت السماعة .
كان هو ورغم أنها تشتاق إليه إلا أن صوتها جاء هادئا لا يعكس ما يعتلج داخلها ، نجحت في أن تخفي عنه أعاصير الشوق وكان تركيزها على شيء واحد فقط ألا وهو كيف سيستقبلها بعد الغياب؟ وهل اشتاق إليها أم لا ؟
أما هو فتركيزه انصب على شيء واحد فقط ألا وهو « صوتها»,أراد أن يرتوي منه قدر شوقه وقدر غيابها كان جائعا لحروفها صدى ضحكاتها حتى لحظات صمتها وصوت أنفاسها ، أراد أن يتكلم معها في كل ماحدث خلال سفرها حتى يسكر من كأس قربها ، لم يفكر ولم يرتب كلماته كان تلقائيا عفويا فرحا بعودتها مما جعلها تنسى سريعا كلماته القاسية واعتبرتها كلمات غير مقصودة,وانطلقت تحكي وتضحك ويضحك معها من قلبه ، تطفئ لهيب أيامه الماضية بضحكاتها البريئة ، وبعبارتها اللطيفة تعيده إلى أصله الجميل وإلى روحه المفقودة .
استمرت المكالمات بينهما كل ليلة ، ومع كل مكالمة يزداد القرب والتعلق بينهما أكثر وأكثر.
في الصباح تساعد «صدفة « والدتها في أعمال المنزل ، تحكي مع اختها وتناقش أبيها في آخر ما قرأته وفي الليل تنتظره ,حيث

يأتيها عبر صوته يمنحها القوة ويصبغ أيامها بألوان السعادة ,لم تعد تخرج مع صديقاتها ، ولا مع والديها ، أصبحت حياتها تدور حول تلك الطاولة الصغيرة التي تختبئ تحتها ,تقبع ساعات وهي جالسة تحتها ، تمكنها تلك الزاوية المتعبة التي تكاد أن تقصم ظهرها وتصيبها بمرض مزمن في عظامها من رؤية أي شخص يخرج من غرفته ليلا لدخول الحمام أو لشرب المياه,فكانت تمد يدها فوق الطاولة و تضع السماعة مكانها في هدوء وهي في مكانها دون أن يراها أحد ، لم تكن المكالمات تنتهي كل ليلة بسلام فأكثر من مرة يوشك أحد أن يراها فتحبس أنفاسها حتى يمر بسلام ، فكرت صدفة أكثر من مرة أن تنقل الهاتف في غرفتها إلا أن «سلك الهاتف» قصير لا يسمح بذلك كما أن اختها تنام معها في نفس الغرفة ,فكيف لها أن تسحب الهاتف إلى هناك ؟

لم تنقطع المكالمات بينهما ولا ليلة منذ عادت صدفة من «المصيف» كان سعد خلال هذه الفترة مرحا ,لطيفا معها ,لم يتحدث معها أبدا حديثا غراميا ولم يقل لها يوما أنها كل حياته ، و لم يخبرها أنه يسمع صوتها في أحلامه وفي يقظته ، يعود مسرعا من عمله ليحتضن الهاتف ويجلس إلى جواره حتى تتصل به أو يتصل بها وفي الوقت المحدد يتصل وقلبه يلف مائة لفة مع قرص الهاتف فيدور حولها كما يدور القرص ليصل إليها ، لماذا يستطيع الهاتف أن يصل إليها ببضعة لفات ؟ لماذا لا أستطيع الوصول إليها أنا أيضا ببضعة لفات مثله ، ياليتني كنت هاتفا.

وقبل الموعد بقليل تستعد صدفة وتتأكد من أن لا أحد مستيقظ, فتذهب إلى الهاتف وتخفض صوته حتى لا يستيقظ أحد على صوته ,فأسوأ ما تتعرض له أن يحدث ما يعكر صفو ليلها ويمنعها عنه ,تذكر تلك المرات التي لم تستطع أن تهاتفه لـ سهر والديها أو لوجود زوار في بيتهم لوقت متأخر ، فكانت تشعر وقتها أنها

مسجونة داخل نفسها رغم أن المساحة التي تجلس فيها تحت الطاولة صغيرة جدا ,إلا أنها أرحب وأوسع من العالم كله بالنسبة إليها ، ياليتها كبيرة مثل سعد حتى تتمكن من أن تأخذ الهاتف لغرفتها مثله.

شعر سعد أنه اقترب حد الذوبان وانه قد يسقط معترفا بهواها ..

إن نفسه التي بين جنبيه ترفض ذلك ,تنكره ، تحاربه ، تشن عليه حربا شعواء ، لا لن تستسلم لتلك الصغيرة ,فمن غير المعقول أن تعشق فتاة صغيرة في مثل سنها ، وما أن يبدأ الصراع بين سعد وبين نفسه فإن الضحية تكون «صدفة»

التي لا تعلم من الذي يهاتفها ؟ تشعر أنها تتحدث إلى شخصين في آن واحد ,أحدهما يريدها بقوة والأخر يرفضها بنفس القوة ، تحتار في أمره كثيرا ..

فمرة يأتي إليها ملهوفا ليخبرها في ثنايا صوته أن الكون كله يتوقف عند ضحكتها ,وأن الدنيا تضيق وتضيق حينما تكون بعيدة إلى حد الاختناق ..

ومرة يأتي إليها وهمه الوحيد هو أن يخبرها أنها مجرد طفلة صغيرة ولا يعدو الحديث بينهما أكثر من كونه حديثا مرحا لطيفا، تشعر وقتها أنه يدفعها بعيدا عن أسوار حياته ، يكلمها عن زميلاته ,صديقاته, علاقته العابرة ,لا يعبأ بها ولا بقلبها الذي تفتح بين يديه كوردة تتفتح في كف صاحبها ، لايهتم لقلبها الذي نبض أولى نبضاته المختلفة له متدفقا في نهر حديثه ، لا يعلم أن صغيرته فتحت عيونها لتراه فملأ عليها عالمها حتى لم تعد ترى غيره ,كم يحزنها بكلماته ، كم يقسو عليها حينما يكرر حكاياته ومواقفه مع صديقاته ، ليس لديها صديق ترميه به في بركان الغيرة ، حتى لم يعد لها صديقات ، لم يعد لها غيره, هل يتعمد أن يدفعها بعيدا عنه ؟

ثـم يعـود مـرة أخـرى سـعد الـذي اجتثهـا مـن فـوق أرضهـا ليزرعهـا في قلبـه ، تشـعر أنهـا تجـري في شرايينـه أسرع مـن دمائـه لكـن لمـاذا لا يظـل دومـا هكـذا جـزءا مـن نفـسي ويتركنـي لأتجـول عـلى راحتـي في قلبـه وأرقـص عـلى دقاتـه كـما أشـاء ..

يسـألها أحيانـا مابـك ؟ ينـسى مـا يفعلـه سريعـا ,تـود حينهـا لـو تـصرخ فيـه قائلـة: امسـك عقـد قلبـي فحباتـه أوشـكت أن تنفـرط حبـة حبةتنسـل مـن بـين أصابعـك لتذكـرك بمـرات خذلانـك لي وتحـصي محـاولات دفعـك لي خـارج أسـوار حياتـك ؟

لكنها في النهاية تتحمل انفعلاته وتقلباته في هدوء وصبر ..

حـكى لهـا عـن تفاصيـل يومـه ولم ينـس أدق التفاصيـل ، ابتسـم بعدمـا أخبرهـا بـكل ماحـدث معـه وسـألها : لمـاذا أحـكي لـك عـن كل شيء في يومـي ؟

صمتت ولم ترد فقد جاءها السؤال مباغتا ..

أكمـل حديثـه متسـائلا: لمـاذا أشـعر بالاختنـاق اذا مـا منعتنـا الظـروف مـن الحديـث يومـا ؟ ولا أعـود أتنفـس هـواءا نقيـا إلا بعـد أن أسـمع صوتـك ؟

ارتبكت صدفة فلم يتحدث معها أبدا سعد بهذه الطريقة ,ولم ترد

اسـتكمل حديثـه كأنـه يحـدث نفسـه ويقنعهـا : صدفـة في جـوارك أرى الدنيـا بألوانهـا ، وأتأكـد أن الطيـور خلقـت لتضفـي عـلى الطبيعـة سـحرا وجـمالا ولتعـزف ألحانـا لا يسـمعها إلا مـن تأذنـين لـه ومـن فـاز بالجائـزة الكـبرى ،,التـي هـي «أنـت «

هـل تعلمـين أن الكـون لـه شـكل مختلـف حينـما أنظـر إليـه مـن خـلال عينيـك ..

غاصـت «صدفـة» تحـت الطاولـة أكـثر وأكـثر ، لا تـدري كيـف يكـون الـرد ، ولمـاذا يقـول لهـا هـذا الـكلام اليـوم ؟ وهـل سـيعود غـدا بنفـس المشـاعر أم سـيعود كشـخص آخـر تعرفـه أيضـا لكنـه لايعـرف نفسـه؟

نطق اسمها معلنا لها أنه أصبح يعشقه اسما ومعنى : صدفة
إلا أنها قبل أن تجيبه انقطع الاتصال
سحبت صدفة الهاتف تحت الطاولة لتعيد الاتصال إلا أنها وجدت الهاتف جثة هامدة بدون حرارة ..
انتظرت طويلا تحت الطاولة لعل الحرارة تعود للهاتف والحياة إليها إلا أنه استمر على حاله ,خرجت من مكانها دخلت غرفتها وهي لا ترى أمامها فطبقة من الدموع تتلألأ في مقلتيها تحجب عنها الرؤية ,وضعت رأسها على الوسادة وهي تتمنى لو باستطاعتها أخذ الهاتف بين ذراعيها لعل الحرارة تدب في أوصاله أو لعلها تنتقل من حرقة قلبها الصغير إليه .
وضع سعد كل الاحتمالات التي تُفسر انقطاع المكالمة بينهما ، لعل والدها أو أحد من اخواتها رآها وهي تقبع تحت الطاولة ,كان يتخيل جلستها فقد وصفتها له وكثيرا ما أغاظها حينما شبهها بالفأر الصغير وهو يختبئ من أصحاب البيت .ماذا سيفعل اذا اكتشف أحدُ من أهلها أنها تحدثه هو ؟ ماذا سيكون رد فعلهم؟ سيتهمونه لا محالة بأنه يخدع فتاة صغيرة ويضحك عليها بمعسول الكلام ، كيف سيواجه الجميع وقتها ؟ تخيل النظرات الساخرة التي سيقتله بها أقاربه ، قفزت نفسه المغرورة من بين جنبيه وهمست في أذنيه آن الأوان كي ترحل بعيدا عنها يا سعد ، ماذا ستفعل اذا أخبرت أهلها عن حديثها اليومي معك ، ابتعد يا سعد ,آن الأوان.
ولكنه كلما فكر بالإبحار بعيدا عنها شعر بالاختناق ,وكأنها تسحب معها الهواء ، أو تغلق عليه في صدرها ، فإنه لا يستطيع التنفس إلا في قربها ولا يريد الإبحار إلا فيها .
قد تكون سمعت صوتا فأنهت المكالمة سريعا قبل أن يراها أحد, حدث نفسه بذلك .
ثم خطر له خاطرا أخرا ,لعلها خجلت من كلماتي ,فهذه المرة

الأولى التي أبوح فيها ببعض مما يعتلج داخلي ، لعلها خجلت ، آه يا صغيرتي ليتني بجوارك فأهدأ من روعك وأخبرك أني أخاف عليك من نفسي ، وأخاف عليك منك ، ولو استطعت لخبأتك بين عيوني وأطبقت عليهما الجفون .

لا تغيبي صغيرتي فالقلب لم يعد يحيا بدونك ، تضطرب دقاته في غيابك .

طمأن نفسه ، ستتصل غدا في موعدها بعدما يزول الخجل والاحمرار عن وجنتيها ,نام وهو يُفكر فيها وفيما سيقوله غدا حينما يلتقيا في موعدهما مع السعادة .

استيقظت «صدفة» وأسرعت إلى الهاتف إلا أنها وجدته كما هو جثة هامدة ، رأتها أمها وهي تمسك بسماعة الهاتف تحاول أن تستجديه ليطلق حرارته في وجهها ,إلا أنه يأبى .

قالت أمها : الهاتف به عطل على ما يبدو .

قالت صدفة : كنت أريد أن أتكلم مع منى .

قالت الأم : وكذلك كان أبوك يريد أن يتحدث إلى عمتك فسيسافر إليها اليوم هو وسناء كما تعلمين .

تذكرت صدفة أن سناء ستلتحق بإحدى الكليات العملية وأن عليها خوض اختبارات القبول لقد شغلها عن الجميع واستخلصها له وحده .

بعد قليل ودعتها سناء وطلبت منها أن تبتهل إلى الله لتجتاز اختبارات الجامعة ، وعدتها صدفة أن تدعو لها بكل اخلاص حتى تجتاز اختباراتها ليتثنى لها الانفراد بالغرفة .

ثم طلبت من أمها أن تذهب لتتصل بأعطال الهاتف من عند صديقتها « منى « فسمحت لها .

تقدمت ببلاغ لأعطال الهاتف وأعطتهم الرقم الخاص بهم ووعدوها بأن يتم اصلاح الهاتف في أقرب وقت .

عـادت وهـي لا تفكـر في أي شيء إلا الهاتـف «الميـت» تنظـر إليـه في الدقيقـة عـشرات المرات لعلهـا تُلهـب بنظراتهـا أركانـه فيشـتعل ويملأ الكـون حـرارة وليـس فقـط «السـماعة» الصامتـة الخرسـاء .

« المـوت لا يغتـال أرواحنـا فقـط بـل يغتـال كل مـا حولنـا ،إن لـه يـدا تطيـح بـكل مـا نملكـه أحيانـا ..

مـر الوقـت ببـطء شـديد بـلا حـرارة ولا حيـاة ، أحـضرت «صدفـة» روايـة وجلسـت في شرفتهـا تقـرأ وتفكـر فيـه.

انتظـر سـعد بجـوار الهاتـف طويـلا ،يخـشى أن يبـادر بالاتصـال فـيرد عليـه أحـد مـن أهلهـا ، عليـه أن يتريـث قليـلا ، إلا أنـه لا يسـتطيع ، يـكاد عقلـه أن يُجـن يريـد أن يعـرف مـاذا حـدث ؟ في النهايـة غلـب قلبـه عقلـه وأدار قـرص الهاتـف ، رن الهاتـف طويـلا ولا مجيـب .

لم ينـم ليلتـه يريـد أن يعـرف مـاذا حـدث ؟ هـل اكتشـف أحـد أمـر مكالمتنـا ؟ واذا كان الأمـر كذلـك مـاذا حـدث لصدفـة ؟ مـاذا كان رد فعل والديهـا ؟ لعلهـم عنفوهـا وقسـوا عليهـا ، صغـيرتي الرقيقـة لا تتحمـل ذلـك ، مـاذا لـو ضربهـا والدهـا أو حبسـها ؟! لعلهـا تبـكي الآن .

اسـتيقظت صدفـة في الصبـاح مسرعـة إلى الهاتـف لعلـه يـرد إليهـا روحهـا إلا أنـه مـازال كالجثـة الهامـدة .

جلسـت صدفـة تنظـر إليـه وتسـأله باكيـة : قـل لي باللـه عليـك مـن سـلبك حياتـك فتسـلبني حيـاتي ، لقـد أصبحـت مثلـك كجثـة هامـدة.

لاحظت أمها تورم عينيها من البكاء والسهر ، سألتها : لماذا تبكين؟

اختلقـت سـببا : تخيلـت كيـف سـيكون البيـت بعـد أن تسـافر سـناء للجامعـة ،سـأكون وحيـدة بدونهـا يـا امـي ، وارتفـع نحيبهـا وهـي تحمـد اللـه أن سـاق إليهـا مـا تتخـذه ذريعـة لبكاءهـا ولم تكـن تـدري وقتهـا أن عليهـا مـن الآن فصاعـدا أن تعتـاد اختـلاق الأسـباب والأعـذار لتفـسر سـبب بكاءهـا .

«هـل رأيـت تلـك الدمـوع التـي تتسـابق عـلى وجنتيـك ؟ هـل شـعرت

بحرارتهـا تذيـب جلـدك وتخـترق عظامـك ؟ هـل سـمعت صـوت ارتطامهـا بقلبـك وهـي تسـقط في تجويفـه نقطـة نقطـة ؟! ... إذا أنـت عاشـق بـكل مـا أوتيـت مـن صـدق»

ربتـت أمهـا عـلى كتفهـا ثـم احتضنتهـا وهـدأت مـن روعهـا إلا أن بـكاء صدفـة يـزداد ويرتفـع صوتهـا بالنحيـب وكأنهـا أذنـت أخـيرا لقلبهـا أن يُعـبر عـن ألمـه وحزنـه وأشـواقه .

أعـدت الأم لهـا ساندويتشـا وكوبـا مـن شـاي بالحليـب وأصرت عليهـا أن تـأكل, ثـم طلبـت منهـا أن تذهـب وتغسـل وجههـا ,نفـذت مـا طلبتـه أمهـا .

وعـادت لتجلـس أمـام التلفـاز وان كانـت في الحقيقـة تجلـس بجـوار الهاتـف لعلـه يـرق لحالهـا .

دق جـرس البـاب ,توجهـت نحـو البـاب وهـي تتمنـى لـو كان جـرس الهاتـف بـدلا مـن البـاب .

فتحت الباب وتسمرت أمامه .

لقـد كان هـو « الوسـيم» يقـف بابهـا ، كادت أن تغلـق البـاب في وجهـة، لم تسـمع صـوت أمهـا وهـي تسـألها مـن ؟ لا تـدري بمـاذا تجيـب ؟

هـل تخبرهـا ان فارسـها ببابهـا ! أم تقـول أحـد أقاربنـا يـا أمـي ؟ أم تعلـن لهـا أن سـعد عـلى بـاب بيتنـا لأول مـرة؟!.

لم تجـب صدفـة أمهـا مـن فـرط ذهولهـا وربكتهـا وكأنهـا ابتلعـت لسـانها .

أمـا سـعد فقـد وقـف سـاكنا ينظـر إليهـا ، رأى أثـار البـكاء وعلامـات الأرق ، آه يـا صغـيرتي مـاذا حـدث معـك ؟! هـل آذاك أحـد ؟ سـأنال مـن أي شـخص يقـترب منـك سـأقتص لي ولـك .

تسـمر أيضـا مكانـه ولم يخطـو خطـوة للداخـل فـمازال لا يصـدق نفسـه أنـه واقـف ببابهـا ، لقـد تـردد كثـيرا فلـم يسـبق لـه زيارتهـم,وأي الحجـج سـيختلق ؟ ومـاذا سـيقول لهـم ؟ إلا انـه لم يسـتطع أن يسـتمع

لحديث نفسه التي تحاول أن تبعده عنها ، لا يستطيع ,فكأنما كانا مربوطان بخيط ,يدوران في فلك بعضهما البعض ، وكأنما خلُقت لتكون قدره .

همس لها : كيف حالك ونظراته تطمأنها وتأخذ بتوترها وحيرتها وألمها وترميهم بعيدا عنها .

همست : بخير ، وفتحت الباب أكثر ليدخل ، قادته إلى غرفة الصالون وطلبت منه أن يجلس حتى تُخبر أمها بقدومه ، وقبل أن تتحرك دس في يديها مظروفا ، ارتبكت قليلا ثم خبئته سريعا في ملابسها ,خرجت إلى أمها وأخبرتها أن «سعد» في الصالون ، اندهشت الأم ، ما الذي أتى به إلينا يا تُرى ؟ إنها المرة الأولى التي يأتي فيها لزيارتنا

خرجت الأم مسرعة ومرحبة به ، ساق إليها بعض الأعذار التي تفسر حضوره إليهم بدون موعد إلا أن الأم وجدتها كلها غير منطقية ، وحدثت نفسها : هل تراه جاء ليخطب سناء ؟! لابد أنه جاء لهذا السبب ولا سبب غيره ، لكن سناء غير موجودة, جلست الأم تتحدث معه وكلها يقين أنه جاء كي يخطب ابنتها الكبرى .

دخلت « صدفة « الحمام وأغلقت الباب بالمفتاح وأخرجت المظروف كان به قلم صغير محفور عليه نقوش فرعونية وخاتم جميل ورسالة .

فتحتها وبدأت تقرأ بقلبها قبل عينيها .

صغيرتي لا أدري أي صدفة ساقتني إليك ولا إلى بيتك اليوم ، إلا أنني لم أستطع النوم دون أن اعرف ما الذي حدث معك ومالذي منعك عني .

خشيت أن يكون أصابك مكروه ، وخشيت أن تكون كلماتي الأخيرة قد أزعجتك ، حاولت كثيرا الاتصال بك ، الا أن الهاتف يدق ولا أحد يُجيب .

ما الذي حدث ؟ لقد أتيت وأنا لا أعلم ما الذي سأخبر به والديك وما السبب الذي سأختلقه لزيارتي الغريبة ,إلا أنني منذ أن أبحرت في عالمك وأنا مدرك أنه لا رجوع عنه ، لقد أبحرت بعيدا يا صدفة وأصبحت في عرض البحر ، ومن الواضح أني سأستمر في الإبحار وأنا لا أدري إلى أين ؟

صغيرتي أهديتك قلما فقد كان السبيل إلى لقاءنا ، عن طريقه تواصلنا ، وبدونه كنتُ ميتا بلا حياة .

أتمنى لو أستبدل حبره بدمي ,لتكتبي في زماني ما شئت ، وعلى خطوط أيامي ما تريدين .

وخاتما ليحيط أناملك الرقيقة ويُقبلها عن كل حرف كتبته في رسالتك ألف قبلة وقبلة .

غاليتي لقد سكبتِ حروفها في قلبي حرفا حرفا .

صغيرتي أتيت إلى هنا ولا أدري ما الذي سأقوله وما الذي سيحدث؟ إلا أني شعرت أنه يجب أن أكون إلى جوارك الآن .

كانت تقرأ رسالته والحروف تتبعثر منها يمينا وشمالا ، لم تصدق وجوده الآن إلى جوارها ، ولم تصدق ما قرأته ، ليت أحدهم يصفعها بقوة لعلها تحلم .

خرجت من الحمام ودخلت غرفتها خبئت رسالته ثم تناولت قلما وفتحت دفترها وهي لا تعلم ما الذي يجب أن تكتبه فقد كانت تشعر بالفوضى تدب في أركانها .

وأيضا تريد أن تجلس معه ولو قليلا .

كتبت في عجالة .

تعطل الهاتف ولا أدري متى سيتم إصلاحه ؟ سافر أبي وسناء لاجتياز اختبارات القبول بالجامعة .

اشتقت اليك وافتقدك .

طوت الورقة وخرجت سريعا وكل ما يشغلها هو كيف ستعطيه

الورقة وأن تجلس معه ولو قليلا فلقد اشتاقت إليه جدا
توجهت إلى المطبخ وأحضرت كأسا من العصير المثلج وخبأت الورقة في يديها وهي تحمل الصينية توجهت إليه ناولته العصير ,وتسللت يدها الصغيرة لتعطيه الورقة مع الكأس ,إلا أن صوت أمها اخترق أذنها وهي تصيح بصوت عال ،، «صدفة»
تسمرت «صدفة» كتمثال من الشمع تنقل نظرها بين «سعد» وبين « أمها « لماذا تصرخ أمي فيها هكذا ؟ ظلت ساكنة مذعورة للحظات ظنت أنها دهرا كاملا من فرط قلقها
قالت الأم وفي عينيها نظرة توبيخ : نسيتِ أن تضعي حجابك !
لم تدر وقتها ماذا تفعل هل تتقدم خطوات وتضع كأس العصير ؟ أم تعود إلى المطبخ به ؟ أم تذهب لغرفتها والكأس بيديها والورقة أيضا ، ماذا تفعل ؟ اشتعلت وجنتاها خجلا عندما أدركت أنها فتحت الباب له وهي بهذا الشكل الفوضوي وخصلات شعرها تتدلى بعشوائية على جبينها وملابس النوم التي لازالت ترتديها
شعر « سعد» بحيرتها وربكتها ,قام مسرعا وأخذ خطوات قليلة في اتجاهها ، مد يديه وتناول منها الكأس ودون أن تنتبه الأم أخذ الورقة أيضا ثم طلب منها أن تدخل غرفتها وتضع حجابها
استدارت عائدة لغرفتها نظرت في المرآة فشعرت بالإحراج مرة أخرى ، ماذا سيقول عنها الآن ؟
وضعت حجابها بعد أن غيرت ملابسها وعادت سريعا كل ما تفكر به الآن هو أن تجلس معه ولو قليلا.
جلست على الكرسي القريب منه فأصبح يجلس ا في الوسط بينها وبين أمها ,التفت إليها و سألها عن أحوالها ردت بسرعة بخير كيف حالك أنت ؟
أجاب : بخير ، نظر إليها مطولا كما لو كان يغوص بأعماقها يرحل داخلها حيث لا طريق للعودة مرة أخرى

أدارت الأم الحوار كاملا تقريبا فلم تعطِ أي منهما فرصة كي يتكلم، وأعطت لسعد كل البيانات التي قد يحتاجها عن سناء والتي قد لا يحتاجها أيضا ..

لم يسمع كثيرا مما قالت ، ولم تنتبه صدفة أيضا لكثير مما قالته أمها ,غير أنها تساءلت لماذا تتكلم عن سناء كثيرا بهذا الشكل ؟ إلا أن سعد أدرك ما يجول بخاطر أمها ، شعر بالإحراج قليلا لكنه حمد الله أنها وجدت سببا وجيها للزيارة ,هكذا النساء يُجدن اختلاق الأحداث والأسباب واذا صعُب عليهم فهم أمر ما وجدوا له مائة قصة من نسج خيالهم .

انتقل بنظره إلى صدفة وجدها تنظر إليه بعينين واسعتين لامعتين ,أراد أن يضم عينيها بعينيه ,إلا أنه قام فجأة استعدادا للرحيل وقفت الأم وهي تُلح عليه أن يبقى معهم للغداء إلا أنه رفض عرضها وصمم على الانصراف ..

مازال الوقت مبكرا على موعد القطار فابق معنا : قالت الأم

اعتذر لها بأن عليه أن يذهب إلى بعض أصدقائه قبل موعد القطار ، نظر إلى صدفة وجدها تتوسل إليه في صمت أن يبقى,كما لو كانت تتلو دعاءا خاصا تتضرع به إلى الله أن يبقيه معها, لم يشعر باحتياج أحد إليه قدر شعوره باحتياجها إليه هذه اللحظة ,إلا أنه أصر على الخروج من المنزل ، كان من الممكن أن يبقى لفترة أطول لكن لا يعلم لماذا هو مصر على الرحيل الآن,؟حيًّا الأم وصدفة وخرج .

خرج من بيتها إلى قلبها ,تشعر بخطواته المبتعدة عن بابها داخلها ,تسمع وقع أقدامه تقترب وتقترب حتى كادت تشعر بأنفاسه تلفح وجهها .

تكلمت الأم كثيرا مع صدفة حول الزيارة الغريبة ، وهل زار بقية العائلة أم نحن فقط

لم تجب صدفة سؤالا واحد من أسئلة أمها المتلاحقة ، كاد عقل المرآة أن يطير وهي تحاول أن تجعل زواجه من سناء هو سبب الزيارة ، وهل ستنتقل سناء للإقامة معهم ، وهل سيشترطون عليه أن تكمل تعليمها أولا ؟ ماذا لورفض ؟ فإنه كبير في السن نسبيا على أن ينتظر أربعة أعوام أخرى !

أسئلة بلا إجابات أفضل ما فيها أنها أخذت الأم بعيدا جدا عن سبب الزيارة الأصلي وعن «صدفة « وما تشعر به الآن .

شعرت صدفة بحال أمها وأنها تريد أن تجلس مع نفسها حتى تحلل الزيارة تحليلا وافيا وحتى تجد إجابة لكل سؤال ، حتى تقدم تقريرا وافيا لأبيها حين يعود ..

طلبت من أمها أن تخرج ، فسمحت الأم وهي لاتزال مشوشة .

ارتدت صدفة ثيابها بعدما خطر لها أن تخرج بحثا عنه ,توقعت أن يكون في الشوارع القريبة من محطة القطار أو في المحطة نفسها ، فلن يذهب إلى أحد من أقاربهم لأنه لا يملك إجابة على السؤال الأول الذي سيطرحونه فور رؤيتهم له : لماذا أتيت؟

عبرت الطريق إلى المحطة ودخلتها ثم توجهت فورا إلى الرصيف ..

وجدته أمامها يجلس واضعا ساقا على الأخرى وقد عاد برأسه للوراء وأغمض عينيه واستسلم لأفكاره ، كان يوبخ نفسه على القدوم وفي الوقت نفسه يرقص قلبه فرحا كلما تذكر صدفة وهي تفتح الباب وشعرها وملابسها في حالة فوضى عارمة أدرك أنها قد استيقظت من النوم لتوها ، ثم تذكر عينيها المتورمتين يبدو انها كانت تبكي لفترة طويلة ,هذه الفتاة نجحت في أن تربطني بها بحبل متين لا يراه سوانا ، حبل مجدول بالبراءة والنقاء ، ابتسم حين تذكرها وهي ساكنة كالتمثال حين صرخت فيها أمها, كلماتها التي كتبتها على عجل تخبره أن الهاتف معطل وأن والدها على سفر ، خطها الرقيق مثلها ، تحسس الورقة في جيبه كانت كل ما

استطاع أن يلمسه منها ، إلا أنه يلمس صوتها كل ليلة حين يزوره ، ويلمس طيفها حين يمر بخاطره..
اعترف لنفسه فورا : أنك لأول مرة تشعر بالحب الحقيقي ، الحب الذي لا يصادفه الانسان إلا مرة واحدة في الحياة فيشعرك وقتها أن غرف القلب الأربع صارت غرفة واحدة واسعة سعة الدنيا ,ورحبة ممتدة كما السماء ,وكيف تتحول الابتسامة شيئا فشيئا إلى عناق دائم ,والنظرات إلى لغز محير ، اعترف يا سعد إنه الحب الحقيقي الذي جعل منك شاعرا ورساما ترسم صورتها لوحات جميلة وتعزف صوتها لحنا شاديا ، اعترف يا قاسي القلب أنك تعشقها ولا تهتم كونك تراها أم هي بعيد عنك! فأنت تراها بقلبك وتخربش اسمها على كل جدران حياتك وترى ملامحها تطل عليك كل صباح كالشمس ,تُدفئْ أركان نفسك وتهمس في أذنيك بأن الحياة تستحق المعاناة .
انتبه لحركة بجواره فتح عينيه فوجدها تجلس بجواره صامته ، فرك عينيه لعله يحلم ,أو لعل صورتها ملئت نفسه ففاضت إلى جواره ! و لعل طيفها يزوره كعادته ! ,لا,، إنها هي ، كانت تنظر إليه وهي مبتسمة وصامتة
وجد نفسه يقول لها : تكلمي
نظرت إليه وهي لاتزال تبتسم ولم تتكلم
سألها لماذا أتيتِ؟
هزت كتفها وقالت : لا أعلم
فقط أردت أن أودعك وأن أبقى معك ولو قليلا..
أجابها وأنا تمنيت لو أني أجلس معك وقتا أطول إلا أني شعرت بالإحراج خاصة أني لم أجد سببا منطقيا أقدمه لوالدتك..
ضحكت صدفة وأجابت : لن تعجز أمي في أن تجد سببا ومنطقيا أيضا..

لم يخبرهـا بأنهـا بالفعـل وجـدت السـبب ولعلهـا الآن تسـتعد لليلـة زفـاف سـناء

صدفة : نطق اسمها لأول مرة وعيناه مثبتتان عليها

نظرت إليه وعينيها تجيبه نعم وألف نعم ,إلا أنها لم تنطق

أكمل حديثه قائلا : تكلمي عن نفسك عن أي شيء

قالت : تعلم عني كل شيء

قال : أريد أن أسمعك وأنا أراكِ

لم تتكلم

نظـر إليهـا ولم يتكلـم أيضـا فقـد كانـت نفسـه تـئن بـين جوانبـه تـصرخ بصـوت عـالِ موبخـة إيـاه ومتهمـة لـه بالنذالـة والحقـارة وان تصرفاتـه صبيانيـة لـن يتـأذى منهـا سـوى هـذه المسـكينة ، لا بـل إن الأذى سـيطول الجميـع

مـاذا سـتقول لوالديهـا بعـد الان ؟ لماذا زرتهـم ؟ ومـاذا لـو أخـبرت الأم سـناء أنـك تريـد الـزواج منهـا ؟ هـل سـأحطم قلـب سـناء أيضـا؟ هـل أرسـلني اللـه لأحطـم قلـب هـذه العائلـة ومعهـم قلبـي ؟

ثـم تذكـر شـيئا مهـما ، اللـه ، منـذ متـى وأنـا أعتقـد في وجـود اللـه ؟ ألم يكـن ذلـك سـبب معرفتـي بهـا ؟

انتبـه عـلى صوتهـا تناديـه تنتزعـه مـن أفـكاره إلا أنـه خـرج إليهـا منهـا مشوشـا غليـظ القلـب والصـوت كأنـه شـخص آخـر

قال : نعم يا صدفة

أكملـت : إن الهاتـف معطـل وأتوقـع أنـه لـن يتـم إصلاحـه إلا بعـد عـودة أبي حتـى يذهـب للمصلحـة بنفسـه

رد في بـرود لا يتناسـب مـع موقفـه منـذ دقائـق ولا مـع قدومـه مـن بلـد آخـر قاطعـا كل هـذه المسـافة كي يراهـا : لا عليـك نتكلـم عندمـا يعـود أبيـك ويقـوم بإصـلاح الهاتـف

سـقط شيء في قلبهـا مماثـل تمامـا لذلـك الـشيء الـذي سـقط حـين

أخبرها بأنه من المناسب أن يتوقفوا عن الحديث لبضعة أيام وذلك عند سفرها للمصيف

نظرت إليه وقالت بصوت خنقته الدموع : لا بأس نتكلم حين يعود أبي

وهبت واقفة استعدادا للانصراف

أخبرها أن الوقت مازال مبكرا على القطار وأن بإمكانها أن تبقى معه مدة أطول إلا أنها رفضت ، فذلك الشيء الذي سقط في قلبها منعها أن تكون في مكان غير مرحب بها فيه

مائة سؤال بلا جواب سحقتهم صدفة وهي في طريقها لبيتها لم تجد لهم إجابة ,امتطت الصمت ,فلا وسيلة غيره الآن ، وقررت أن تكون مكالمتهم بعد إصلاح الهاتف هي الأخيرة ، حيث ستخبره أنها لن تُعاود الحديث معه بعدها أبدا .

أما سعد فقد امتطى حيرته حيث أخذته إلى ساحة القتال ، قتال حقيقي ومعركة دائمة بينه وبين نفسه ، لقد سئمها فهي تبعده عن أحب الأشياء إليه بل عن كل شيء بالنسبة له ، ما فائدة الحياة بدونها ، فبدونهاهو مجرد «ميت» يمشي .

سيعتذر لها في أول مكالمة بعدما يعود والدها ، هكذا حدث نفسه لكن والدها سيغيب أكثر من أسبوع ، سأل نفسه : هل أذهب إلى بيتهم مرة أخرى غدا ؟! إلا أنه شعر بالرعب حينما فكر في والدتها, قد تعطيه في المرة القادمة مقاس حذاء سناء فهو الشيء الوحيد على الأرجح الذي نسيت أن تخبره به اليوم, وأخيرا قرر الانتظار .

عادت صدفة ,إلى بيتها وتركت قلبها عنده يأخذه أينما شاء ، لك يا سعد أن تأخذ قلبي أينما شئت ومتى شئت ولك أيضا أن ترطمه بقوه على جدران قلبك القاسي فتبعثره أشلاء صغيرة تسقط كالنيزك فتضيء المكان نارا ونورا ، ولك أن تسقطه مطرا

على ارضك فيحييها ,ولكن ليس لك أن تبعثر كرامتي كذرات في سماء غرورك .

جاء المساء والصمت يُخيم على أرجاء المنزل ,نامت الأم مبكرا فقد أعياها التفكير والتخطيط للزواج .

ذهبت صدفة لشرفتها وفي يديها رواية لم تبدأ فيها بعد ، ووقفت تنظر للسماء والنجوم ، هل لها أن ترسل له رسالة عبر النجوم ، ماذا لو استطاعت أن تكتب على كل نجمة حرف وترسلها إليه .

لا يزال الهاتف الأخرس يقبع في مكانه ، لقد اشتاقت لمكانها تحت الطاولة ، لماذا لم تستجب الأعطال للطلب الذي قدمته ؟ لماذا كل الهواتف في العمارة تعمل إلا هاتفهم ، هذه الأسلاك التي تأتي من على سطح العمارة وتتفرع فتدخل في كل شقة تحمل الحرارة إلى هواتفهم والسعادة إلى قلوبهم إلا هاتفنا الصامت سلبنا الحرارة والسعادة.

نظرت إلى الأسلاك بغضب وحزن أيضا :ماذا عساكِ أن تحملين أيتها الأسلاك لي ؟

وفجأة خطرت لها فكرة ,دق قلبها من شدة الخوف لمجرد التفكير فيها ، إلا أنها قررت أن تجرب

خرجت من غرفتها في هدوء وحذر وفتحت أحد أدراج المكتبة وأخرجت هاتفا صغيرا من الهواتف التي يُعلقونها بالمطابخ ,كان هدية سامح لأمها في عيد الأم حتى تتكلم مع خالته أثناء « الطبخ» إلا أن الأم وجدت أنه قد يصيبه الشحوم والزيوت من أثر الطبخ وقررت أن تتركه في علبته

أخذته صدفة وعادت به إلى غرفتها وأغلقت الباب بالمفتاح..

فتحت الدولاب وأخرجت « شماعة»وذهبت للشرفة ومدت يدها بالشماعة لأقرب سلك متدلى من السطح..التقطته وحركته بهدوء لتعلم لأي شقة ينتمي ,إنه مكتب المحامي وقد غادروا جميعا في

التاسعة مساءا..

ربطت السلك على هيئة عقدة ثم قصت بالمقص حتى لا ينفلت السلك منها ويبقى مربوطا في بعضه ، قطعت سلك الهاتف الصغير, وبدأت تجرب توصيل الأسلاك ببعضها وفجأة أضاءت أزرار الهاتف بضوء أخضر دليل على توصيله بشكل صحيح ، دق قلبها أكثر وأكثر ، تخشى أن يسمعها المحامي في منزله أو أمها في فراشها من شدة ما تلاقيه من الخوف والتوتر ..

وبأصابعها الصغيرة أدارت قرص الهاتف الذي بدوره دق هناك وسمعت صوتا على الطرف الآخر يقول : آلو

سمعت صوته على الطرف الآخر : الو دق قلبها كما دق عندما سمعته لأول مرة تمالكت نفسها سريعا وتذكرت أن مكالمة اليوم ستكون الأخيرة وعليها أن تخبره بذلك ثم تنهي المكالمة

أجابت :بخير

هل تم إصلاح الهاتف ؟

لا : أجابت

من أين اذا تتحدثين ؟!

من مكتب المحامي الذي يسكن أسفل منا .

كيف دخلتي إلى مكتبه في هذه الساعة ؟!

كسرت الباب قالت بصوت بدا له في منتهى الجدية .

رد بصوت كله هلع :كيف فعلت ذلك يا صدفة ؟

أجابت ببساطة ونبرتها تقطر جدية إلا أن قلبها يضحك بأعلى صوته :اشتريت آلة حادة لكسر الأبواب بعد أن ودعتك بالمحطة.

رفع صوته غاضبا :لا يا صدفة ما كان لك ان تفعلي هذا أبدا لا يليق بك ،اخرجي فورا من هذا المكان فورا.

سمع صوت ضحكاتها عبر الهاتف ثم شرحت له ما فعلته بالتفصيل.

إن كسر باب المحامي لا يقل شيطنة عما فعلتيه : قال سعد وهو يضحك بأعلى صوته ثم أكمل : من أين جاءتك هذه الفكرة الشيطانية ،ماذا تعملين في اوقاتك فراغك ؟

قالت صدفة : لقد اردت أن أكلمك بأي طريقة اليوم فعندي لك رسالة هامة و لن آخذ من وقتك كثيرا .

فهم ما يدور بخلدها.

كما توقع اغضبها ردة فعله اليوم عندما كان معها اه ياصدفة لقد اربكني وجودك المفاجئ أمامي كما لو كنتي آتية من عالم أوهامي ،ترددت كثيرا أن ألمسك آخذ يدك بيدي لأتأكد من كونك حقيقة ولست خيالا ولا شبحا يسكن أسلاك الهاتف يخرج ليلا ليدور حولي يأخذني من عالمي إلى عالم مختلف ، أردت لو أني ضممتك فأخفيتك داخلي للأبد ، كي أجمع بك أشلاء جسد ممزق. وقلب سلمه الحنين للحنين, أغضبتك يا حبيبتي نعم أعترف لكن ها انا الان اعتذر ، وبصوت لم يتكلم به من قبل ناداها : صدفة .

دق قلبها فقد لمس صوته شراايينها فتدفقت فيها الدماء بغزارة وارتفعت الى وجنتيها فصبغتها بلون الزهور الحمراء اجابت بصوت مرتبك :نعم .

آسف ،سامحيني: قالها وهو يضمها بصوته.

صمتت وصمت هو أيضا .

طال الصمت الذي لم يكن في الحقيقة سوى كلاما على هيئة أنفاس.

صمت مغلف بشعور عميق يسري في أوصالهما يدق أجراسا ويضيء مصابيحا .

حاولت نفس سعد أن تستيقظ بين جنبيه إلا أنه أسكتها بكلمة نطقها بغير صوت « أحبك يا صدفة».

وكأنها سمعتها ، كانت تسمعه دون أن يتكلم وتقرأ أفكاره قبل أن يصرح بها ، كانت موصولة بقلبه بخيط رفيع لكنه متين .

يسأل نفسه أحيانا لماذا أشعر أنها جزء مني وأنها تحيا بداخلي؟
قطعت صدفة فضاء الصمت الذي يغلفهما وقالت : أردت أن أقول لك .
لا تقولي: أجابها .
أنا لا أريد أزعاجك ولن .. قاطعها هيا قولي لي : من أين جاءتك هذه الفكرة العبقرية .
أدركت أنه يعتذر عما بدر منه وقررت أن تسامحه للمرة الثانية, لا تعلم لماذا تسامحه ولا تعلم لماذا تكلمه ؟ بل إنها لا تجد سببا منطقيا لحبه ,إلا أنها غارقة في حبه ,وعندما لحقته اليوم إلى المحطة تمنت لو ركبت معه القطار وذهبت معه إلى حيث يمكنها أن تصرح له بحبها وأن يبوح لها بحبه .
تعلم أنه يُحبها لكنه لم ينطق بها أبدا .
انطلقت تحكي له كيف جاءتها الفكرة وكيف نفذتها وهو يضحك ويُغلف كل ضحكة بكلمة لا يسمعها سوى قلب صدفة «أحبك» ولن أحب سواك .
لم تكن المرة الأخيرة التي تستخدم فيها صدفة هاتف «المحامي» إلا أنها كانت المرة الأولى ، فلم تعد صدفة تتحدث من تحت الطاولة في صالة منزلهم .
وصل أبوها وسناء من السفر ، قابلتهم الأم بمنتهى اللهفة حتى تخبر زوجها بزيارة سعد وما حدث فيها .
وبعد الغذاء اختلت المرأة بزوجها وقصت عليه ما حدث .
سألها : ألم يُخبرك بأي شيء أخر ؟
أجابت المرآة : لا
أجابها : لكن لا توجد أي إشارة على أنه جاء من أجل خطبة سناء، لابد أن هناك سببا آخر .
ردت الزوجة وهي ترفض رفضا قاطعا أن يكون هناك سبب أخر للزيارة : لا ليس هناك سبب أخر ولعله لم يتكلم عندما لم

يجدك,فليس من المنطقي أن يتكلم معي ، لقد فضل الانتظار , ولابد أنه سيكرر زيارته قريبا .

انتهى الحوار بين الزوجة وزوجها إلا أن كلا منهما مازال عقله يعمل في تحليل أسباب الزيارة .

في اليوم التالي ذهب والد صدفة لبيت العائلة يحكي لهم ما حدث معه أثناء اختبارات سناء للجامعة وينقل لهم سلامات أخته وأخبارها ، وأقحم سعد في الحديث دون أن ينتبه أحد أنه تعمد ذلك ، دار الكلام حول الشباب وأفكارهم والفارق بين الأجيال , اختلفوا كثيرا في عدة نقاط إلا أن الشيء الوحيد الذي اتفق عليه الجميع من الجيل القديم والجديد أن سعدا شخصا صرعه عقله، فمنهم من قال أنه « علماني « ملحد « ومنهم من قال انه شيوعي، وقال أحسنهم وصفا أنه عنيد متكبر أورثه عنده كفرا بالعادات والتقاليد .

الانطباع الأخير الذي خرج به الرجل من الحوار أنه شخص غير مناسب لابنته ، واستغرب كيف أنه لم يكن يعلم أي شيء عنه قبل الآن ، ألا أن الحقيقة أن سعد لم يكن له حضور ولا تواصل مع أحد لذلك ينساه الجميع ولا يتكلمون عنه .

عاد الرجل لزوجت وأخبرها بما سمعه وقال أنه شخص مرفوض مقدما .

انتهت الاجازة الصيفية وبدأت الدراسة من جديد سافرت سناء وسامح ، وانفردت صدفة بالغرفة والهاتف الصغير الذي تخفيه عن أعين الجميع .

انتقلت صدفة للمدرسة الثانوية ، مرحلة جديدة شعرت حينها أنها تستقبل عالما مختلفا من البشر والتعاملات غيرت من شكلها قليلا لتبدو مختلفة عن المرحلة المتوسطة « الإعدادية» .

قصت شعرها قليلا واستبدلت الضفيرة بذيل « حصان» وأصبحت

الغرة أقصر قليلا عن ذي قبل ، أرادت أن تتغير وتغير وكل ما حولها ليناسب كونها أصبحت كبيرة .
ألا أن شيئا واحدا لم يتغير بعد هو قلبها مازال يحيط بـ « سعد» يحتضنه يرعاه يدق تلك الدقات المختلفة ، تشعر بقلبها يدق في جسده .
انهمكت صدفة في المذاكرة والواجبات اليومية وكونت صداقات جديدة داخل المدرسة وليس خارجها ,فقد أغناها فارسها عن العالم وما فيه .
واستمرت المكالمات تغزل لهم من الشوق غطاءا وتعزف لهم من الصمت أروع الألحان ، يتحدثون يوميا إلا اذا حالت بينهم الظروف أو جاءت سناء من كليتها فتشاركها الغرفة مرة أخرى ,يبتعدون قليلا ثم يعودون وقد أخذ الشوق منهم مأخذا .
ثلاث سنوات كادت أن تقتضي زادت من ارتباطهما وزادت من جمال صدفة وحولتها لفتاة فائقة الحسن ، رائعة الحديث والمظهر ، لم يبق غير عدة أشهر وتلتحق بالجامعة .

اتصلت به صدفة كعادتها ليلا بعد الانتهاء من المذاكرة وقد نام الجميع سألته عن أخباره .
أجابها بما حدث معه بالتفصيل وقال : جاءت فاطمة بنت عمي اليوم مع والدتها .
كانت المرة الأولى التي تذهب فاطمة ابنة عمه إلى بيتهم بعد تخرج سعد من الجامعة ، شرح لها كيف أنها التحقت بأحد الوظائف في مدينتهم ,وأنها ستقيم عندهم هي ووالدتها عدة أيام حتى تجد المسكن المناسب .
أخبرته أيضا صدفة بما دار معها في يومها بالتفصيل وتحدثا حديثا طويلا ورائعا كعادتهما .

في اليـوم التـالي انتظـرت صدفـة اتصـال سـعد الا أنـه لم يتصـل بهـا ، تأخـر عـن موعـده أكـثر مـن سـاعة ، شـعرت بالقلـق عليـه .
اتصلـت بـه ، دق الهاتـف طويـلا مـما أشـعرها أنـه ليـس بجـواره,كادت تضـع السـماعة إلا أنـه رفـع السـماعة .
آلو : قال سعد.
إلا أن قلبها دق كما دق قبل سفرها للمصيف وعند محطة القطار .
كان صوتـه سـعيد منطلقـا ,يشـير إلى أنهـا قطعـت عليـه حديثـا سـامرا جميـلا .
أجابته : قلقت عليك عندما تأخر اتصالك .
كنت أتحدث مع فاطمة تحكي لي عن أيام الجامعة وصديقاتها .
شـعرت صدفـة بالغـيرة تحـرق فؤادهـا إلا أنـه كان يتحـدث بطبيعيـة تمنعهـا مـن التعليـق .
قالـت :لـن طيـل عليـك حتـى لا أقطـع حديثكـما كـما يجـب أن أنـام الآن مـن أجـل المدرسـة, تصبـح عـلى خـير .
رد سعد : تصبحين على خير .
هكـذا بمنتهـى البسـاطة أغلـق الهاتـف ، تـكاد تتمـزق ألمـا وحزنـا مـن فـرط الغـيرة ، إلا أنهـا قـررت ألا تتصـل عليـه حتـى يشـتاق هـو إليهـا ويبـادر بالاتصـال.
عندمـا ذهـب سـعد للنـوم ووضـع رأسـه عـلى الوسـادة لم يسـتطع أن يُغلـق عينيـه ,كاد يبـكي ,أراد أن يسـافر إليهـا الآن ,تمنـى لـو كانـت تعيـش معـه في نفـس المدينـة .
أعلم يا حبيبتي أني مزقتك بكلماتي .
إلا نـه في الصباح انشـغل مـرة أخـرى بفاطمـة ,ذهـب معهـا إلى مـكان عملهـا وعرفهـا عـلى المدينـة ، دعاهـا إلى تنـاول بعـض السـاندويتشـات حتـى يعـودا إلى البيـت .
وفي البيـت انشـغل معهـا أيضـا كـما لـو كان يـرى فيهـا صدفـة ولكـن

بـين يديـه تتحـرك معـه ,نـسي سـعد أن يتصـل بصدفـة ليـلا أو لعلـه تنـاسى ، ولم تتصـل هـي أيضـا .
بعـد عـدة أيـام اتصـل سـعد بصدفـة لم يقـدم عـذرا مقبـولا عـن غيابـه وتجاهـل الآمـر تمامـا .
شـعرت صدفـة بغصـة في حلقهـا إلا أنهـا أيضـا لم تبـد لـه انزعاجهـا لعـدم اتصالـه ,تخطـت الأمـر وتكلمـت بطبيعيـة وتلقائيـة أكـثر منـه .
شـعر سـعد أنهـا تتجاهلـه أراد أن يتأسـف لهـا ويـبرر سـبب غيابـه إلا أنـه لم يفعـل بـل شرع يتكلـم عـن فاطمـة ,عنـه وعـن فاطمـة ، خرجـا, أكلا ، تحدثـا .
مـاذا تفعـلُ بهـا يـا سـعد باللـه عليـك ؟ هـل تتعمـد ايذائهـا ؟ ومـاذا تتوقـع منهـا بعـد كل هـذا الحديـث ؟
لماذا تدفعها بعيدا عن عالمك ؟ هل قررت ذلك ؟
أجابتـه نفسـه سريعـا قبـل أن يسـتيقظ قلبـه للإجابـة إن فاطمـة مناسـبة لـك تمامـا أمـا صدفـة فهـي ليسـت لـك .
تعـرف ذلـك جيـدا ، احسـم أمـرك الآن ,القـدر قـدم لـك بديـلا مناسـبا مشـابها لصدفـة يحمـل نفـس دماءهـا والأهـم مـن ذلـك ليـس بعيـدا عنـك ,بـل يعيـش معـك الآن تحـت سـقف واحـد ، العمـر يجـري ولم تعـد ذلـك الفتـى الغـض ، بـل صدفـة هـي الشـابة تقطـر دماؤهـا حماسـا ونشـاطا وبـراءة لازالـت تحتفـظ بهـا مـن عـالم الطفولـة .
فـترات الصمـت تطـول خـلال المكالمـة ، لم تعـد فـترات الصمـت التـي اعتادتهـا صدفـة والتـي كان يقـول لهـا فيهـا بـلا صـوت ألـف أحبـك ، يعانـق أنفاسـها بأنفاسـه .
لم تكـن فـترات الصمـت الان كمثـل الـذي كانـت تحـرق الفـؤاد والمسـافات بينهـما ، ثمـة شيء مختلـف يـا صدفـة عليـك أن تتأكـدي مـن ذلـك .
أنـت الآن لسـت بداخلـه ,صوتـك لا يـأتي مـن أعماقـه ، وأنفاسـك لا

تخرج من رئتيه ثمة أمر مختلف الآن عليك أن تتفهمي ذلك .
قالت صدفة فجأة : أردت أن أخبرك أني مشغولة جدا الأيام القادمة بسبب الامتحانات وكما تعلم انها السنة الثانوية الأخيرة ولن أستطيع أن أحادثك إلا بعد الانتهاء منها .
اجاب في صوت حاول ان يكون طبيعيا :كما تشائين فأنا أيضا مشغول هذه الأيام كما أني لا أود أن أكون سببا في تقصيرك الدراسي
أجابت صدفة بصوت حاولت أن يكون طبيعيا أيضا لا تهتم فأنا أستطيع أن أتدبر أمري « إلا أنها شعرت بأنه تودعه كما شعر بذلك أيضا»
سلام قالها بصوت مختنق شعرت كما لو كان يخرج من أعماق قلب يرقد تحت أنقاض بيت متهدم ..
وضع السماعة وهو يعلم أنها النهاية ، كان ينتظر لحظة اسدال الستار على أي حال إلا أنه توقع أن يكون بشكل مختلف غير هذا الشكل السريع الخاطف ، ربما بشكل أكثر حزنا تغلفه اللهفة ،،ودموع تترقق في مقلتيهما.
قام وبحث عن فاطمة لعله يجد فيها السلوى والنسيان وجدها في الشرفة وقف بجوارها وقرر أن يفكر بجدية في الأمر سأتروج فاطمة ،ربما لأنها تذكرني بصدفة فإنهما يحملان نفس الدماء إلا ان فاطمة امرأة مكتملة الأنوثة والنضج بالمقارنة بصدفة التي لازالت طفلة لم يكن قد رأى صدفة من ثلاث سنوات منذ لقائهما الأخير على المحطة ولا يعلم أنها صارت أكثر جمالا وأنوثة من فاطمة إلا انها لازالت تحمل تلك النظرات البريئة نفسها ..
سأل :بماذا تحلمين يا فاطمة أجابت : أن أتزوج وانجب ثلاث أطفال
ثم ماذا :سألها سعد
أجابت :وماذا بعد ذلك؟
رد عليها : لاشيء طبعا فمن قال أن بعد ذلك الحلم احلاما أخرى؟

على المرء أن يستيقظ فورا بعده ، وضحك بصوت عال لم تفهم فاطمة سر ضحكته ..
سألته نفس السؤال :وأنت بماذا تحلم ؟ أجابها وهو لازال يضحك:أن أتزوج وانجب ثلاث أولاد ،ثم استيقظ فورا ..
لماذا ؟ سألته فاطمة
أجاب :قبل أن أنجب الرابع وضحك عاليا ضحكت فاطمة دون ان تفهم مما يقوله شيئا
هل سيبدأ عملك رسميا من الغد ؟
أجابت :نعم
سأمر عليك بعد العمل لنعود سويا
أجابت :سأعود إلى غرفتي بالسكن الذي استأجرته بالأمس وستعود أمي صباحا إلى بلدنا
اذن سنتناول الغداء سويا قبل ان تعودي الى السكن قال موضحا ولم يترك لها مجال للاعتذار وإن كان يعلم مسبقا أنها لن تتعذر سأنتظرك قالتها ثم حيته ودخلت إلى الغرفة لتنام ، دخل سعد غرفته حمل معه الهاتف أغلق الباب وفكر في أن يتصل بصدفة ويعتذر وقد لا يضطر للاعتذار فهي مغرمة به حد الثمالة
سأتصل بصدفة فهي الوحيدة القادرة على أن تنقذني من نفسي التي أصدرت عليها حكم الإعدام بقرار الزواج المفاجئ من فاطمة.
«فالحياة لا تمنحنا السعادة بل نحن من يمنح الحياة السعادة هذه هي الحقيقة المجردة فهي بدوننا كبيت خرب»
رفع السماعة وقلبه مملوء بالشوق لها و قد سبقه خياله إليها ليضمها ويقبل خصلات شعرها المنثورة على جبينها الرائع أدار القرص إلا أنه قبل أن يضع اصبعه على الرقم الأخير أغلق الهاتف وعاد سريعا للوراء كمن لسعته حشرة سامة لن أعود إليك يا قطعة من قلبي لصالحك وصالحي إننا نبحر وحدنا في بحر ليس

لـه شـطئان ولـن يتقـدم أحـد لمساعدتنا إذا مـا أوشـك أحدنـا عـلى الغـرق ، سـنعيش مشـاعرنا ياصدفـة وسـيكبر حبـك داخـلي كل يـوم بعـدد نبضـات قلبـي إلى أن تبلغـي حـد السـماء ، سـأرعاك كـما كنـت دومـا واحيطـك بذراعـي عـن بعـد, أحبـك يـا صدفـة ولـن أحـب سـواك نـام وهـو يـردد أحبـك ..

سـمعته صدفـة كانـت منهمكـة في دروسـها وفجـأة نبـض قلبهـا بالحنـين تلـك النبضـة التـي لا يعرفهـا سـواهما عرفـت أنـه يفكـر فيهـا ويرسـل لهـا كلماتـه عـبر خيـوط الليـل بـدلا مـن خطـوط الهاتـف تعلـم يقينـا أنـه يحبهـا إلا أنهـا تعلـم أيضـا أنـه ضعيـف مـتردد لا يقـوى عـلى مواجهـة النـاس بذلـك الحـب يمنعـه كبريـاءه ،يخـشى ان يقولـوا وقـع في غـرام طفلـة, ضحكـت في نفسـها ،مـازال يعتقـد اني طفلـة ,سـأدعك وشـأنك يـا سـعد فأنـا لا أحـب الضعفـاء فالحـب عنـدي ثـورة وان لم تكـن قائدهـا فتنحـى جانبـا.

سـأتركك في عالمـك إلا أني أعـدك أن تظـل حبـي الوحيـد فلـن أنـسى أبـدا مـن بقلبـه قـص شريـط قلبـي وفتحـه للحـب والعـالم أحبـك يـا سـعد سـمعها وهـو نائـم فابتسـم .

بعـض القلـوب تتـدلى كالمصابيـح مـن سـماء حياتنـا ولكـن ثمـة أغبيـاء يطفئونهـا ثـم يذهبـون للبحـث عـن بقايـا شـمعة لتنـير لهـم الطريـق احتضنـت خاتمه وقلمه ونامت .

في اليوم التالي مر « سعد» على فاطمة أخذها وذهبا كي يتناولا الغذاء لاحـظ سـعد للمـرة الأولى أن فاطمـة قصـيرة القامـة بشـكل ملحـوظ وأن أحذيتهـا مرتفعـة بشـكل ملحـوظ أيضـا ، تذكـر أنهـا ترتـدي أحذيـة ذات كعـب مرتفـع حتـى في البيـت ، ممتلئـة إلى حـد واضـح شـعرها يميـل للـون البنـي ترفعـه بشـكل جميـل ينـاسـب كونهـا في العمـل ، تذكـر حجـاب «صدفـة « الملفـوف حـول رأسـها الصغـير ثـم نظـر مـرة أخـرى إلى فاطمـة وجدهـا مبتسـمة, كانـت دائمـة الابتسـام لدرجـة

تجعل من يراها يبتسم دون مناسبة هادئة الطباع من المتوقع أن تكون زوجة مريحة وطائعة .
جلسا على طاولة في نهاية المطعم اختارها بعيدة عن الزحام كي يتثنى له الحديث معها بشكل أفضل
أعطاها قائمة الطعام لتختار ,فطلبت منه أن يختار لها نفس اختياره كان سعد قد توقع أن تتصرف على هذا النحو ,لو كانت صدفة في مكانها لاختارت لنفسها وأصرت أن تختر له أيضا وهي تُلح عليه أن يجرب هذا وذاك وتُقسم له أنها ستنال إعجابه
هل تُحبين القراءة ؟ : سألها سعد
لا ,أحب الرياضيات لذلك دخلت كلية التجارة أجابت فاطمة
ضحك بصوت سمعه زبائن المطعم جميعا تقريبا ثم قال : لا أقصد مادة القراءة في المدرسة ، لكن أقصد القراءة الحرة في أي علم حتى لو كان الرياضيات
قالت لا لا أحب أي قراءة ، نطقت بسرعة كأنها تخشى أن تعترف ولو على سبيل المجاملة بحبها للقراءة فيورطها في قراءة كتاب ما
ابتسم سعد وهو يهدأ من روعها وقال ساخرا لا تقلقي فأنا لن أختبرك في القراءة قبل الغذاء هذه المرة ولكن المرة القادمة عليك أن تستعدي للاختبار قبل كل وجبة .
ردت مبتسمة : لا أريد غذائك إذا كانت القراءة ستكون شرطا له
تناولا الغذاء ثم أوصلها إلى السكن وعاد إلى بيته بخطوات ثقيلة فقد كان يُسرع عائدا كل يوم من أجل «صدفة» والأن أصبحت حياته خاويه .
عادت صدفة من اختبارها فقد بدأت الاختبارات النهائية للمرحلة الثانوية وجدت حركة غير عادية بالبيت ، وشمت رائحة أحاديث جانبية وهمسا ,سألت أمها فأخبرتها بأن شخصا مناسب تقدم لخطبة سناء ، وأنها طلبت وقتا لتفكر فإذا ما وافقت سيأتي

لزيارتنا مع أهله ..
دخلت صدفة على سناء وهي تغني لها بصوت عال أغنية عن الخطوبة ، أحمر وجه سناء وقالت : لا تمزحي بل تعالي وفكري معي أوافق أم أرفض
قالت صدفة : لماذا توافقين ولماذا ترفضين؟
نظرت سناء وعلامات عدم الفهم مرسومة على ملامحها وعيناها مفتوحتان بمقدار فمها !
قالت صدفة : اياك وهذه النظرة والعريس عندنا وإلا لن يعود مرة أخرى ، ثم ضحكت وهي تواصل حديثها أقصد لماذا ترفضينه؟ ما أسباب الرفض وما أسباب القبول ؟ وما مدى مناسبته لمواصفاتك
ردت سناء : لم أضع مواصفات محددة إلا أني أريد شخصا مقبولا في كل شيء يوفر لي حياة كريمة
رفعت «صدفة» كتفها وقالت : إذا ليس هناك أي داع للحيرة ، فليأتي وتقرري بعدها بما أنك موافقة على ما سمعتيه عنه فلم يبق غير رؤيته والحديث معه
قالت سناء : صح ! لا أدري لماذا ظننت أنه يجب علي أن أحتار وأبدو مشغولة الذهن ؟
قالت صدفة : إنها الطقوس يا أختي ، وإن لم تفعلي ذلك كان الزواج باطلا على ما أعتقد ,ولو علم زوجك أنك لم تفكري وتحتاري لأعادك إلينا بعد الزواج بأربعة وعشرين ساعة
ضحكا الاثنان وتوجها إلى والدتهما في المطبخ ليخبراها أن سناء وافقت أن يأتي لزيارتهم ..
تم تحديد بعد الغد لزيارة العريس وأهله ، عادت صدفة من اختبارها فوجدت البيت يستعد للزيارة ، وأصناف من الحلويات والمقبلات مصفوفة بجوار أنواع عديدة من العصائر ، والجميع أعلن حالة التأهب القصوى .

تركتهم يستعدون وأخذت كتبها وذهبت إلى منى صديقتها وزميلة دراستها لتذاكر هناك فليست على استعداد بأن تضيع اختبار الغد في مراسم استقبال العريس واكتفت بأن تسمع رأيهم النهائي ..

كانت تذاكر بجد واجتهاد تتوقف كثيرا بين وقت وآخر عندما يدق قلبها دقة الحنين ، وعندما تدق الساعة لتعلن منتصف الليل فتهمس لها إنه موعدي مع الحياة ،

الآن لم يعد لها من عالمها الصاخب به إلا السكون

« فإن الفراغ الذي يتركه أحدهم كمثل حالة الصمت التي نعيشها بعد سماع دوي انفجار هائل على بعد متر واحد منا» .

تذاكر صدفة دروسها وتنخرط في التعاملات اليومية في المدرسة وفي البيت إلا أنها لازالت تعيش وهي تشعر بأنفاسه قربها ولا تفكر أبدا في أن تتحرر من هذا الشعور بل تتمنى المزيد ، تتمنى أن تعيش بين جلده ولحمه ولا ينتزعها أحد أبدا فالحب الحقيقي هو الذي نعيش فيه ونموت إذا خرجنا منه كمثل الأسماك التي تموت إذا ما خرجت من الماء .

عادت صدفة بعد اتصال سناء بها واخبارها بأن العريس وأهله انصرفوا وأنها وافقت عليه

ضحكت « صدفة « : هكذا بسرعة ؟ يبدو أني سأنفرد بالغرفة للأبد وضحكت ودق قلبها ,هل تحتاج الانفراد بالغرفة الآن ؟

انتهت الاختبارات وبدأ الاستعداد للخطوبة على أن يكون الزفاف بعد عام حيث تنهي سناء من دراستها

بعد الخطوبة بعدة أيام ظهرت نتائج الامتحانات ونجحت صدفة وأهلتها علاماتها للدراسة في كلية الآداب كما تمنت أن تكون بين الكتب دوما ..

التقى سعد بفاطمة عدة مرات خلال هذه الفترة فقد طمع في أن تنسيه صدفة إلا أن هذا لم يحدث حتى الآن ، في كل مرة يخرج

معهـا ينـوي أن يفاتحهـا في أمـر الـزواج منهـا إلا أنـه يعـود دون أن يتكلـم في هـذا الأمـر ,ولا في غـيره تقريبـا ، فالحديـث مـع فاطمـة مبعثر ممـزق ، غـير مترابـط ,هـو مـن يديـر الحـوار هـو مـن يبـدأ وهـو مـن ينهـي الحـوار ، تُشـعره فاطمـة بشـعور يُغـذي غـروره تجعلـه مسـئول عنهـا وتخـبره أنـه يعـرف كل مـا لاتعرفـه ، وأنهـا بغـيره لا شيء ,إلا أنهـا لم تسـطع أن تهبـه أكـثر مـن ذلـك ، تذكـر صدفـة وحديثهـما اليومـي ، لقـد نجحـت في أن تكـون ابنتـه وامـه في آن واحـد ..

لا يـدري كيـف جمعـت بينهـما ولكـن اهتمامهـا بـه وسـؤاله عـن أدق تفاصيلـه وتأكيدهـا عـلى أنـه يتنـاول وجبـات خفيفـة في وسـط النهـار وأن يـشرب الكميـة اللازمـة مـن السـوائل ، وان ينـام بشـكل جيـد وأشـياء كثـيرة فعلتهـا الصغـيرة كـما لـو كانـت أمـه وليـس مجـرد طفلـة إلا أنهـا نجحـت في هـذا أيضـا وهـي تمـارس دورهـا الحقيقـي والواقعـي كونهـا طفلـة بريئـة ، وكانـت لـه أفضـل صديـق فمعهـا نـسي أصحابـه وكل مـن حولـه ..

يعـود سـعد كل يـوم ليمسـك بسـماعة الهاتـف يديـر الرقـم كأنـه يمـارس طقـوس دينيـة ينبغـي أن يمارسـها كل ليلـة يختـم بهـا يومـه ، ثـم يضـع السـماعة دون أن يتصـل بهـا .

هـذه الليلـة شـعر بالحنـين يعصـف بـه مـن كل جانـب وكيـف تتخبطـه الأمـواج فتلقيـه عنـد أقدامهـا ، يشـعر بـبرد أشـواقه ويعلـم أنـه مـا مـن أحـد قـادر عـلى أن يدفـئ رعشـة أوصالـه سـواها مـا الحـل ياصغـيرتي معـك ؟ مـا الحـل ! لقـد وصلـت لحـد ادمانـك دون البـشر أخبرينـي باللـه عليـك مـاذا أفعـل ؟! .

قـرر أن يكتـب لهـا رسـالة يـشرح لهـا مـا حـدث لعـل تبريـره لغيابـه وانسـحابه المفاجـئ مـن حياتهـا يهـدئ مـن روعـه ، أحـضر قلـما وورقـة وبـدأ في الكتابـة..

حبيبتي **صدفة** ،

نعم حبيبتي وألف ألف حبيبتي ولن أحب سواك ما حييت لعلك تتعجبين من كلامي إلا أنها الحقيقة الوحيدة التي أحياها وما عداها فهو محض زيف وبؤس .. لكن الحقيقة الأخرى المساوية لها تماما أننا لن نستطيع الارتباط أبدا ، كنت في البداية اعتقد أن فارق السن بيننا هو المانع الوحيد الذي قد يمنع ذلك إلا أني مع الوقت وجدت أسبابا أخرى خاصة بعد اعتقاد والديك بأني أتيت اليكم لأخطب أختك وما تبعها من سؤال أبيك عني والحوار الذي دار من فترة اتهمني البعض فيها بأني شيوعي وقال اخرين اني علماني وتلك حقيقة أخرى يا حبيبتي فمعتقدي لن يناسبك ابدا لكني أعترف لك حينما رأيت وجهك يشع نورا من بين حجابه أحببت فكرة الحجاب التي طالما رفضتها وبشدة ..
أخشى عليك يا صغيرتي مني لأنني أحببتك أكثر من نفسي وسأظل..
قد اتزوج يا أغلى من نفسي إلا أنني سأحتفظ بك داخلي للأبد ..

سعد

كانت مهمة كتابة الرسالة أسهل بكثير من مهمة تسليمها لها .
فكـر كثـيرا فهـو لا يريـد أن يتهـور فيتسـبب في كارثـة جديـدة لهـما خاصـة بعدمـا فـسروا زيارتـه لهـم أنهـا لخطبـة سـناء .
وأخـيرا وجـد الحـل أخـذ كتـاب ذا جلـد سـميك ثـم شـق الجلـد بحـذر شـديد بوسـطة شـفرة حلاقـة وضـع الورقـة داخلـه بـين الطبقـين وأعـاد لصقهـما بشـكل متقـن ,قلـب الكتـاب بـين يديـه ، لا يوجـد أثـر أبـدا للورقـة ..
في اليـوم التـالي اتصـل عـلى فاطمـة وأخبرهـا أنـه يريـد أن يُرسـل كتـاب لصدفـة طلبتـه منـه مـن فـترة طويلـة ، وتمنـى أن تأخـذه معهـا في نهايـة الأسـبوع عندمـا تُسـافر إلي أهلهـا ..
أعطاهـا الكتـاب وأراد أن يؤكـد عليهـا أن تعطـي الكتـاب لصدفـة وأن تتأكـد مـن أنهـا تسـلمته ,لكنـه خـشي أن تشـك فيـه ، أعطاهـا الكتـاب وأوصاهـا بكلـمات بـدت عاديـة ثـم ودعهـا وانـصرف .
دخـل غرفتـه أخـذ يـروح ويجـيء بالغرفـة ، مـاذا لـو أعطـت فاطمـة الكتـاب لأحـد مـن أخـوات صدفـة أو والديهـا مـاذا لـو شـك أحدهـم وسـأل نفسـه مـا علاقـة سـعد بهـا ليرسـل لهـا كتابـا ومتـى طلبتـه منـه ؟ أدرك سـعد أنـه أخطـأ للمـرة الثانيـة ، لابـد أن يتصـل بصدفـة لتتعمـد أن تـرى فاطمـة وتأخـذ الكتـاب قبـل أن تذهـب إليهـم هـي ، لابـد أن أتصـل بهـا ، خفـق قلبـه ,لم يسـمع صوتهـا منـذ فـترة طويلـة ، نظـر في سـاعته بقـي نصـف سـاعة عـلى الموعـد المحـدد لهـما ,سـينتظر ، سرح بخيالـه :هـي الآن في شرفـة غرفتهـا تقـرأ أحـدى الروايـات .

كانت صدفة في شرفتها تقرأ رواية شيقة جدا مندمجة فيها وبين سطورها ، تنتبه من فترة لأخرى على صوت قلبها ودقة الحنين, قطع رنين الهاتف الصمت المخيم على قلبها وعلى البيت ، توقعت صدفة أن يكون هو لكن لم تعرف كيف تتصرف, تسمرت في مكانها ,هل تسرع لتجيبه أم

ماذا تفعل ، سأجيب خرجت من غرفتها مسرعة ..
توقف رنين الهاتف يأس من الجواب : قالت في نفسها
إلا أنها سمعت صوت والدها يقول : آلو
اضطرب سعد ودارت به الغرفة دورتين قبل أن يسيطر على أعصابه ويتحكم في نبرة صوته ويتكلم بشكل هادئ تماما : آلو ؟
رد والد صدفة عليه : من أنت ؟ وماذا تريد ؟
فرد سعد في برود تام : أنا أحمد وأريد أن أتكلم مع والدتي ، من أنت ؟
رد والد صدفة موضحا : اتصلت برقم خاطئ على ما يبدو !
قال « سعد» : اعتذر جدا وآسف على الازعاج ووضع السماعة ، ماذا يفعل الآن ؟ من المستحيل أن يتصل مرة أخرى ، فقد استغل كون والد صدفة لا يعرف صوته وليس معتادا على الحديث معه إلا أن الاتصال مرة أخرى لن يمر مرور الكرام .
عادت صدفة للوراء خطوتين ودخلت غرفتها ، تأكدت أن المتصل كان هو ، لكنها لازالت في حيرة من أمرها تتساءل : لماذا يتصل الآن ؟! ماذا يريد ؟ ألم يودعني بكلمات جافة قاسية ,يستطيع دوما أن يلفظني خارج حياته بكلمه لذلك يعتقد أن من الطبيعي أن أعود له أيضا بكلمة ، وقفت مرة أخرى في شرفتها وفتحت روايتها وأخذت تقرأ وتقرأ إلا أنها لم تستوعب حرفا واحدا مما قرآته فعقلها مشغول بسؤال لم تجد له جواب : لماذا يتصل الآن!.
نام سعد وهو يُفكر كيف سيخبرها بأمر الرسالة ، لم يجد غير حل واحد هو ما سيفعله غدا .

في الصباح فكرت صدفة ألف مرة أن تتصل بسعد إلا أنها في كل مرة تتراجع في اللحظات الأخيرة ، لن أتصل به مرة أخرى بل لن أعود إلى حديثي معه أبدا مهما ساق من تبريرات واعتذارات .
في الصباح خرجت هي وسناء» لشراء بعض الملابس الجديدة

والاحذيـة وكل مـا يلزمهـما للجامعـة ,فهـذا عـام صدفـة الأول فيهـا وعـام سـناء الأخـير ، فلـم يعـد يفصـل بينهـا وبـين التخـرج غـير هـذه السـنة ,التـي أصبحـت تفصلهـا أيضـا عـن الزفـاف والانتقـال إلى عـالم «الزوجات».

وفي المسـاء عـادت كل واحـدة وهـي تحمـل مجموعـة كبـيرة مـن الأكيـاس بهـا العديـد مـن الملابس والأحذيـة والحقائـب والاكسسوارات, ولم تنـس صدفـة أن تشـتري روايـة جديـدة .

قصـت الفتاتـان لوالدتهـما تفاصيـل اليـوم وكيـف تمـت عمليـة الـشراء بنجـاح وأن أحـدا مـن التجـار لم يخدعهـم في الأسـعار وكيـف رفعـوا أقـصى درجـات اليقظـة والانتبـاه في صـد محـاولات أصحـاب المحـلات المسـتميتة في رفـع أسـعار بضاعتهـم .

لملمـت «صدفـة» أغراضهـا ووضعتهـا في خزانـة الملابـس تريـد أن تنتهـي مـن كل شيء سريعـا فاليـوم لديهـا احتفـال خـاص، روايـة جديـدة لكاتبهـا المفضـل ، أي سـعادة تغمرهـا الآن ، تسـتطيع أن تنـسى العـالم كلـه بروايـة ,إلا «هو»لـن تخـدع نفسـها ولا تحـب أن تخدعهـا ,فلقـد كانـت واضحـة تمامـا وصريحـة مـع نفسـها ، أعلـم أني قـد أنـسى كل شيء إلا هـو ,فحوائـط النسـيان ليسـت فولاذيـة بـل هـي رقائـق «هشـة» ضعيفـة تسـقط بمجـرد أن تتكـئ عليهـا نظـرة واحـدة مـن عـين أحدهـم .

أعـدت كوبـا مـن الشـاي بالحليـب وأخـذت روايتهـا واتجهـت للشرفـة, وضعـت الروايـة عـلى حافتهـا وبـدأت تشرب في هـدوء حتى لا تسـتيقظ اختهـا وهـي تسـأل نفسـها : مـاذا يفعـل الآن يـا تـرى ؟

كان كل واحـد منهـما يسـتطيع أن يُخـبرك أيـن الآخـر في هـذا التوقيـت ومـاذا يفعـل ، حتـى التفاصيـل البسـيطة في اليـوم كانـا عـلى علـم بهـا, لذلـك كان مـن السـهل عليهـا أن تتنبـأ بمـكان وجـوده الآن, في غرفتـه ينتظـر أن تـدق السـاعة معلنـة أن الليـل قـد انتصـف ,فيهمـس لهـا

«أحبك» وتهمس له أيضا «أحبك» .
عاش بعضهم يعتقد أن الالتصاق الجسدي أسمى معاني القرب والذوبان ومات قبل أن يشعر بقوة الالتصاق الروحي الذي يدوم ما دامت الروح ولا ينقطع بانتهاء لذة .
آه يا سعد ، سأظل لك ، مهما باعدت بيننا الأيام والمسافات ، لن أنسى من بقلبه قص شريط قلبي ,أخذت الرواية وفتحتها لتقرأ الإهداء لفت نظرها شخص يقف بجوار سيارته أسفل الشرفة .
كان الشارع مظلما إلى حد ما إلا أنها استطاعت أن تعرفه ، رغم مرور ثلاث سنوات ، ورغم أنها لم تلتق به إلا مرتين ، إلا أنها عرفته ، وكيف يمكنها أن تُخطيء ذلك الوجه الذي ترسمه على جدران عالمها ,تفتش عنه دوما بين كل الوجوه التي تلتقيها عسى أن يمُن القدر عليها بلقاء ولو كان على سبيل « الصدفة « إنه هو «فارسي» الذي لم يخطئه قلبي فكيف تخطئه عيني؟
لم يكن أمام سعد غير هذا الحل ، استعار سيارة أخيه ، كان يعلم مكانها ، مهما كانت مشغولة ومهما امتلأ المنزل بالناس فعند منتصف الليل ستأتي إلى الشرفة لتخبرني أنها تحبني ، على العهد يا صدفة وكذلك أنا .
وصل بالسيارة قبل الموعد بنصف ساعة تقريبا انتظر في السيارة حتى رآها تطُل من الشرفة كالقمر حينما يطُل على الكون مختالا بنوره .
كبرتِ يا صغيرتي ، فرغم ظلمة الشارع إلا أنه استطاع أن يميز وبوضوح أنها ازدادت طولا وجمالا ، ابتسم وهو يرى شعرها ينسدل متحررا من ضفيرته يتدلى خارج الشرفة وكأنه يسافر بها إلى بلاد الأساطير والروايات التي تعشقها ,لم يرفع نظره عنها لدقائق بدت له دهرا طويلا .
غاصت الأرض تحت قدميها وشعرت أنها سقطت في غرفة المحامي

الذي يسكن أسفل منهم ، اشتعلت وجنتاها كالجمر ,خفق قلبها بطريقته الخاصة ، نظرت خلفها في ارتباك تتأكد من أن لا أحد خلفها وأن اختها لا زالت نائمة كما نظرت لأعلى كي تتأكد أن لا أحد من الجيران يراها ، ثم دخلت بسرعة ولفت رأسها بحجابها وعادت مرة أخرى ، تنظر إليه وينظر إليها ولا تعلم ماذا تفعل!
هي تعلم تماما ما تريد أن تفعله ، تريد أن تنزل له فورا ، بل تريد أن تقفز من الشرفة لتستقر أمامه في لحظة ، إلا أنها لا تستطيع أن تنزل أبدا من بيتها في هذه الساعة .
أشار سعد لها وهو يبتسم بابتسامة فتحت لها كل أبواب العالم:أريد أن اتحدث معك ضروري .
نظرت له وهي محتارة لا تعرف كيف تتصرف ، لا يمكن أن يأتي إلى هنا بهذه الطريقة الا اذا كان أمرا ملحا ، لكن كيف أتحدث معه ؟! من المستحيل أن أنزل الشارع الآن ؟! ماذا أفعل ؟!

دخلت مرة أخرى إلى غرفتها وأخرجت « بكرة خيط» وضعت في طرفها قلم وورقة وبسرعة ألقت بالخيط من الشرفة فسرعان ما استقر عند قدميه ، رفع رأسه وضحك وأشار لها : « مجنونة».
كتب لها عن أمر الرسالة التي وضعها في غلاف الكتاب وأرسلها مع «فاطمة « وأن عليها أن تُسارع لتأخذها منها قبل أن تُعطي الكتاب لأحد من أهلها .
سحبت صدفة الخيط قرأت الرسالة وعندما مرت على اسم «فاطمة»اشتعلت غيرة وغيظا ، إلا انها ردت عليه بعبارة واحدة: «طيب» .
ألقت بالورقة التي استقرت للمرة الثانية عند قدميه فتحها فوجد فيها كلمة واحدة ، أمسك بالقلم وكتب لها : كلمة واحدة أليس لديك شيئا آخر ؟

سحبت الورقة وردت عليه : هذا ردي على ما كتبته ، فهل عندك أنت شيء أخر ؟

ألقت بالورقة قرأها سريعا ورفع رأسه إليها كم كان مشتاقا لمجرد سماع صوتها وهو الآن يراها أمامه ، جميلة حتى في حجابها ، يا صدفة قلبي لقد أحببت الحجاب خاصة عندما يُحيط بوجهك .

كتب لها : نعم لدي شيء أخر,أحبك .

سحبت الورقة وآخر ما تتوقعه أن يُخبرها سعد بحبه ,احمر وجهها خجلا ودخلت إلى الغرفة ، كيف ستنظر إليه وماذا ستخبره بعد هذا ؟

لقد كانت غاضبة منه ,أما الآن فلم يعد للغضب أثرا .

عادت ونظرت إليه إلا أنها لم تكتب شيئا ، طلب منها الورق والقلم .

ألقتهم دون أن تخبره أنها أيضا تحبه .. وهل يحتاج إلى ذلك ؟ّ!

كتب لها : انتظرك غدا بعد منتصف الليل .. اشتقت إليك .

سحبت الخيط وقرأت الورقة وأشارت برأسها موافقة .

ركب السيارة وهم بالانطلاق إلا أنه تسمر في موضعه وسرعان ما خرج منها .. ومجددا طلب منها أن تلقي «الخيط» .

ألقت له بالخيط والقلم ,أخذ القلم والورق لنفسه ,ثم ربط في طرف الخيط «أسطوانة» لمطربهما المفضل كانت في سيارة أخيه .

سحبت الخيط وأخذت الأسطوانة .

دخل سعد السيارة وأدار المحرك ,إلا أن المحرك لم يدر ، حاول سعد إلا أن المحرك أقسم أنه لن يعمل ، كان يعلم أن السيارة قديمة ولكن لم يكن يتخيل أن تغدر به الآن وهنا ، خرج سعد من السيارة وهو لا يدري ماذا يفعل ؟ السيارة تقريبا تحتاج إلى أحد يدفعها، يخشى أن يستيقظ أحد من أهل صدفة ويراه، يخشى الجيران ، ماذا أفعل ؟ هل أترك السيارة هنا ؟ وكيف سأعود ؟ هل

أنام فيها ؟ وماذا لو استيقظت على صوت والد صدفة ؟ تصبب العرق من جبين صدفة وهي تراقب الموقف ، ماذا لو استيقظ والدي الآن ؟ وماذا لو ظلت السيارة معطلة لوقت صلاة الفجر سيراه والدي حتما .

همس سعد لها من أسفل الشرفة أن السيارة بحاجة إلى « دفع»,ثم ابتسم قائلا : هيا انزلي لتساعديني وإلا سأظل تحت شرفتك إلى الغد .

ردت عليه وهي تبتسم : لن تظل للغد فماهي إلا ساعات قليلة وسينزل أبي لصلاة الفجر وحينها سيدفعك وبقوة .

هل تعتقدين أنه سيدفعني بيديه أم سيستخدم الأسلحة الثقيلة: أجابها وهو يضحك .

ردت : هل تعتقد أن هذا وقت مزاح عليك أن تطير من هنا قبل أن يستيقظ.

أجاب : أطير ؟ أنا أريد أن أبقى هنا عمرا كاملا ، أما هذا المحرك فله عندي مكافئة كبيرة لكن عندما أعود .

قالت باسمة : انتظر حتى ترى مكافئة أبي أولا ثم حدد ما ستفعله بالمحرك بعدها .

رفع رأسه لأعلى وأحاط فمه بكلتا يديه وهمس لها : صوتك جميل لماذا القيت بالقلم والورقة ولديك هذا الصوت الساحر ؟!

استطاعت كلمات سعد أن تحيل وجنتي صدفة كقطعي جمر من وهج احمرارهما حتى أنه لاحظ ذلك فابتسم وعاد يحاول في السيارة .

وفجأة دخل الشارع رجل في العقد الرابع من عمره تقريبا, اختفت صدفة وراء النافذة وهي تدقق النظر لعلها تتعرف عليه, إلا أنه بدا لها غريبا ، اقترب الرجل من» سعد» وسأله لماذا يقف هكذا بجوار السيارة ؟

قال سعد : تعطل المحرك .

رد الرجل : تعطل المحرك أم أنك كنت تسرقها ؟
رد سعد : قلت لك تعطل المحرك كنت في زيارة لأحد أقاربي وبعد خروجي من عندهم فوجئت أن المحرك متوقف وأريد أحدا يدفعني فأنا معتاد على ذلك .
رد الرجل في خبث : ولماذا لم تطلب من أقاربك أن يدفعوك طالما كنت في زيارتهم .
أجاب سعد في ثقة وقد توقع أن الرجل ليس من سكان الشارع لأنه لم يسأله كنت في زيارة من ؟ وهذا أمر بديهي لرجل يقطن نفس الشارع : عمتي مريضة وابنتاها لا تزالان صغيرتين ، كما انه من غير اللائق أن ينزلا للشارع في وقت متأخر ، وسحب رخص السيارة من جيبه وهويته وأظهرهما للرجل بثقة .
قال الرجل : اركب وأنا سأدفعك .
ركب السيارة وأدار محركها وحرر « الفرامل» دفعه الرجل بقوة فدارت السيارة رفع سعد يده للرجل يشكره وانطلق خارج الشارع .
إلا أنه بعد لحظات عاد ودخل الشارع مرة أخرى ووقف تحت النافذة ، وجدها مازالت تقف هناك .
لم يوقف محرك السيارة إلا أنه أخرج رأسه من النافذة ينظر إليها وجدها تلملم بقاياه ,تلهث خلف طيفه وتقتفي أثره ورائحته ، بعض من أنفاسه التي نثرها في المكان قبل أن يغادر
ودموع الاشتياق تترقرق في مقلتيها ,وفجآة وجدته أمامها مرة أخرى، أرادت أن تقفز من النافذة أو أن تنزل سريعا إليه ,إلا انه يجب أن يُغادر سريعا قبل أن يستيقظ أحد ، لوحت بيديها معلنة عن فرحتها لعودته ، ابتسم وأدخل رأسه واعتدل في جلسته وانطلق .
جلست في شرفتها تقرأ روايتها وتنظر للساعة تعد الدقائق حتى تتأكد من وصوله إلى بيته سالما ، هل تتصل به لتطمئن عليه ؟ أم

تنتظر حتى تقرأ الرسالة ؟
فلتحمل الرسالة ما شاءت من الكلمات لن تُغير شيئا من واقعنا, لن تباعد بين قلبينا حتى لو باعدت المسافات والظروف .
خرجت إلى الصالة لم يكن أمامها مفر من ان تستخدم الهاتف الخارجي حتى لا تستيقظ اختها وتضبطها متلبسة بجريمتها .
أدارت الرقم رفع السماعة سريعا مما جعلها تتأكد أنه كان ينتظرها.
كان الحوار بينهما مرتبكا قليلا في البداية ثم سرعان ما عاد الحوار لطبيعته وانطلقا يضحكان على منظره وهو يحاول مع السيارة التي اقسمت الا تتحرك من تحت البيت وحكى لها عما قاله الرجل ولماذا توقع انه ليس من سكان الشارع .
نسيا أن يتعاتبا ؟ أو يسألا عن سبب الغياب؟ ومن المخطئ ؟! ولماذا ..وكيف .. ومتى ..؟! لا مجال بينهما لمثل هذه الأسئلة.
كبرت يا صدفة : قال سعد !
احمر وجهها خجلا ولم ترد .
كبرت يا صدفة داخلي وأمام عيني وفي خاطري لا أحد في الدنيا أقرب لك مني صحيح ؟ سألها .
أجابت في حياء : صحيح .
أين الضفيرة ؟ سألها .
أجابت في خجل : موجودة .
تذكر عتمة شعرها الذي كادت أن تنافس به عتمة الليل منذ قلي وتلك الخصلات التي تقبل عينيها من وقت لآخر فترفعها بيديها إلا أنها تأبى أن تبتعد عن ذلك الوجه المضيء والعينين اللامعتين فتعود مسرعة لتقبلهما مرة أخرى .
قالت : غدا سأذهب إلى فاطمة وآخذ منها الكتاب حاولت أن تأخذ الكلام بعيدا عن مشاعرهما خاصة أنها كانت تشتاق إليه حد السماء ، ولا تريد أن ان تترك نفسها لمشاعرها فتجرفها في بحر

هـواه فـلا تتمكـن مـن العـودة .
أجابها : سأنتظر مكالمتك غدا .
تمنـت لـه ليلـة سـعيدة وكذلـك هـو وأغلقـا السـماعة وذهـب كل منهـما لفراشـه مبتسـما مـن قلبـه لأول مـرة منـذ فـترة طويلـة ,همـس لهـا قبـل أن ينـام « أحبـك» .
سـمعته وهـي لازالـت تتذكـر نظراتـه حينـما عـاد مـرة أخـرى تحـت النافـذة ، رقـص قلبهـا مـن الفرحـة ، وأرادت لـو أنهـا تكتـب بالنجـوم في عمـق السـماء أسـعد لحظـة في حيـاتي حينـما عـاد مـرة أخـرى ، مـا أصعـب الشـعور بالفقـد ومـا أقـسى الرحيـل حينـما يرحـل أحدهـم بقلبـك بعيـدا ومـا أجمـل احساسـك حـين تـراه في لحظـة شـعورك بفقـده موقنـا أنـه رحـل فـإذا بـه يهتـف باسـمك تلتفـت ببطء وأنـت تسـأل نفسـك هـل عـاد حقـا ام أن طيفـه هـو الـذي يلاحقنـي؟
آه يـا سـعد لهـذا أحبـك وسـأظل أحبـك ,أنـا أحـب روحـك ,قلبـك الذي لم يـره غـيري ، في قلبـك يجـري شريـاني ,وفي عروقـي تـسري دماؤك .
كان الصبـاح فرحـة لـكل منهـما ,فـما أجمـل الصبـاح حينـما يكـون أحدهـم جـزء منـه ، كيـف يعيـش البعـض دون أن يتـذوق تلـك اللـذة, لـذة مناجـاة قلبـك المختبـئ في جسـد آخـر ؟!
التقـت بفاطمـة وأخـذت منهـا الكتـاب وعـادت سريعـا ,دخلـت غرفتها وأخرجـت الرسـالة مـن مخبأهـا لتقرأهـا
لم تعـد تـرى الحـروف حينـما اختلطـت بالدمـوع ، مـا هـذا الـذي تقرأه! يخبرهـا بأنهـا حبيبتـه   ولم ولـن يعشـق سـواها ,ثـم يُخبرهـا أنـه مـن المسـتحيل أن يرتبطـا ,باللـه عليـك أخـبرني مـاذا تفعـل بقلبـي هـل تعبـث بـه ؟ كانـت تـدرك جيـدا حقيقـة الـصراع الـذي يـدور داخلـه وتلتمـس لـه ألـف عـذر وعـذر ,لكـن مـا هـذا التشـتت والتمـزق الذي يلفهـا بـه ؟ أخـذت تبـكي .
دخلـت عليهـا أمهـا حينـما سـمعت نحيبهـا ، جلسـت بجوارهـا

واحتضنتها وسألتها عن سبب بكائها ، لكن العبرات تتجمع في أعماقها تشعر بالاختناق كلما فكرت مجرد تفكير في الكلام, ماذا أقول لك يا أمي ؟ هل يرضيك أن أخبرك بأني أعشق سرابا ، أجري وراء طيف ، الهث خلفه ليلا ونهارا لا افكر إلا فيه مهما كثُر الناس حولي ومهما زادت أشغالي فأنا لا أحد غيره ، هل سيرضيك يا أمي أن أقول لك أني أهيم وراء صوته ، وأعشق أنفاسه ، لحظات صمته ، لا يبرح خيالي خياله ولا يفترق عنه أبدا ؟ تسألين يا أمي عن سر بكائي ؟ هل أخبرك أني أبكي قلبي الآن وأشيعه إلى مثواه الأخير ، لأني لن أحب سواه مهما عشت، سأكون مجرد جسد من خشب يعيش على بقايا حبه وذكرياته, وأني سأعيش ما بقيت أختلق أعذارا وأسبابا أقدمها لكم عندما تسألوني عن سر دموعي !

أصرت الأم أن تعرف سر دموعها المنهمرة ، مسحت صدفة دموعها واخبرتها سببا ألفته في التو عن زميلتها التي يُصر والداها على أن تتزوج وألا تستكمل تعليمها .

وأخذت تحكي للأم عن بعض تفاصيل اخترعتها لتضفي على القصة جوا من الدراما ، حتى بكت الأم مع ابنتها ، وارتفع نحيبها وهي تفكر أيضا في زواج سناء الذي اقترب وكيف ستترك البيت وتذهب لبيت آخر ,علا صوت بكاء الأم وهي تمسح أنفها ودموعها التي تتساقط بغزارة ، نظرت صدفة إلى والدتها وجدتها تبكي بحرقة على القصة التي اخترعتها فلم تتمالك نفسها وانفجرت ضاحكة ، توقفت الأم عن البكاء ونظرت لابنتها متسائلة عن سر ضحكتها ، إلا انها واصلت ضحكاتها وقفت الأم ورمت صدفة بنظرة غضب وانصرفت وهي تدعو لها بالشفاء العاجل حيث أن حالتها كادت أن تكون مستعصية .

وعند منتصف الليل كانت صدفة قد استعدت جيدا للاتصال وتعرف جيدا ما ستقوله ، هي ليست انفعالية ولا تتخذ قرارات

لحظية وتتحمل دائما حماقاته وانفعالاته في القرب والبعد وقد اتخذت قرارها بأنها ستظل معه كأصدقاء ,فإذا ما انقلب عليها فجأة كعادته متذرعا بأي سبب يبرر به انسحابه من حياتها ستودعه حينها في هدوء ,كما لو كانا على موعد سابق مع الفراق, لن يكون الفراق مؤلما أبدا ولا مأساويا ، لن تبكي بين يديه كما لو كانت طفلة صغيرة ,بل ستبكي وحدها بعيدا عنه ، ستترك له عالما من بقاياها ، يؤنس وحدته ، ويمسح على شعره ، ستترك له قصاصات الحنين والذكريات فاذا ما اشتاق إليها أخرج قصاصاته ليصنع منها عالما ليس له مثيل في دنيا العشاق .

قرأتِ رسالتي؟: سألها

أجابت في هدوء : نعم

ما رأيك ؟ قال سعد في صوت بدا لها خائفا

قالت : لا جديد

لا أفهم : أجاب

ردت : ما كتبته ليس جديدا ولا غريبا ، أنا أعلم أنك تحبني وأنت تعلم أني لن أحب سواك ، أذهلته بصراحتها لأول مرة مما جعله يردد في نفسه « كبرتِ يا صدفة»

أكملت حديثها : كما أني أعلم أن ارتباطنا مستحيلا .

قال في صوت منخفض وبائس في آن واحد : توقعت أن تعديني بأن تكوني لي حتى لو أعلنتِ الحرب على الجميع حتى لو أعلنتِ الحرب علي أنا أيضا و أعلم أنك تستطيعين خوضها والانتصار فيها.

قالت : لن أعدك بشيء لا أملكه الآن كما أني لا أستطيع أن أحارب من أجل شخص لا يعلم ماذا يريد ، أحيانا كثيرة تبدو لي كشخصين ,أحدهما يستحق أن أبيع عمري كله كي أربحه ، وآخر يدفعني دفعا لأن أغادره فورا .

صمت وصمتت ,تعلم أنها أصابت الهدف ويعلم أنها كانت دقيقة

جـدا في وصـف الـداء .

والحل ؟ : سألها

جـاء صوتهـا هادئـا ولكنـه مختنـق بالعـبرات : دعنـا نكـون صديقـين جيديـن ,نحـن سـنفترق لا محالـة في يـوم مـا ، وقـد كرهـت الفـراق, قلبـي يتمـزق كلـما فكـرت في أنـك قـد تغيـب عنـي ، هـل أخـبرك شـيئا؟ لم يرد ,وواصلت هي بصوت تغلفه الدموع .

يـوم أن وجدتـك تحـت شرفتنـا كأني وجـدت الدنيـا ، وامتلكـت كنـوز العـالم ومـاذا أريـد مـن العـالم غـيرك !، وعندمـا تركتني وذهبـت أخذت قلبـي معـك ، ولايـزال معـك ، فـلا تعذبـه يـا سـعد بقسـوتك, هـل تعلـم لماذا عـدت مـرة أخـرى تحـت النافـذة ؟

سألها : لماذا ؟

لأن قلبـي أتى بـك إلي مـرة أخـرى ، وسـيبقى دومـا يأتينـي بـك ,مهـما افترقنـا وتباعدنـا وتظاهرنـا بالنسـيان ، سـتظل لي ، سـيظل قلبـك لي ، لـن يملكـه غـيري .

دعنـا نكـن أصدقـاء لعلنـا نسـتمر معـا لفـترة أطـول ، فأنـا لا أقـوى عـلى الوقـوف كثـيرا بدونـك ، اعتـدت أن تكـون جـزءا مـن يومـي وأن يكـون لـك أثـرا في لحظـاتي أحـب أن تشـاركني خطـوط دفـاتـري ولـون ثيـابي وأحـب أن أشـاركك كل شيء كعـادتي ، أريـد أن أكـون دومـا جـزءا مـن حياتـك ,أقسـامك حتـى ملامحـك .

فلنكن صديقين اختتمت كلماتها.

أجابهـا سـعد : فلنكـن صديقـين ,لا يعلـم لمـاذا وافقهـا عـلى اقتراحهـا فهـو لـن يتوقـف عـن حبهـا للحظـة, لكـن لعلـه أراد ألا يخسرهـا الآن بنقـاش مـا حـول الأمـر رغـم أنهـما أبـدا لم يختلفـا حـول شيء ، كانـا متفاهمـين لدرجـة تصيبهـم بالاندهـاش مـن أنفسـهم أحيانـا .

مـرت الأيـام القليلـة التـي تفصلهـا عـن عالمهـا الجديـد حيـث سـتذهب للجامعـة ، تتكلـم مـع سـعد معظـم الليـالي ,إلا عندمـا تحـول بينهـما

الظـروف .
لم يبـح أحدهـما للآخـر بـأي مشـاعر تُعبر عـن الحـب والشـوق,رغم أن لحظـات الصمـت كانـت تتحـدث بالنيابـة عنهـما فـدارت معظـم الأحاديـث عـن الجامعـة ذلـك العـالم الجديـد الـذي دخلتـه حديثـا, تحـكي لـه عـن كل تفاصيـل يومهـا وهـو أيضـا ,يعلـم مواعيـد محاضراتها وكيـف تذهـب و متـى تعـود ومـع مـن ؟!
مـرت الأيـام تقريبـا متشـابهة حتـى ذلـك اليـوم الـذي ظهـر فيـه «خالـد» وكأن الأرض انشـقت عنـه فجـأة ودون أي مقدمـات !!
كانـت في المكتبـة تعيـد كتابـا وتسـتعير آخـر وتتحـدث مـع أمـين المكتبـة الـذي صـار مألوفـا لهـا بعـد ترددهـا المسـتمر عـلى المكتبـة مـن أول يـوم .
ومـا أن وقعـت اسـمها بجـوار اسـم الكتـاب في كشـف الاسـتعارة حتـى جاءهـا صـوت مـن خلفهـا .
هذا الكتاب رائع جدا ..
قالت صدفة : هل قرأته ؟
قال : نعم
لا تـدري لماذا تشـعر كـما لـو كانـت تعرفـه او أنهـا رأتـه قبـل ذلـك لكنهـا ليسـت متأكـدة مـن ذلـك .
قالت : سأقرأه وأحكم بنفسي .
قال بصوت خافت جدا : في الشرفة ؟
تسمرت في مكانها وتشنجت كل ملامحها وقالت : أي شرفة ؟
قال : شرفة غرفتك حيث تقرئين كل ليلة تقريبا .
من أخبرك عني ؟: قالت له
لسـت في حاجـة لأن يخـبرني أحـد ,أراك كل ليلـة حتـى تلـك الليلـة حيـث تعطلـت السـيارة .
شعرت صدفة بدوار وكأن الأرض تميد من تحت قدميها .

واصل حديثه : لكن السيارة دارت في النهاية ولله الحمد .
قالت له صدفة: وماذا أيضا؟
قال وهو يضحك ويخفض صوته أكثر : لا شيء سوى سلك الهاتف الخاص بالمحامي الذي يسكن أسفل منكم وما أن قال ذلك حتى انفجر ضاحكا واستشاطت صدفة غيظاوقالت : لقد تعطل هاتفنا فجأة وكنت..
قاطعها بصوت متزن وهادئ : لست مضطرة لتقديم أي مبرر لي أو لغيري, صمت للحظة شعرت أنه يتأمل خلالها ملامحها عن قرب ثم عرفها بنفسه قائلا: «خالد فهمي» جاركم
نظرت إليه تحاول أن تتعرف على هذا الجار الذي لم تره من قبل ، قطع صمتها من جديد قائلا : لقد انتقلنا إلى سكننا الجديد بالقرب منكم من فترة ليست بعيدة ,تعرفت على أخوك «سامح» من فترة، لأملك مكتبا للترجمة ,انهيت دراستي بالخارج حيث كان يعمل أبي،والآن أستكمل دراستي عندكم كطالب في قسم الدراسات العليا يتوجب علي الحضور ثلاث مرات بالأسبوع لحضور المحاضرات .
تشرفنا بك قالت في اقتضاب لإنهاء الحوار الذي بدأه ,إلا أنه قاطعها مرة أخرى قائلا: هل من الطبيعي أن نكون جيران ولا نعرف بعضنا ؟
قالت : أنا..
قاطعها للمرة لا تدري كم! قائلا: أنت تعيشين في عالم آخر يا صدفة ، ابتسم ونظر في عينيها وأكمل نعم « صدفة» هذا اسمك ,لا تقولي أنك لا تعرفين اسمك أيضا ؟
ردت صدفة :أعرف اسمي طبعا واعرف ،،،
إلا أنه قال بسرعة : يبدو أنه سيكون عندي مهام كثيرة في هذه الجامعة بجانب الدراسة فإن الشهامة تحتم علي أن أساعدك وأعرفك على العالم الذي يبدو إنك انقطعت عنه من فترة طويلة ,

وقبل أن ترد قال : أتركك الآن ساراك قريبا ,أدار لها ظهره وانصرف. عادت إلى البيت ولا يشغلها غيره ,من هو ؟ ومتى انتقل إلى شارعنا؟ وماذا يعرف عني ؟
وقبل أن تخلع ملابسها سألت أمها عنه وشرحت لامها كيف التقته كطالب في قسم الدراسات العليا دون أن تشرح لها ما قاله أجابت الام أن كل ما تعرفه عنهم أنهم كانوا في الخارج وعادوا من فترة وأن خالدا هو ابنهم الوحيد وأن والدها وكذلك سامح أخوها تعرفا إلى خالد وأبيه بعد صلاة الجمعة التي انتقلوا فيهاإلى هنا .
على أن انتظر حتى يأتي سامح نهاية الأسبوع: قالت في نفسها .
وعند منتصف الليل ارتدت حجابها قبل أن تذهب للشرفة ، حيث كان عليها أن تُنجز مهمة أكثر تعقيدا ,فقد اشترت عدة أمتار من سلك الهاتف ,عليها أن تسحب السلك هذه المرة أمام خالد الذي يراقبها ,ثم بعد ذلك لن يراها وهي تسحبه .
أمسكت السلك بيديها وعيناها تبحث عنه ,لقد عرفت من أمها أين يسكن بالتحديد ,هل يراقبها الآن من خلف النافذة؟,لا يهم اليوم فقط .
أخذت السلك على حافة النافذة وقصته بالمقص ثم قامت بتوصيل أطراف السلك الذي اشترته بالذي قصته لفت الأطراف جيدا بالشريط اللاصق ثم ,ربطت السلك بخيط رفيع وأوصلته بمسمار رفيع خارج النافذة حيث يظل السلك مرفوع وفي متناول يديها في نفس الوقت وبهذه الطريقة لن تضطر لسحبه سيكون عليها أن تسحب الخيط بهدوء وتدخل به إلى الغرفة حيث أصبح طول السلك مناسب .
انتهت من مهمتها أدارت قرص الهاتف واتصلت بالرقم الذي تحفظه في قلبها، جاءها صوته على الجانب الآخر: آلو ؟
ردت: كيف حالك .

قال: أشتاق إليك ..
ذكرته بالاتفاق الذي أبرموه سويا وعهد الأصدقاء الذي بدأوه .
فرد عليها قائلا: احبك .
أنت تنقض المواثيق وتفض المعاهدات: قالت له في خجل .
أجاب: فلتسقط كل المعاهدات والمواثيق ,أحبك وأشتاق إليك ، أريد أن أراك !
خفق قلبها وتسارعت دقاته ، كيف ,وأين ؟ ولماذا ؟
قال : كيف وأين نرتبها سويا أما لماذا ،، ألا تدرين حقا لماذا ؟
صمتت فأكمل : لأني أشتاق إليك حد الجنون ، أسافر إليك كل ليلة بل كل دقيقة بفؤادي ، أهيم حولك ، أتلو كل تراتيم الحب المقدسة ، أهمس في أذنك « أحبك» هل تسمعينها ؟
قالت في خجل : نعم وأهمس لك أيضا
أسمعك ، أقسم لك يا مدللتي أني أسمعك حينما تهمسين في أذني «أحبك» قال لها ثم واصل حديثه : ها أخبريني أين أراك ومتى,وإلا سأكون تحت نافذتك بعد ساعتين من الآن ؟
تذكرت صدفة « خالد « وما قاله لها اليوم في المكتبة ، روت القصة كاملة لسعد ,لم تخف عليه أي تفاصيل ,لقد اعتادت ذلك, لكنها لم تكن قد اعتادت بعد على مواجهة نوبات الغيرة التي فاجأها بها .
شعر بالغيرة تنهش قلبه وجسده معا ، ارتفع صوته للمرة الأولى ,وتحولت نبراته الحانية لمنتهى القسوة ,لم يتخير ألفاظه ولم ينتقيها ، اتهمها بالتساهل ، وكيف أنها سمحت له بمواصلة الحديث دون أن توقفه عند حده ,انفجر في وجهها كبركان ,لا تريد أن تسمع ما يقوله, تخشى أن تغضب منه .
مازال يواصل حديثه القاسي ,لازال يتهمها ,اصمت ,اصمت يا سعد تردد في نفسها ,لا أريد أن أفقدك ,فلا تتكلم ,وانتبه لقلبي الذي تعصره بين يديك تسحقه بكلماتك وأنت لا تدري .

اسكت يا حبيب عمري ، لا أريد أن أُجرح منك أنت ، اتحمل جروح الدنيا مجتمعة إلا جرحك .
لا أريد أن يمون فراقك ثمنا لكرامتي ، فأخسرك .
صمت فجآة وكأنه انتبه لنفسه فقد سمع صوته يصم أذنيه ، في حين لم تتفوه هي بكلمة واحدة ، يريد أن يسمع صوتها الآن, شعر بالندم كانت أعماقه تناجيها إياك أن تغضبي مني ,إياك أن تبكي يا حبيبتي ، قسوت عليك قدر غيرتي وخوفي عليك ,أنت لي ، حبيبتي وصديقتي وأمي وابنتي ، هل تدركين ذلك يا صغيرتي, هل تعتقدين أني سأسمح لأحد أن يقترب منك أو يأخذك مني ؟
ارتفع صوت بكاءها ، هذا ما كان يخشاه ، فداك قلبي وروحي, لا تبكِ صغيرتي ..
ناداها بصوت منخفض: صدفة ؟
لم ترد فناداها للمرة الثانية: صدفة ,لا تبك يا حبيبتي ,أنا أسف, أغار عليك من خصلات شعرك حين تقترب من عينيك وأنا بعيد عنك ، جن جنوني حينما تخيلت أن هناك من هو أقرب مني يستطيع أن يتكلم معك ويراك وأنا هنا «أسير» هاتف ومسافات..
قالت: هل تعتقد أن ذلك هو مقياس القرب والبعد ؟ إذا أنا بعيدة عنك!
ألم تتأكد بعد كل هذه السنوات أني لك لأني أحبك أنت فقط ، وأنك بجانبي ، دائما بجانبي ، لا أرى سواك ,أغلقت قلبي عليك,لا أرى سوى وجهك ولا أسمع سوى صوتك .
آسف يا حبيبتي: قال .
ردت: لا تعتذر ,فأنا لا أستطيع أن أحيا لحظة وأنت غضبان حتى وإن كنت» أنت» السبب .
أريد أن أراك يا صدفة في أقرب وقت: قال لها .
لا أريد أن أحيا بعيدا عنك بعد اليوم ,فلتكن مداراتك كلها

حولي,ومعي ، أشعر بالتعب والخوف كلما فكرت في طول المسافات بيننا ، يا ليتنا نتلاشى نختفي من هذا العالم ثم نُبعث في عالم آخر ، كنجمتين في السماء أو كسطرين في ديوان شعر,لماذا اجتمعنا في المكان الخطأ ؟

«ثمة أشياء تحدث معنا ,نتجاهلها زاعمين أنها حدثت في الزمان الخطأ ,والحقيقة أن الخطأ يكمن في طريقة تعاملنا معها».

قالت : ما رأيك أن تأتي إلى الجامعة ثم نخرج سويا إلى أي مكان ؟

موافق : أجابها

قالت : متى ؟

قال : الآن

ضحكت وكررت السؤال : متى ؟

قال : غدا ، وأكمل عندك محاضرة تبدأ ١٢ تنتهي ٢ سأكون عندك ١٢ على أن تتغيبي عنها ..

قالت : اتفقنا

تمنى لها أحلاما سعيدة وأغلقا الهاتف لا يفكران إلا في موعد الغد , ففيه تأخذ علاقتهما شكلا آخر مختلفا عن ذي قبل ، فماذا بعده؟ سأل كل منهما نفس السؤال حينما وضعا رأسيهما على الوسادة.

كل هذا الحب وكل هذه السنوات التي مرت لم يلتقيا خلالهما لقاءا مرتبا ,لم يلتقيا في موعد خاص بهما ومع ذلك يغرقان في الحب حد الثمالة

«فبعضهم لك كحبات المطر لا تستطيع أن تمسكها إلا أنها تغمرك, تغرقك .»

سأل نفسه ماذا بعد ذلك وما نهاية تلك العلاقة ؟ لقد كبرت وكذلك هي ، ومن المتوقع ان يبدأ الخطاب في طرق باب بيتها, ماذا لو أنها سئمت منك ؟ملت ترددك وانصرف قلبها نحو شخص أخر ؟

وجـد أنفاسـه تضيـق لمجـرد التفكـير في ذلـك ، لا يسـتطيع أحـد أن يأخذهـا مني لقد كـبرت معـي وأمامـي ,حينـما كانـت تكلمنـي وقطـع الحلـوى في فمهـا وبقايـا الخبـز عالقـة في حلقهـا لم تمضغهـا بعـد ، عندمـا كانـت تسـتطيع أن تجلـس تحـت طاولـة صغـيرة دون أن تلفـت انتبـاه أحـد ، كـبرت وتحولـت إلى قطعـة منـي لا يمكـن اجتثاثهـا إلا بروحـي ، كيـف يمكننـي التنـازل عنهـا بسـهولة لغـيري ؟ كيـف يمكننـي أن أنـام يومـا دون أن أهمـس لـك « أحبـك» فتسـمعني رغـم بسـاط المسـافات الممـدود بيننـا ؟! استسـلم للنـوم دون أن يجـد حـلا ولكنـه كان يهمـس : أحبـك

سـمعته ، خفـق قلبهـا ورقـص عـلى أنغـام الحنـين وهمسـت : أحبـك, مـن غـيرك قـادر عـلى أن يتحكـم في قلبـي عـن بعـد ؟ لكـن مـاذا بعـد؟ سـألت نفسـها نفـس السـؤال ، كانـا يفكـران سـويا ، يحلـمان نفـس الأحـلام ، يسـمعان نفـس الألحـان ,يـأكلان نفـس الأطعمـة ، رغـم البعـد والمسـافات يتشـاركان كل شيء .

واصلـت حديثهـا لنفسـها : لايـزال مصمـما عـلى موقفـه العقـدي ، وأنـا لا أوافـق عـلى الارتبـاط بشـخص لا يؤمـن تمـام الايمـان باللـه بـأي حـال ، حتـى لـو وافـق والـداي ، إن مشـكلته أكـبر مـن كونـه لا يؤمـن حقـا باللـه ,فحبـه لحجابهـا وغيرتـه عليهـا واهتمامـه بمـا تقـوم بـه مـن صلاة وصـوم وتـلاوة للقـرآن يـدل عـلى أن الأمـر يعنيـه بشـكل جيـد ,إلا أنـه يرفـض الاعـتراف بأنـه كان عـلى خطـأ ، وأن يعـترف أن السـبب كان طفلـة لم تتعـد الخامسـة عـشر مـن عمرهـا حينئـذ ، إن الشـخص القابـع في أعماقـه سـيحرمني منـه يومـا مـا ,كـما سـيحرمه منـي سـيباعد بيننـا في يـوم مـا إلى الأبـد .

في الصباح قامت مبكرا فعليها أن تهتم بأناقتها حيث ستلتقيه اليوم ,ارتدت بنطلون جينز غامق اللون وكنزة صوفية رمادية اللون ووضعت شالا أحمر اللون وحذاءا مرتفعا على غير العادة وله رقبة عالية ثم لفت حجابها حول وجهها بطريقة مميزة ، وضعت القليل من مساحيق التجميل ، أخذت حقيبتها وخرجت وهي تشعر أن الشمس تستقبلها بفرحة فتنثر أشعتها اليوم برفق,والسماء تضحك لها ,وتحفز الطيور على التغلغل في طياتها,وصلت إلى الجامعة وهي تتحدث إلى نفسها : سيراك الجميع في عيوني ويسمعونك في صوتي وسيعرفون لا محالة أني سألتقيك بعد قليل عندما يشاهدون رقصات قلبي المتتالية على عقارب الساعة تدفعها دفعا كي تمر أسرع .

كان سعد قد استيقظ بعد نصف ساعة من استغراقه في النوم على صوت والدته ,كانت تنادي عليه وهي تتألم ,هب سريعا إليها وجدها تتعرق وتمسك بكتفها الأيسر وقلبها ، لم يبدل ملابسه ,أخذ مفاتيح سيارة أخيه وانطلق إلى المستشفى ، بعد الفحص المبدئي أخبره الطبيب أنه يشتبه في «جلطة بالقلب» وسيتم عمل اللازم ، جلس في انتظار اسعافها واجراء الفحوص اللازمة لها ، كان يتحرك في المستشفى غير مبال كونه بملابس النوم ، ذهب لأقرب هاتف واتصل بأخيه ,وأجل الاتصال بأخته كونها الآن خارج البلاد ولا يوجد ضرورة لإخبارها ، وصل أخوه بعد أقل من ساعة ,جلس بالقرب منه يستفسر عما حدث بالتفصيل ، قص له سعد ما حدث من البداية ثم بكى وهو يحمد الله أنه كان بالمنزل وسمعها وهي تتألم ، صمت قليلا عندما حمد الله بلا وعي ، تذكر «صدفة» وموعدهما الذي سيذهب ادراج الرياح .

بعد قليل أخبرهم الطبيب أنهم يستعدون لإجراء عملية قسطرة للمريضة وأوصاهم بالدعاء لها .

بـكي سـعد وأخـوه كثـيرا ، يخـشى ان يصيبهـا مكـروه فهـي كل مـا يملكـه مـن الدنيـا ,حتـى أخـاه يسـتعد للسـفر خـارج البـلاد خـلال أيـام أيضـا ولـن يبـق لـه سـواها .

تمـت القسـطرة عـلى خـير ولكـن بقيـت الأم في غرفـة العنايـة المركـزة تحـت الملاحظـة ,قـال الطبيـب لهـما :يمكنكـما ان تذهبـا الآن للراحـة لأنكـما لـن تتمكنـا مـن رؤيتهـا قبـل الغـد عـلى أي حـال .

انصرفـا متوجهـين إلى البيـت يحتاجـا للنـوم فعـلا ولـو لسـاعة واحـدة عـلى الأقـل ، نظـر سـعد إلى الهاتـف وتذكـر موعـده مـع صدفـة لعلهـا وصلـت إلى الجامعـة الآن كيـف يمكنـه الاتصـال بهـا ليخبرهـا بمـا حـدث معـه؟ إلا أنـه نـام قبـل أن يضـع رأسـه عـلى الوسـادةوقبل أن يجيـب عـلى سـؤاله .

مـع دقـات السـاعة الثانيـة عـشر انتظـرت صدفـة في المكان المتفـق عليه ، مـرت نصـف سـاعة ولم يظهـر لـه أثـر ، أصبحـت السـاعة الواحـدة ولم يـأت ، انتابهـا القلـق والخـوف عليـه ، مـا الـذي منعـه ياتـرى ؟

وفجأة سمعت صوت من خلفها ينادي : صدفة ؟

التفتـت نحـو الصـوت فوجدتـه «خـالـدا» وليـس « سـعدا» لم يعطهـا فرصـة للـكلام كعادتـه ، علـق عـلى أناقتهـا التـي بـدت واضحـة تمامـا: هـل اليـوم عيـد ؟ لم يخـبرني أحـد كي أسـتعد مثلـك!

احمـر وجههـا خجـلا ونظـرت إلى الأرض ,كان دائـم النظـر لعينيهـا كأنـه يبحـث في أعماقهـا عـن شيء مـا

قال : هل انتهت محاضراتك؟

أجابـت : لم أحـضر الأخـيرة ,سـتنتهي بعـد سـاعة مـن الآن ، قالـت وهـي تنظـر في سـاعتها ,تخـشى أن يدخـل سـعد في أي لحظـة ويراهـا مـع خالـد ، سـيقيم الدنيـا وقتهـا ولا يقعدهـا, لكنـه قـد لا يـأتي فلقـد تأخـر كثـيرا ,مـا الـذي أخـره عنـي يـا تـرى ؟ لا يمكـن أن يكـون قـد نـسي موعدنـا ,كانـت في عـالم أخـر مـليء بأسـئلة لا إجابـات لهـا

قالـت فجـآة : سـأذهب إلى المكتبـة أسـتعير روايـة جديـدة ، فهـي لازالـت تخـشى أن يـأتي سـعد ويراهـما معـا

رد خالـد بسرعـة: مـا رأيـك أن أقـص عليـك روايـة أجمـل مـن كل الروايـات التـي قرئتيهـا وأكـثر إثـارة ؟

ابتسمت وقالت: لماذا ؟

اذا تعريفـين طريقـة الابتسـام! جيـد ، كنـت أنـوي أن أعلمـك إياهـا في وقـت لاحـق : قـال وهـو يرفـع حاجبيـه لأعـلى ويهـز رأسـه علامـة الرضا

أعادات سؤالها: لماذا ستقص علي رواية ؟!

قـال : لا أعلـم تحديـدا لمـاذا ، قـد يكـون بسـببك «اسـمك» فالصدفـة لعبـت دورا مهـما في حيـاة أبطالهـا أو فلنقـل قلبتهـا رأسـا عـلى عقـب, وقـد يكـون بسـبب «ملامحـك « فأنـتِ تشـبهين بطلـة القصـة إلى حـد كبـير

شـعرت بالفضـول فقـد اسـتطاع ان يثـير انتباههـا بكلماتـه عندمـا أخبرهـا أن اسـمها وشـكلها محـورا القصـة و قالـت : احـكي لي.

مشيا في اتجاه «كافتيريا الجامعة «

سألته : هل كتبت أحداث القصة بنفسك؟

أجاب : بل عشتها بنفسي أنا أحد نتائجها

قالت مستنكرة :وأنا اشبه من فيها ؟؟ اشبهك «أنت « ؟!!

رد عليهـا مازحـا : تشـبهيني أنـا ؟ لا طبعـا أنـا لا أشـبه عامـة الشـعب ,ألا تريـن شـعري البنـي وعيـوني الملونـة ! أنـا يـا زميلتـي العزيـزة اشـبه جـدي « الباشـا الكبـير»

ردت : وأنا اشبه من ؟ خادمة جدك الباشا الكبير ؟!

رد ولكـن بطريقـة جـادة : تشـبهين والـدتي ، هـل أنـت مسـتعدة لسـماع القصـة مـن بدايتهـا وأعـدك أنـك لـن تندمـي عـلى هـدر وقتـك في سـماعها

قالت : مستعدة ولكن عندي سؤال.

اسألي : قال لها .
لماذا تثق بي وتروي قصتك لشخص لم تلتق به غير مرة واحدة؟,انك لا تعرف شيئا عني.
قال وهو شارد الذهن : علمتني أمي أن القلوب كالعناصر الكيميائية لكل قلب نظيره الروحي الذي يعيش عليه يتنفس من رئتيه حتى وإن كان مقدورهما ألا يجتمعا فهما الزاد لبعضهما.
ردت : هل والدتك «كيميائية» ؟
قال : رغم أنها ليست مصنفة رسميا كذلك إلا أنها أعظم كيميائية في العالم ، وقد دمجت بين علم النفس والكيمياء بشكل عجيب ,دون أن تدرس في أي جامعة
لقد شوقتني هيا ابدأ : قالت وقد
نسيت موعدها الذي ضيعه سعد ولم يوفِ به و لا تدري لماذا حتى الآن
بدأ خالد بنبرة ساخرة مبتسمة : بلغني أيها « الملك» السعيد ذو العقل الرشيد أنه كان هناك باشا كبير وأردف موضحا « أقصد جدي»
نظر خالد إليها وقال في نفسه :أعتقد أني أحكي لك هذه الحكاية لأنك بحاجة إليها ، لا أعلم لماذا أبدو مقتنعا أنك تحتاجين إليَّ بجانبك ,وكأن الصدفة ساقتنا إلى شارعكم كي أنقذك من نفسك,كما أني مقتنع تماما أنك تشبهين أمي ,تشبهينها من الداخل أكثر من أي شخص آخر ، لا أريدك أن تعيشي نفس مأساتها ، لا أريدك أن تذوبي في شخص آخر حتى تفنى ذراتك بالكامل حتى لو كان هذا الشخص معشوقك ولا أن تنسلخي من عالمنا لتقبعي في زاوية صغيرة في قلب أحدهم حيث الظلام الدامس.
سأسكبها في جوفك حرفا حرفا وأنا متأكد أنك ستفهمين المغزى منها ,وستعيدين ترتيب أوراقك ، بعض القلوب يا صدفة كالجبال العالية الملساء مهما بذلت من جهد ووقت فلن تستطيعِ أن تصلِ

إلى قمتها أبدا فهي تعيدك كلما ارتفعت سريعا إلى سفحها, ولا أريدك أن تبقي عند السفحدوما يا صديقتي .,سأقص لك قصتنا لأني أريد ذلك

سأبدأ من البداية :أخبرها ثم أكمل : جدي « الباشا الكبير» هكذا كانوا ينادونه كان «صيدليا « درس علوم الصيدلة خارج مصر ، وعمل لفترة قصيرة أستاذا في الجامعات هناك وتزوج من امرأة أوروبية وهي « جدتي « ثم عاد إلى وطنه ,واصل عمله أستاذا في الجامعة المصرية ,كان يعشق تخصصه إلى أبعد حد ، وافتتح عدة صيدليات ,كان يشرف عليها بنفسه ، جميعها في الأحياء الراقية ، وعيَّن في كل واحدة مديرا يقوم على شؤونها وبعد فترة قرر أن يفتتح صيدلية أخرى في أحد الأحياء الشعبية امتنانا لمهنته وحبا لوطنه شجعته جدتي على ذلك حيث كانت منخرطة في الأعمال الخيرية والجمعيات النسائية المختلفة

لم ينجب الباشا الكبير غير «ولد» واحد هو أبي ,تأخرا في الانجاب ثم أنجباه ولم يمُن الله عليهما بغيره ، اهتما به جدا وأراد جدي لوالدي نفس مهنته وحياته التي كان راضيا عنها تماما .

كان أبي صغير السن و لم يقرر بعد ماذا يريد أن يكون في المستقبل بل أكاد أقسم أنه لم يكن يعلم بعد ما هو المستقبل الذي يتحدث عنه والده دوما ..

يومه يمر كيوم غيره من أبناء الطبقة الراقية ,الخدم يُحيطون به ويرعونه ,يذهب للنادي ، يسافر مع والدته إلى أوروبا كلما ذهبت لزيارة والديها ,حتى ذلك اليوم الذي قلبت الصدفة حياته رأسا على عقب, نظر إليها وقال : هل تعلمين أني أصبحت متأكدا أن الصدفة قد ترفعك إلى السماء السابعة أو قد تنزل بك إلى الأرض السابعة ,أطال النظر في عينيها وقال مازحا : معك أعلم أن سابع أرض هو المصير المحتوم

هل تدركين أني عندما أكون معك أكون بلا عقل تماما ، اتركه خلفي اذا ما رأيتك ؟ عليك أن تنتبهي جدا لأني في هذه الحالة أكون مجنونا رسميا .
ضحكت وحثته على مواصلة الحديث: ذات يوم كان جدي متوجها إلى النادي وأبي يجلس بجواره في الكرسي الخلفي للسيارة عندما غيَّر جدي رأيه وأمر السائق أن يتوجه إلى الصيدلية في « مصر القديمة « كان يقال لها قديما «مصر عتيقة» هذا الحي يقع بجوار السيدة زينب والبساتين ودار السلام ، يفصل حي مصر عتيقة عن الجيزة والدقي «نهر النيل» .
وصل جدي إلى الصيدلية ، دخلها وأبي خلفه ثم حيًا عم «صاوي» المسؤول عن الصيدلية وراح يتكلم معه في أمر ما .
أخذ أبي يتأمل الصيدلية والشارع والناس ، عالم غريب عنه تماما,كما لو كان قد انتقل إلى كوكب آخر ..
الصيدلية كانت في تقاطع لـ أربعة شوارع رئيسية ,يحتل مقهى شعبي كبير ناصية الشارع المقابل حيث كانت تعج بالزبائن ومسجد كبير ذو مئذنة عالية يحتل الناصية الأخرى ,الباعة الجائلون منتشرون في كل مكان ، وأطفال يلعبون أمام منازلهم ، بعضهم حافي القدم وبعضهم يرتدي حذاءا لا يستر إلا ربع قدميه تقريبا يلعبون بحماس ويصيحون بأصوات عالية يتشاجرون ثم يعاودون اللعب من جديد .
ظن أبي وقتها أنه في رحلة لعالم الأشباح ، وفي وسط ذهوله انتبه لطفلة تصغره بعدة سنوات نحيلة جداخرجت من الصيدلية ثم عادت ودخلت مرة أخرى بكل ثقة وكانت هيئتها لا تدل أبدا على أنها تمت للصيدلية بصلة ,ملابسها متسخة إلى حد ما وشعرها منفوش بشكل مثير للأعصاب ، مثل هؤلاء الأطفال الذين يلعبون في الخارج ,حذائها قديم جدا بالكاد يصمد في قدميها

النحيلتين ، تمسك بيدها «كيس حلوى» يبدو أنها خرجت خصيصا لتشتريه وقفت بجوار أبي وفتحت الكيس,وأخذت واحدة وأعطتها له ، أخذها منها ووضعها في فمه مباشرة دون أن ينتبه ليديها المتسختين ، فأخذت واحدة أخرى وناولتها له فأخذها أيضا ووضعها في فمه دفعة واحدة ، وهكذا حتى انتهت قطع الحلوى فتوجهت الطفلة نحو باب الصيدلية وألقت الكيس في الشارع وعادت لتقف بجوار أبي مرة أخرى ، الذي أفزعه جدا كونها ألقت بالكيس على باب الصيدلية ، وضحك خالد معلقا : لم يفزع وهو يأكل كيس الحلوى كاملا من البنت الصغيرة ذات الأصابع المتسخة لكن أفزعه الكيس الملقي أمام الباب

ضحكت صدفة ولم تعلق لتحثه على المواصلة أكمل : اقتربت البنت قليلا من أبي وسألته ما اسمك ؟

أجاب: فهمي ثم نظر لوالده وأوضح لها : أحمد فهمي

قالت: ابن الباشا؟

قال نعم

قالت: وأنا هدى بنت عم «صاوي» وهو المسئول عن الصيدلية وكل هذا الدواء

كان عم « صاوي» هو المسئول فعلا عن المكان يعمل في هذا المجال منذ صغره وورثه عن أبيه حيث كان يعمل أيضا في مجال الأدوية ، واعتبره سكان الحي بمثابة طبيبهم فيلجئون إليه بدلا من الطبيب فيصف لهم العلاج إلا اذا كانت حالة حرجة يشير إلى أصحابها بالذهاب إلى الطبيب

زوجته «ممرضة» بالمستشفى مما عزز موقفه كطبيب للحي بوضع اليد وابنته الوحيدة هدى ترافقه دوما في الصيدلية نظرا لانشغال أمها في نوبات عمل مختلفة

كان عم «صاوي» أمينا ويعشق مهنته ويحب الباشا الكبير ويخدمه

بتفان واضح .
وكانت هدى بالصف الثاني الابتدائي ، طفلة تشعر بثقة كبيرة جدا في نفسها وفي أهلها ، فوالدها في نظر الحي هو « طبيبهم » ، تحظى بتقدير الجميع ,وحبهم كانت طفلة ذكية ومشاكسة,لكنها تتحمل مسؤولياتها كاملا حينما تغيب أمها في المستشفى أو يتركها والدها في الصيدلية بعض الوقت ، إنها ليست طفلة عادية تعرف ذلك وتشعر به ولذلك تعاملت مع أبي من منطلق هذه الثقة، إن كان والدك طبيبا فأبي كذلك وأمي ، ولا فرق بيننا هكذا اعتقدت لم تشعره أن ملابسه الأنيقة وشعره المصفف اللامع وبشرته الناعمة الملساء ، وأظافره النظيفة جدا قد تصنع فارق بيننا ولذلك تصرفت بشهامة وذكاء حينما خرجت واشترت الحلوى للطفل كي تُحييه، رغم أنها أصغر منه ، ورغم أنه لم ير أقذر من هذه الثياب ولا أبشع من هذا الشعر المنفوش حول رأسها الصغير وعينيها الواسعتين ، إلا أنه ظل يذكر وجهها لسنوات طويلة بعد ذلك بحالته هذه وخاصة عندما كانت تسأله وتتلقى الإجابات كما لو كان في مقابلة شخصية من أجل وظيفة هامة ..
أكملت هدى أسئلتها وهي تضيق من حدقة عينيها دليلا على عظم ما ستخبره به : أنا سأذهب إلى الصف الثالث الابتدائي العام القادم ، وأنت ؟! أغلقت نصف عينيها وهي تسأله ؟ حتى أن والدي ارتبك وظل يفكر ,أين سيكون العام القادم!
وبصوت مرتبك قليلا قال لها : سأنتقل إلى الصف السادس
ردت بصوت جاد كما لو كانت تخبره بشيء لا يعرفه : ستنال الشهادة الابتدائية العام القادم ,عليك أن تذاكر جيدا
أخيرا تجرأ وتكلم : ظننتك لم تلتحقِ بالمدرسة بعد فأنتِ نحيلة جدا ..
اعتبرتها إهانة في حقها فضمت شفتيها ولمعت عينيها وضاقت كما

لـو كانـت تبحـث عـن إجابـة مفحمـة ثـم قالـت: أعمـل كثـيرا مـع أبي وكذلـك مـع أمـي في البيـت وأذهـب معهـا إلى المستشـفى وأمـر عـلى المرضى معهـا ، وأذاكـر دروسي ,لذلـك أبـدو نحيلـة فعـلا لكـن مـن كـثرة الأعـمال ,فـلا وقـت للراحـة ..

شعر بـأن دلـوا مـن المـاء انسـكب فـوق رأسـه فلقـد أدرك أن خصمـه ليـس سـهلا رغـم مظهـره المتـشرد ,قـال لهـا : سـأذهب إلى السـيارة وأنتظـر أبي ريثـما ينتهـي مـن حديثـه مـع والـدك ..

وقبـل أن يتحـرك هـو مـن مكانـه اتجهـت هـي نحـو كـرسي المديـر ,وجلسـت عليـه واسـندت رأسـها للـوراء ,وسـاقاها القصـيرة تتـدلى منهـا قدمـان متسـختان وحـذاء أكـثر اتسـاخا كأنهـا تخـبره دون كلام أذا كنـت تملـك سـيارة فأنـا أملـك هـذا المـكان ورمقتـه بنظـره لم ينسـها أبـدا ..

تركهـا وذهـب إلى السـيارة وسرعـان مـا لحـق بـه جـدي وانطلقـا إلى النـادي بعـد ذلـك وهـو لا يُفكـر إلا بـشيء واحـد .. وهنـا أدرك شـهرزاد الصبـاح وسـكتت عـن الـكلام المبـاح ..

ابتسمت له صدفة وقالت : متى الجزء الثاني ؟

قال : في الوقت الذي تحددين

قالت : عندما تأتي بعد غد!

قال : لن آتِ بعد الغد

سألته لماذا ؟

قال : لأنه يوم الجمعة

ابتسمت وقالت اذا السبت

اتفقنا ,ماذا ستفعلين الآن ؟

قالت :سأعود إلى البيت

هـل أسـتطيع أن أوصلـك معـي بـدلا مـن المواصلات؟ : سـألها فاعتـذرت عـن ذلـك قبـل اعتذارها

كان يعلـم أن رفضهـا ليـس بسـبب الخـوف منـه أو مـن أهلهـا اذا دخلـت الشـارع في سيارته فهـي أكـبر مـن ذلـك ، لكـن الخـوف مـن مجهـول لا يعلمـه ,هـو الـذي يمنعهـا ، ليتنـي أعـرف مـا وراء نظراتـك الشـاردة ، وابتسـامتك الباهتـة وعالمـك المغلـق تمامـا

كان يُقسـم لنفسـه أنـه يـرى في عينيهـا «شـخصا «لا يسـتطيع تحديـد ملامحـه ,ولاسـماع صوتـه ,إلا أنـه يـراه يحتـل كيانهـا ,يحركهـا ويدفعهـا حيـث أراد

سـارت شـاردة الذهـن تفكـر في «سـعد» لمـاذا لم يـأتِ ومـا الـذي حـدث معه ؟

قلبهـا يـكاد ينفطـر كـما كانـت تفكـر في خالـد أيضـا, لا تنكـر أنـه شـغل حيـزا مـن تفكيرهـا باقتحامـه حياتهـا عـلى هـذا النحـو ,كـما أنـه مـليء بالحيويـة والنشـاط ,متصالـح مـع نفسـه واضـح جـدا مختلـف تمامـا عـن سـعد في أمـور كثـيرة ، لا تـدري أيهـما أفضـل ؟ ولمـاذا تقـارن ؟ هـل تنـوي أن تضـع سـعدا في مقارنـة مـع أحـد ؟

لم تتخيـل أبـدا أن يـأتي مثـل هـذا اليـوم ، إلا ان استسـلامه لواقعهـما ورفضـه أي محاولـه تُقـرب بينهـما يثـير أعصابهـا ,يُشـعرها أنـه لا يبـذل مجـرد «الحلـم» في أن يكـون لهـا ، يبـدو أنـك يـا سـعد أصبحـت عاجـزا عـن مجـرد « الحلـم» نـم أنـت وأنـا سـأحلم لي ولـك ..

ولكـن مـا الفائـدة إن كان منشـطرا إلى شـخصين ,شـخص ينـدفـع نحـوي بـكل جنـون يجتاحنـي في لحظـات شـوقي كـبركان ثائر,وشـخص أخـر يرفضنـي ويدفعنـي بعيـدا ,يختبـئ منـي أحيانـا خلـف نفسـه ، ولا يـدري أني أعرفـه أكـثر مـن نفسـه ،

كلي اشـتياق أن أكـون لـه وكل أحلامـي أن أكـون دومـا معـه فلـماذا تبعـثر الـدروب تحـت أقدامـي ,وتنفـخ دومـا في أحلامـي فتنثرهـا كرمـاد في الهـواء ؟ أحـاول أن الحـق بهـا لألملمهـا فـلا أسـتطيع ، هـل سـأمضي العمـر وأنـا ألهـث خلفـك ، أكتفـي برسـمك ، صوتـك ؟!

المهم الآن أن أطمئن عليه أولا قالت في نفسها ثم انشغلت مرة أخرى بخالد ووالديه يبدو أن لهما قصة مثيرة فعلا

وما إن وصلت إلى البيت حتى سمعت صوت « سامح « أخيها,كان يشيع البهجة والمرح بحضوره ، أصبح يعمل الآن في القاهرة بعد تخرجه ، كما أنه أسر لها أنه ارتبط بزميلة دراسة تصغره بثلاث سنوات

صاح باسمها «صدفة» بمجرد أن رآها قائلا : ما هذا ؟ أراك كل أسبوع تزدادين جمالا عن الذي قبله ، وضمها إلى صدره وقبل رأسها

تذكرت خالد وأرادت أن تسأله عنه .

سألت أخاها عن خالد ,لم يضف كثيرا عما قالته أمها لكنه امتدح أخلاقه وأكد ان اللقاءات القليلة التي جمعتهما أظهرت حسن أدبه ورقي سلوكه

فروت له كيف التقت به في مكتبة الجامعة ,وحدثته عن لقاءهما الثاني منذ قليل وأخبرته عن عرضه لها بان يوصلها في طريقه وكيف اعتذرت له وشكرته ، لم تتطرق لحديثه عن المكالمات الليلية ولا السيارة التي تعطلت تحت النافذة وحكي لها سامح عن زميلته التي ينوي الزواج منها لكن بعد زواج سناء وما ان نطق باسم اخته حتى وجداها تدخل من باب البيت

قال سامح : ياليتنا تذكرنا مليون جنيها

قالت وهي تخرج لسانها لهما : بل أغلى من مليون جنيها

كان الغذاء شهيا والحديث شيقا ومرحا ,تشعر صدفة أن البيت يغيب صوته بغياب سناء وسامح طوال الأسبوع وكأنه يستمد روحه من روحهما فتراه ينثر بهجة وسرورا على أعتابه في حضورهما انشغلت معهما معظم الوقت إلا أن السؤال الذي لم يفارقها ولا إجابة له حتى الآن : لماذا لم يأت؟

وبعد أن خلد الجميع للنوم كان على صدفة أن تتصل بسعد لتطمئن عليه لكن كيف يمكنها ذلك وسناء في الغرفة ولم يعد باستطاعتها ان تختبئ تحت الطاولة لم تجد مفرا من الاتصال من التليفون الخارجي في غرفة المعيشة للمرة الثانية على أن يكون اتصالا سريعا تطمئن فقط عليه ثم تخبره انها لن تتصل قبل يوم السبت كعادتهما ..

أدارات قرص الهاتف برقمه ,رن الهاتف طويلا لكن أحدا لم يجب, أدركت أن ثمة أمر ما منعه من الحضور ومنعه من أن يرد على الهاتف لكن لا تعلم حتى الآن ماهو !

وضعت السماعة ودخلت غرفتها وفتحت النافذة ,تذكرت خالدا فدخلت ولفت رأسها بالحجاب وعادت لشرفتها وهي تحمل روايتها بيدها ..وضعت الرواية بجوارها ونظرت بعيدا فالرؤية من بعيد تكون أحيانا أفضل بكثير ..

هل تراه يعيش حالة من حالات الانفصام التي تؤرقه وتؤرقها لقد سئمت تقلباته ، فهي تجعله مشوشا عبوسا في الوقت الذي يبدو خالد منطلقا دائم الابتسام ، وجدت نفسها تقارن بينه وبين خالد مرة أخرى لاتعرف لماذا !

لماذا تستدعي أوجه الشبه والاختلاف بينهما كثيرا اليوم ؟

من الحماقة ان يظل سعد مصرا على التعامل بهذا الأسلوب ، عليه أن يقرر ,أن يختار الحب أو الا حب من العبث أن يستمر مترددا متأرجحا بيني وبين نفسه التي تأبى أن تعترف بحبي ، تعلم أنه غارق حتى الثمالة في حبها وأنه يهذي باسمها في نومه ويلهث شوقا وراء طيفها ,يقتفي أثرها لكن ماذا بعد ؟

إنه يقبلني ويرفضني في الدقيقة الواحدة عدة مرات أشعر من حديثه انه حائر بيني وبين شطره الآخر حتى في أصدق لحظات العشق والشوق ، و تعلم أيضا أنها تذوب في كيانه تندمج مع

ذراته تتشابك مع شرايينه تجري في دماءه فلا تستطيع أن تتخلص من حبه ، لكن ماذا بعد !

عليه أن يختار ، أنا لم أرغمه أبدا فدائما ما أترك له الخيار ,عليه أن يقترب للأبد أو يبعد للأبد ,عبثا حاولت أن أجعل لنا منطقة وسطى تجمعنا تحت مسمى الصداقة ,إلا أن الحب يفسد كل المعاني الأخرى يُلقي بها في أعماق المحيط بعد صراع عنيف ثم تراه وحده يطفو على سطح الماء ..

حقيقة واحدة تجمعنا هي الحب ,لكن عليه أن يقول ,أن يحدد لا يمكن أن أظل هكذا دوما مجرد رد فعل له ، من الظلم أن أبقى هكذا ..

كانت صدفة تشعر بالتعب والخوف وترى الطريق أمامها طويل مظلم ,كانت على استعداد للمواجهة ولتحدي الجميع,لكن «به» على أن يكون سندا لها وعونا في حربها سلاحا ضدهم وليس ضدها ، ليس عليها أن تحارب الكل ثم تجد نفسها تحارب أيضا ذاك الشخص القابع في أعماقه الذي يرفضها كل دقيقة ..

لا تستطيع أن تواجه أحدا بدونه ، ولكنه حتى الآن مازال يتحرك من خلف ستار ,يخشى المواجهة ,يخشى مجرد الاعتراف بينه وبين نفسه أنه معجون بحبها وأن نفسه تئن شوقا لها ..

كما أن عليه أن يحدد موقفه العقدي ، يبدو أثناء حديثي معه وكأنه متناغم تماما مع فطرته السليمة ثم ما يلبث عناده ان يأخذه في طريق آخر ، بالله عليك يا سعد ماذا أنت فاعل بي ! ستحملني بعيدا عنك ذات مرة حيث لا سبيل للرجوع ، اه يا حبيبي لو استطاع قلبي ان يسرقك من أفكارك فيلقيك في أعماق أعماقي ,ما الذي منعك عني اليوم ؟ سألت نفسها ونسيت للمرة الأولى أن تهمس له « أحبك» !

في هذا الوقت كان سعد يجلس خارج غرفة العناية المركزة مع

أخيـه وبالـه مشـغول بهـا وبوالدتـه يخـشى أن يصيبهـا مكـروه.
يبحـث عـن أي وسـيلة يتواصـل بهـا مـع صدفـة ليخبرهـا بمـا طـرأ مـن ظـروف ,أخـذ يتخيـل كيـف انتظرتـه اليـوم ولم يـأتِ حـاول أن يسـتنتج رد فعلهـا حيـال الأمـر ,يعلـم إنهـا عاقلـة رزينـة سـتلتمس لـه الأعـذار وأنهـا ستنسـج مـن حبـه لهـا وشـوقه إليهـا العـذر تلـو العـذر حتـى تلتقـي بـه، هـل تراهـا اتصلـت الآن ؟! فقـد انتصـف الليـل ,موعدنـا اليومـي ؟ هـل تراهـا أطلـت مـن شرفتهـا ونظـرت للسـماء وهمسـت لي « أحبـك» ,مـالي لم أسـمعها اليـوم ؟ أم أن الإرهـاق حـال بينـي وبـين سـماعها ، لا يمكـن لأي تعـب أو ارهـاق أو أي شيء أن يحـول بينـي وبـين سـماع همسـها ، هـل نسـيت أن تقولهـا؟ هـل أصابهـا مكـروه ؟ أم هـي غضبـى ؟ أيـن أنـت يـا حبيبتـي ومـاذا تفعلـين الآن «أحبـك»
سـمعته صدفـه ,انتبهـت انهـا للمـرة الأولى تنـسى أن تهمـس لـه «أحبـك» عنـد انتصـاف الليـل ، سـامحني يـا حبيبـي «أحبـك»
سمعها سعد وقال في نفسه الآن ياصدفة ! .
كان خالـد يجلـس في ركـن مظلـم بشرفتـه يشـاهدها وهـي تقـرأ روايتهـا كعادتهـا منـذ أن سـكن في هـذا الشـارع
لم يكـن مهتـم يومـا ببنـات حـواء ,لا يعـرف مـا الـذي صرفـه عنهـن ,انشـغل بأمـور كثـيرة جـدا وكان لـه صداقـات معهـن إلا أنـه لم يقـع في فـخ الحـب حتـى الآن .
مـاذا تريـد مـن صدفـة ؟ سـأل نفسـه وهـو يعلـم أنـه لا يملـك إجابـة واضحـة ، فهـي لم تكـن أجمـل مـن قابـل مـن بنـات جنسـها ، إلا أن بهـا شـيئا مميـزا يمنحهـا تفـردا غريبـا ,قالـت لـه امـه ذات يـوم أن بعـض الوجـوه كالعنـاصر المشـعة تكتسـب بريقهـا واشـعاعها من حركـة النواة المسـتمرة والغـير مسـتقرة حيـث تقسـمها حركتهـا وعـدم اسـتقرارها الى عـدة جزيئـات يصبـح كل جـزيء نـواة أخـرى غـير مسـتقرة ومـن هـذه الانقسـامات تصـدر الأشـعة ,وهكـذا الوجـوه المضيئـة فـإن قلبهـا

غير مستقر تشطره انفعالاته ومشاعره ,علمته امه قراءة الوجوه باستخدام « الكيمياء» كان وجه صدفة سهل القراءة بالنسبة له ,حيث كان شبيها جدا بوجه والدته ، يكاد يرى أفكارها تنفرط أمامه كعقد من اللؤلؤ ,مما جعله يشعر بالمسؤولية نحوها ، لا يستطيع أن يقول لنفسه أنه يحبها حتى الآن ,إلا انها في النهاية تظل حلما لكثير من الرجال اذا ما تحقق لأحدهم فقد فاز بالهوى والحب ولا يفوز به إلا كل جسور .

في الصباح تم تحضير والدة «سعد» للعملية ,لم يستطع أن يتركها ولو لحظة واحدة ,إلا أنه خطر بباله خاطر ، اقترح على أخيه أن يتصل ببيت جدهم ويخبرهم أن والدته ستجري عملية بعد عدة ساعات وتعلل بأنه لا يريد أن يغضب جدهم منهما ..

اطمأن سعد بعد الاتصال ودعا الله أن تعرف صدفة ما حدث معه ، يبتسم ساخرا من نفسه كلما نطق بكلمة « يا رب لاحظ أنه كررها كثيرا خلال اليومين الماضيين ..

يبدو أنه يرددها بتلقائية ودون وعي ,لكن لماذا يرددها ؟ من الذي جاء بها على لسانه ؟

انتبه على صوت أخيه يقول : يارب

نظر إليه لم يعلق

كرر أخوه العبارة «يارب»

شعر كما لو كان يريد أن يلفظها إلا انها جاءت ثقيلة على لسانه, دعها تاتي بشكل تلقائي هكذا حدثته نفسه ثم قال

أوشكت على قتل تلك النفس التي ستحرمني «صدفة « ستسلبها مني بعنادها ولست أدري ماذا ستسلبني أيضا !

مرت الدقائق ببطيء حتى خرج الطبيب معلنا الانتهاء من الجراحة ونقل الأم لحجرة الافاقة ,ذهب الاثنان للاطمئنان على والدتهما .

سمعت صدفة والدها يُخبر سامح بأن يذهب لزيارة والدة سعد بالمستشفى قبل الذهاب إلى عمله غدا السبت ,وحكى له سريعا ما سمعه من أخيه و كيف أنهم لم يسمحوا بزياراتها حتى الآن,الا أنه من الواجب ان يذهب إلى سعد واخيه ويطمئن عليهما ويعرض خدماته ويسألهما اذا احتاجا لشيء وانه سيذهب إليها في وقت آخر لكن بعد السماح بالزيارة

قال سامح : سأذهب إليهما غدا وأنا في طريقي للعمل إن شاء الله

سمعت صدفة الحوار كاملا ,الآن تأكدتُ من أن الذي منعك عني أقوى منك ، يا ليت سامحا يأخذني معه ، ما المانع ؟ سأعرض عليه، لكن بأي حجة ؟!

ماذا أقول له كي يصحبني معه ؟

في الصباح ذهبت إلى اخيها ولا تدري ماذا ستقول لكنها ستحاول لعله يرضى

أريد أن آتي معك : قالت صدفة

رد : أين ؟

المستشفى : أجابت

قال سامح : لماذا ؟

قالت : أنا لا أخرج أبدا ولا أذهب إلى أي مكان ولم أذهب إلى هذه المدينة من قبل ,ضمت شفتيها وأغلقت نصف عينيها علامة التأثر وتابعت : أنت وسناء تدخلان وتخرجان كيف شئتما ,وأنا هنا حبيسة تلك الجدران

قال : في يوم آخر فاليوم سأذهب إلى المستشفى

قالت : ما من مشكلة سأذهب معك وبعدها أذهب للجامعة وانت لعملك ، من أجلي وافق ,من أجلي

قال : بشرط ألا تخبري أحد ,وإلا عاتبني أبي

قالت وهي تطوق عنقه بيديها وتطبع قبلة على خده :لن أقول

قال : هيا اذهبي واستعدي سنخرج بعد نصف ساعة
خرجت سريعا من الغرفة توجهت إلى غرفتها اختارت ملابسا تناسب زيارة مريض ولكنها تظهر جمالها وتناسق جسدها ووضعت قليلا جدا من مساحيق التجميل ووضعت في اصبعها « خاتما» اهداه لها عندما جاء إليهم من سنوات ..
خرجت وهي تتأبط ذراع أخيها ، وبعد أن سارا عدة أمتار توقفت بجانبهما سيارة
نزل منها خالد وسلم على سامح وعليها ثم عرض على سامح أن يوصلهما في طريقه ، أخبره سامح أنهم ذاهبون للمستشفى في مدينة أخرى ، وعندها أصر خالد على الذهاب معهما ,فلقد رأى ذلك واجبا من واجبات الجيران ..
اضطر سامح أن يوافق نتيجة لإلحاح جاره ..
ركب بجواره وصدفة في الكرسي الخلفي ,وأخذا يتحدثان في مواضيع عديدة حكى فيها عن مرض قريبته المفاجئ وأمور أخرى تناولها الأثنان ، كانت صدفة تتمنى لو أنها تستمع لما يقوله خالد فهي تشعر بالفضول نحوه ,إلا أنها لا تستطيع أن تفكر إلا في شيء واحد الآن :ماذا سيقول سعد إذا ما رأى خالدا معنا ؟ تذكرت ما فعله حينما روت له عن حديثهما العابر بالمكتبة ، ماذا سيقول الآن ؟
توجه ثلاثتهم إلى حيث غرفة المريضة وعلى بابها كان يجلس سعد واخوه ، قاما فورا عند رؤيتهما لسامح وصدفة ، شعر سعد أن قلبه يكاد يقفز من بين ضلوعه ، ءأنتِ هنا ؟ رآها واقفة كتمثال اغريقي مقدس ، كان يعلم انها كبرت وازدادت جمالا وروعة لكنه لم يرها جيدا حينما ذهب بالسيارة ليلا تحت شرفتها ، وها هي الآن أمامه ، أجمل كثيرا مما تخيل ، يريد ان يُسلم على سامح يريد أن يرد على اسئلته عن حالة والدته يريد ان يفعل أشياء كثيرة لكنه لا يستطيع أن يرفع عينيه من عليها, عرف الان كيف يكون العناق

بالعيـون حـلا للمقيديـن أمثالـه ، لكنـه لا يكفـي ، انبـت الشـوق في ظهـره جناحـان يطـير بهـما حولهـا ثـم يقـترب ليذبـح قربـان العشـق تحـت أقدامهـا ، أريـد أن اضمـك يـا مدللتـي و حبيبتـي ، ءأنـت هنـا بجانبـي ؟ لا أصـدق عيناي,أنـت هنـا يـا منيـة النفـس ورائحـة الحيـاة رائعـة يـا أجمـل النسـاء ,كـبرتِ ، لي يـا «صدفـة» وليـس لأحـد سـواي, مـن المسـتحيل أن أتـركك لغـيري ، أحبـك وأعـرف أن الوصـول إليـك سـيكلفني «نفسـي» سـأمزقها إربـا إربـا مـن أجلـك يـا حبيبتـي

انتبه سعد على صوت سامح : خالد جارنا

رفـع سـعد عينيـه ببطـيء نحـو خالـد الـذي مـد يديـه مصافحـا إيـاه متمنيـا لوالدتـه الشـفاء العاجـل ، يريـد أن يـرد عليـه لكنـه لا يعلـم مـا الـذي جـرى ؟ يشـعر بثقـل في لسـانه وأجفانـه .يريـد أن يسـأل عـن سـبب وجـوده معهـما ,ولكنـه يخـشى مـن الإجابـة ..

كانـت صدفـة تبادلـه النظـرة نفسـها ، تشـتاق لـه حـد الجنـون ، وهاهـي تـراه عـن قـرب ، كان مظهـره في حالـة فـوضى ، وأثـار التعـب والإرهـاق باديـة عـلى وجهـه وتحـت عينيـه ، خـرج جـزء مـن قميصـه خـارج البنطلـون وبقـي الجـزء الآخـر داخلـه ، شـمر عـن أكمامـه رغـم بـرودة الجـو ,لم يرتـد «جاكتـا» كأخيـه شـعره منثـور حـول رأسـه ، ورغـم هـذا المظهـر الـذي يعلـن حالـة مـن الاسـتنفار إلا أنهـا لا تـرى غـيره ,تحبـه بـكل تفاصيلـه وحماقاتـه ..

«هـل جربـت يومـا أن تعشـق أحدهـم من رأسـه حتـى اخمـص قدميه؟ فلـذة العشـق هـي تلـك اللـذة التـي تسـحق مـا سـواها وتجـردك مـن اي شـعور غـير الاندمـاج التـام مـع معشـوقك وهـي تلـك الجاذبيـة التـي تدفعـك نحـوه كلـما حاولـت الابتعـاد فتجـد نفسـك تـدور في مـداره دومـا ،وكلـما اندفعـت نحـوه اكـثر كلـما تذوقـت طعـم الحيـاة أكـثر « همسـت لـه في نفسـها « أحبـك»

رنـت الكلمـة في أعماقـه ,سـمعها بوضـوح ، لكنـه مشـوش الذهـن

,صريـع أفـكاره ، انتقـل ببـصره إليهـا وهمـس في نفسـه «أحبـك» سـمعته ، وسـمعهما «خالـد» أيضـا الـذي أدرك مـن اللحظـة الأولى أنـه بجانـب عنـصران قابـلان للاشـتعال ,بـل للانفجـار ، عرفـه مـن النظـرة الأولى فقـد رآه في ملامحهـا في المكتبـة وهنـاك حيـث قـص لهـا قصـة والديـه ..

أصبح الأربعـة الموجـودون أمـام غرفـة الأم المريضـة ينظـرون إلى سـعد الـذي اكتشـف أنـه لم يتكلـم حتـى الآن ..

سـعل سـعالا خفيفـا وقـال :أهـلا سـامح ,أهـلا أسـتاذ خالـد ,كيـف حالـك يـا صدفـة ..

كان خالـد أول مـن رد تحيتـه ومـن بعـده سـامح ثـم سـادت لحظـة صمـت قطعتهـا صدفـة قائلـة : بخـير الحمـد للـه ,كيـف حالـك أنـت؟ رد عليهـا : بخـير وقعـت عينـاه عـلى الخاتـم يحيـط بإصبعهـا تذكـر حينـما فتحـت لـه البـاب بملابـس النـوم منفوشـة الشـعر أراد أن يحملهـا وقتهـا ويرفعهـا إليـه حتـى يسـتطيع أن يُقبلهـا

دار الحديـث تقريبـا بـين ثلاثتهـم ، أمـا «صدفـة» و«سـعد» فقـد اكتفيـا ببضعـة كلـمات قليلـة وكان بينهـما حديـث آخـر لا يسـمعه سـواهما وخالـد ..

مـا هـذا الـذي يشـعر بـه في قربهـا ؟ لقـد كان حضورهـا قويـا ,خـلا المـكان إلا منهـا فـلا تـرى عينـاه سـواها ولا تسـمع أذنـاه سـوى صـوت أنفاسـها التـي كادت تلحـف وجهـه وتعصـف بكيانـه ، لا ترحـلِ خاطبهـا سـعد في نفسـه ,ابـق هنـا بجـواري يكفـي مـا مـر مـن عمـري وحيـدا بدونـك ، أرجـوك لا ترحـلِ ,ليتنـي أسـتطيع أن أمنعـك مـن المغـادرة يـا جميلتـي ، لمـا سـكنتِ القلـب لم يبـقَ موضـعٌ بجسـدي

إلا وتحـول إلى قلـب ينبـض ويرقـص ويقفـز مـن فـرط سـعادته وشـوقه إليـكِ ,قبلينـي يـا حبيبتـي كي ادعـي أن إلـه الحـب مـر بجانبـي وتـرك أثـره عـلى شـفتي ثـم همـس « أحبـك»

خفق قلبها حين سمعت همسه ، «يظل اروع شعور تمر به هو ان تكون غارقا في حب شخص يشعر بما تشعر به يردد في نفسه عبارة فتسمعها بوضوح ، التفت إليهما خالد ,كأنه يخبرهما أنه قائم على أفكارهما وهمساتهما ، إلا أن صدفة ردت « في أعماقها : «أحبك» ,ولم أحب سواك فلتبق هذه الحقيقة في مستقر ذاتك ,لا تنسها مهما رحلت ُعنك ومهما ابتعدتُ ، لم تخُنك عيناك حينما رأيتني أنمو داخلك وبين يديك ، لم يخُنك قلبك حين يسمعني وأنا أهمس كل ليلة « أحبك» ، نحن لم نكن كذبة يا حبيبي ولا وهماً فقد كنا الحقيقة الوحيدة في عالم زائف ، سامحني ان لم استطع البقاء معك إلا أني سأغادر جسدا بلا روح ,فروحي هاهنا ترقد في كفيك وتحلق حولك فتحط على كتفيك .

سأل سامح إن كانا بحاجة إلى أي مساعدة ,وعرض عليهما أن يبقى في المستشفى ويذهبا للراحة وتبديل ثيابهما ، إلا أنهما شكراه فاستأذنهما للانصراف ، سارا معهم حتى نهاية الممر ,دخل الثلاثة المصعد الكهربائي ,إلا أنه قبل أن يغلق بابه رمق «سعد»»خالدا» بنظرة سقطت في قلب صدفة فارتطمت بأعماقها مصدرة صوت عال جدا لم يسمعه سوى خالد ..

وانتقل ببصره سريعا لـــ «صدفة» وهالة من الحزن تحوم حوله فوجدها تقف في زاوية المصعد تحتضن حبها بين يديها تخشى عليه وتخبئه من نظرات نفسه التي سئمت مللها وترددها ودعها سعد وهو يضمها إليه أكثر وأكثر ، ينسج من شوقه إليها قيدا ,يلفه حولهما حتى لايستطيع أحد مهما كان أن يأخذها منه,وهل يستطيع أحد أن يأخذها منه ؟ إنها له و منه إلا أن مجرد تذكره لخالد قد جعل منه شخصا مجنونا ، ماذا يريد منها ولماذا أتى معهم ؟ وهل يكلمها في الجامعة ، هل يتصل بها ليلا ؟ هل ترد عليه ؟ أسئلة كيرة تدور في رأسه لا إجابات لها.

إنـه لا يحبهـا ,ولا يعشـقها ,إن هـذا ال « سـعد» تخطـى كل هذه المراحل وبلـغ مراحـل أخـرى لم يُسـمع عنهـا في كتـب الحـب ,ولكنهـا قـد تكـون في كتـب الكيميـاء :هكـذا قـال خالـد في نفسـه ، لم يمـر عليـه مثـل هـذه الحالـة مـن قبـل ، لقـد رأى في عينـي هـذا الرجـل مـا وصفتـه لـه امـه ذات مـرة « قائلـة : بعـض القلـوب كزجاجـة النـار, مـا إن يسـكنها الحـب حتـى يتمـدد فيمـلأ أركانها,يتخلـل زواياها,يتغلـل بـين انسـجتها ، فـإذا مـا بلـغ الشـوق منتهـاه ,اشـتعل,ولايمكن لأحـد وقتهـا اخـماد النـار لأنهـا سـتزيد كلـما نظرأحدهـما للآخـر وكلـما همـس أحدهـما للآخـر ,ستسـمر النـار حتـى تـأكل أحدهـما أو كليهـما»

وتذكـر خالـد أيضـا يـوم حـكى لوالدتـه عـن مشـاعره تجـاه احداهـن فقالـت : عندمـا تعشـق يـا ولـدي لـن تنتظـر حتـى يقـرأ لـك أحدهـم مـا في قلبـك ,عندمـا تعشـق لـن يبـق موضعـا في جسـمك إلا وقـد صرخ بقـوة «إني أحـب» ترقرقـت دمعـة بـين عينيـه وهـو ينظـر إليهـا ,يـرى لهـب ذاك الحـب المشـتعل داخلهـا ، إلا أنـه يخشى عليهـا مـن الاحـتراق .

أوصـل خالـد سـامحا إلى حيـث سـيارات الأجـرة ليذهـب إلى عمله,واسـتأذنه في أن يصحـب صدفـة معـه إلى الجامعـة حيـث أنـه ذاهـب لهنـاك ، وافـق سـامح مضطـرا وتمنـى لـو أنـه لم يـأتِ بصدفـة مـن البيـت حيـث لم يرحـب بفكـرة أن تذهـب مـع خالـد رغـم ثقتـه فيـه وفيهـا .

لسـبب مـا شـعرت صدفـة أن خالـدا لاحـظ نظراتهـا المتبادلـة مـع سـعد بـل كادت تجـزم أنـه سـمع همسـهما ,شيء غريـب فيـه يدفعهـا نحـوه بفضـول ، كأنـه يقرأهـا ويسـبر غـور أعماقهـا يتجـول داخلهـا بسـهولة أرادت أن تسـحبه بعيـدا عـن المستشـفى ومـا حـدث فيهـا فقالـت : ألـن تـروي لي بقيـة القصـة ؟

أجابهـا مبتسـما بصـوت هـاديْ: أحـب ذلـك بـل أشـعر أحيانـا أنـه مـن

واجبي أن أحكي لك .
وقبل أن تسأله عن معنى عبارته واصل حديثه قائلا : يحكى أيها الملك السعيد ذو الرأي الرشيد ,أن أبي ركب بجوار جدي وهو في حالة ذهول تام من «فتاة الصيدلية»أو صاحبة الشعر المنفوش كما يُحب أن يسميها ,ذهب إلى النادي ولعب مع أصدقائه وهو يُفكر في هذا الجانب الآخر من الحياة وكأنه مختبئ وراء «النيل» يستمد نوره من نفس الشمس وتظله نفس السماء ، إلا أن ملامحه تبدو غريبة جدا عن ملامحهم ..
مرت أيام كثيرة لا يعلم أبي عددها وفجأة دق الهاتف وكان المتصل «عم صاوي» يسال عن جدي وعندما لم يجده ترك له رسالة أن يتصل به أو يذهب إليه في أسرع وقت
أعد أبي عدته ليذهب معه إلى الصيدلية ,إلا أن آماله خابت بعد ذلك حينما اكتفى والده بالاتصال التليفوني ,وبعد مرور عدة أيام أخرى ,علم أبي أن والده ذاهب إلى «عم صاوي» فألح عليه أن يصحبه معه فوافق ..
دخل أبي الصيدلية هذه المرة وهو مستعد لمواجهة « ذات الشعر المنفوش» التي استقبلتهما على الباب وهي تمسك في يدها اليسرى لعبة على شكل عروسة مصنوعة من قماش تستطيع أن تستنتج أن لون القماش كان أصفرا إلا أن بقع الزيت وأثار أصابعها الصغيرة تكاد تكون ذهبت باللون ولم تترك إلا بقايا من لون ، وباليد الأخرى بقايا لقطعة حلوى تعرقت في يدها ..
سألها جدي عن والدها فأخبرته : يزور أحد الرضى وسيأتي بعد قليل
ثم نظرت لأبي وقالت : أبي يعالج أهل الحي وكذلك أمي .
تجاهل جدي ما قالته الفتاة ,إلا أن أبي انتهز الفرصة وقفز إلى الحوار وقال : أنا أيضا سأصبح طبيبا عندما أكبر
جاء رد جدي غير متوقعا حيث قال له: ستكون صيدليا مثل والدك

فوثبت ذات الشعر المنفوش وثبة وردت: أما أنا سأصبح طبيبة مثل أمي ووالدي ثم نظرت لأبي وهي تضيق من عينيها الواسعتين وتخرج طرفا من لسانها له في غفلة من جدي وقبل أن يتمكن أبي من الثأر لنفسه دخل عم «صاوي»

نظر أبي إليها ولكن قبل أن يتكلم سألته: كيف حال المذاكرة معك؟

أجاب : جيد ثم سألها عن اللعبة التي بيديها ,اخبرته أن أمها صنعتها لها لتلعب بها بعد الانتهاء من الواجبات المدرسية

وسألته : وأنت ماذا تفعل بعد إتمام الواجبات

أجاب : أذهب إلى النادي أو أعزف موسيقى واحيانا أقرأ بعض الكتب

قالت على أي أله تعزف؟

أجاب : البيانو

هزت رأسها عدة مرات لتعطيه انطباعا أنها تعرف هذه الآلة ثم

قالت : وماذا تقرأ ؟

أجاب : كتب

سألت : في أي موضوع ؟

قال : عن أشياء متنوعة وبعضها مجرد قصص

قالت : هل من الممكن أن تعطني كتابا أقرأه ؟

قال : إنها كبيرة عليك ,لازلتِ صغيرة على القراءة

ردت بغضب: لست صغيرة ، وأحب الكتب

قال : في المرة القادمة سأحضر لك كتابا

قالت : بل اثنين

وافق أبي لكنه قال : لا أعلم متى يمكنني أن أحضرهم وكيف ؟لا أعلم متى سيأتي أبي إلى هنا مرة أخرى ؟

ردت ببساطة: أحضرهم أنت

فتح أبي فاه ,وانتصبت أذناه واحمرت وقال :أنا ؟ فلم يذهب إلى

أي مكان بمفرده أبدا قبل ذلك اليوم
ردت : نعم فأنت كبير بما يكفي وتستطيع أن تأتي بمفردك إلى هنا
أيقظت كلماتها الرجولة الكامنة في أعماق أبي حينها ولأول مرة يشعره أحد أنه « رجل » «كبير» يستطيع أن يُنجز بعض المهام وحده و عندها صمم أن يكون على قدر ثقتها به ,خرج إلى باب الصيدلية ليتأكد من العنوان ويحفظه .
في هذا اليوم لم ينم أبي من فرط انفعاله يريد أن ينتقي لها كتبا بسيطة تحبها كما يريد أن يختلق طريقة تمكنه من الخروج وحده انتقى كتابين لتوفيق الحكيم «حمار الحكيم « وعصفور من الشرق» لم يكن واثقا من قدرتها على استيعابهما ، هو نفسه لم يستوعبهما جيدا ، كان مرغما على القراءة لأنه من أولاد الذوات ولم يكن له حق اختيار ما يقرأ ,فالكتب تفرض عليه فرضا بما يراه والده مناسبا ، كانت امه توافق والده على طول الطريق رغم تربيتها الغربية ، لذلك لم يجد مفرا من الانصياع التام لهما
كان عليه أن يخبر شخصا بسره حتى يستطيع الذهاب وحده إلى هناك، لم يجد غيره ، جاره وصديقه أيضا و زميل له في نفس الصف والده باشا أيضا ..
وكانت الخطة أن يذهب أبي إلى جاره ومن هناك يستقل أحد سيارات الأجرة ويذهب إلى الصيدلية ,وفعلها أبي وذهب إلى الصيدلية إلا أنه لم يجد «هدى « هناك سأل عنها والدها فقال انتظر حتى ارسل اليها ,خشي والدي أن يتأخر فينكشف سره فاعتذر لعم «صاوي» أنه لا يستطيع أن ينتظر ..
ثم ترك الكتابين لعم «صاوي» وقال سأمر في وقت آخر ، فأعطاه «صاوي» رقم هاتف الصيدلية وقال اتصل يابني قبل أن تأتي في المرة القادمة ..
وافقه ثم تابع ,هل يمكنك ألا تخبر أبي أني أتيت ..

هز «صاوي» رأسه وقال: لن أخبره.
عاد أبي أدراجه ووصل إلى بيت صديقه ,روى له ما حدث سريعا ثم عاد إلى البيت ..
وبعد أربعة أيام وجد أبي نفسه يتصل بالصيدلية ردت عليه أمي فسألها: هل قرأت شيئا من الكتب؟
أجابت: قرأت الكتابين
رد عليها مباشرة : كاذبة
ناقشته «هدى « في بعض النقاط مما أكد له أنها قرأت الكتابين ثم سألته هل قرأت شيئا ؟
شعر أبي بجرح في كرامته حيث لم يقرأ سوى بضعة صفحات من كتاب واحد ..
قال أبي : لم انته من الكتاب الأول بعد
قالت : هل من الممكن أن تأتيني بكتابين آخرين أو ثلاثة ان شئت؟
هل تُحبين القراءة ؟ : سألها أبي
أجابت : جدا ,سأنتظر الكتب .
توالت الزيارات وتبادل الكتب حيث أن عم صاوي « جدي « أحضر عدة كتب لابنته عندما رأي انكبابها علي القراءة ،
كان أسعد أوقاتهما حينما يتناقشان حول طرح ما رغم صغر سنهما «وقد شجعته على أن يقرأ بل جعلته يلتهم الكتب التهاما ، استطاع والدي أن يحافظ على زيارة الصيدلية سرية للغاية كذلك عم صاوي فاللقاءات كانت أمامه لاشيء فيها سوى مزيدا من التهام الكتب وطرح الأفكار والشجارات ، كانت الشجارات بينهما لا تنتهي ,كما لو كانا يخترعان شيئا ليختلفا عليه ، استطاعت أمي أن تسيطر على وجدان أبي تماما ، كانت تُحيط به من كل جانب ، تتفوق عليه دائما ، حتى أنها تعلمت العزف على آلة العود ,رغم صغر يديها ونحالة جسدها التي كان يختفي تماما وراء العود ، إلا

أنه فاجأته ذات مرة حين طلبت منه أن ينتظرها لدقائق ,غابت وعادت تحمل العود بالكاد تستطيع حمله ، ثم أخذت وضعها على الكرسي وامسكت بالعود بطريقة صحيحة تماما وبدأت في عزف لحن بسيط بطريقة مقبولة

سألها أبي من أين أتيتِ بالعودِ ؟

قالت له :من عم « ناجي» ,كان عم ناجي جارهم ومن رواد المقهى الكبير على ناصية الشارع ، يعزف ليلا لزبائن المقهى ويِحيي الأفراح والحفلات أحيانا ، روت له أمي كيف ألحت عليه أن يعلمها العزف على العود ، رفض في البداية الا انه وافق في النهاية مضطرا تحت إلحاحها الشديد ، وسرعان ما أدهشته بسرعة استجابتها لتعلم العزف ، قال لها يوما : انك تحتضنين العود يا هدى كما لو كنتِ تحتضنين الحياة ، ستتعلمين أشياءوأشياء يا بنيتي ، لن تقع عيناك على شيء إلا و تعلمتيه ، ولكن لا أعلم هل هذه هدية من القدر أم نقمة ستدفعين ثمنها لاحقا.؟

نجح أبي في التوجيهية وكان يعلم أنه لا مفر من دخول كلية الصيدلة ونالت أمي الشهادة الإعدادية أيضا وهنا قرر عم «صاوي» أن يغتال حرية أمي وحقها في تقرير مصيرها واختيار طريقها بنفسه ..

سعل خالد سعالا خفيفا وهو يضم يده أمام فمه ويقول: وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

كانت صدفة تنصت له بكل جوارحها شيء ما يخبرها انها وهذه المرآة « والدة خالد» يشتركان في كثير من الصفات ، بل تشعر كما لو كان رابطا قويا يربط مصيرهما معا ، وماذا عن خالد؟ لماذا اقتحم حياتها بهذه السرعة والسهولة في نفس الوقت؟ ولماذا سمحت له؟ شيء ما غريب في هذا الشخص ,ما زلت مصرة على أنه يستطيع قراءتها كما لو كانت كتابا للصف الأول الابتدائي أمام

عـالم في علـوم اللغـة ، مـا الـذي أتى بـه في طريقهـا ؟ إلا أنهـا أخرجـت كل هـذه التسـاؤلات مـن رأسـها فقـد وضعـت قانونـا لنفسـها تسـير عليـه منـذ زمـن ملخصـه أن «الصدفـة» هـي الزائـر الوحيـد القـادر على تغـير حياتـك وقلبهـا رأسـا عـلى عقـب « وان ثمـة أشـخاص خُلقـوا كي نقابلهـم فيأخذونـا مـن أنفسـنا ,يفرشـون طريقنـا بالأمـل ,يزرعـون في نفوسـنا السـعادة ,ثـم يرحلـون « هـذا مـا كانـت تعتقـد فيـه .

قالت لخالد: متى بقية القصة؟

أشـار بيـده نحـو مبنـى الجامعـة وقـال: الآن علينـا أن نـدرس بجِـد ثـم نكمـل قصتنـا مـرة أخـرى

دخلـت «صدفـة « الجامعـة ورأسـها مكتـظ بالأفـكار ، وصـورة سـعد تتـلألأ في مقلتيهـا تحجـب عنهـا الرؤيـة ، وصوتـه وهـو يسـألها عـن حالهـا يمـلأ أذنيهـا.

في هـذه الأثنـاءكان سـعد يجلـس عـلى بـاب غرفـة والدتـه يـشرب كوبـا مـن القهـوة ويحـاول أن يسـتعيد كل لحظـة جمعتـه بهـا ، تمنـى لـو اسـتطاع أن يمنـع أحـدا مـن المـرور في هـذا المـكان الـذي احتلتـه لدقائـق، يتمنـى لـو أن الزمـان توقـف بـه عنـد لحظـة استنشـاقه واياهـا نفـس الهـواء ...

إلا أنه انتبه فجاه على صوت أخيه يصرخ : دكتور ,دكتور

جـاءت الممرضـة مسرعـة دخلـت الغرفـة وبعـد لحظـات خرجـت منهـا وعـادت مـرة أخـرى والطبيـب مهـرولا خلفهـا ، نظـر في اللـوح المعلـق فـوق رأس المريضـة مسـجلا حالـة القلـب ثـم طلـب مـن سـعد واخيـه اخـلاء الغرفـة فـورا ,بعـد فـترة مـرت عليهـم طويلـة جـدا ، أخبرهـما الطبيـب أن والدتهـما حالتهـا حرجـة وعليهـم تكثيـف الدعـاء لهـا كي تمـر السـاعات القادمـة عـلى خـير ومنـع عنهـا الزيـارة

الا أن السـاعات أبـت أن تمـر حاملـة الشـفاء للمريضـة بـل حملـت لهـا رسـالة أخـرى تعلمهـا فيهـا بقـرب الوصـول لعـالم

غير العالم فقد ماتت الأم .
اتم شقيقه إجراءات المستشفى فقد كانت حالة «سعد» لا تسمح له بالقيام بأي شيء ، لا يتخيل أنه سيعود إلى منزله بغير أمه فقد كانت رفيقته الدائمة الوفية ,الوحيدة التي لم تخذله فلم تصفه بالجنون حينما يشط بأفكاره ,لم تغضب منه حين يرفع صوته عليها بل كانت تدعو له بالهداية ، أين ذهبت دعواتك بالهداية يا أمي ؟ من سيدعو لي من بعدك «بالزوجة الصالحة» ؟! لن يتذكرني أحد من بعدك. ستأخذين معك أيامي وسعادتي .
من سينتظرني حين أعود من عملي لنأكل سويا ؟ من سينقذني من نفسي البائسة الساكنة في هذا الجسد الأخرق
من غيرك يا أمي؟ صدفة ؟ سأل نفسه
 انتهت مراسم الجنازة ودفن الأم, لم يخبر اخته إلا بعد الانتهاء من كل شيء ، سيسافر أخوه خلال أيام أيضا ، لم يبق غيره.
في هذه الأثناء لم يبق أحدَ يعرف سعد أو لا يعرفه إلا وقد أشار عليه ونصحه بأمر ما وكل يؤكد أن رأيه هو الأمثل لظروفه
إن عدد من تدخلوا في شؤونه خلال اليومين الماضيين يكفي لإنشاء «نقابة "وتعين متحدث باسمها
الكل متفق على ضرورة زواجه ,وأنه لا يمكنه العيش وحده دون زوجه ترعاه وتقوم على شؤونه ,كما أن البيت سيكون موحشا بعد موت الأم .
لم تستطع «صدفة « أن تذهب للعزاء خاصة أن أخت سعد لم تكن موجودة ، إلا أن قلبها يكاد ينخلع من فرط قلقها عليه,تعلم الحالة التي سيكون عليها ، تتمنى لو أنها خففت عنه بأي شكل, تخجل من أن تتصل به ,قد يكون أحد معه بالمنزل ,قد يكون في حالة لا تسمح له بالكلام سأنتظر حتى يتصل بي
ليتها تنساه ، لم تتحدث معه من فترة طويلة منذ أن مرضت

والدته ودخلت المستشفى وها هو أسبوع مر على وفاتها وسعد لم يتصل، ومع ذلك تشعر به سارح في ملكوت جسدها وقلبها, تشتعل وجنتاها حينما تسمعه من وقت لآخر يهمس لها « أحبك» تهمس له أيضا « أحبك» واشتقت أليك ، أه يا سعد أ حبك صار كعقدة ليس لها حل ، نظراتك تحيطني كسوار معصم .

همست في شوق :»أين أنت يا قرة العين ومنية النفس» إلا أنها لم تسمع إجابة

التقت صدفة خلال الأيام القليلة الماضية ب «خالد « في الجامعة لقاءات سريعة لم تسنح لها الفرصة أن تستمع لبقية القصة ,كان من الواضح أنه مشغول أو بدا كذلك ، إلا أنه في كل مرة رأته فيها كان رائع المظهر والابتسامة ، لم تفكر من قبل في وسامته ، كانت تعتقد أن وسامة سعد لا تضاهيها وسامة ، كانت لا ترى غيره بالأحرى ، لكن خالدا نجح في أن يظهر نفسه لها ، وأن يفرض صوته عليها ، في كل اللقاءات السريعة الماضية لم ينس أن يقول لها « نكتة» في أخر الحديث ثم يتركها وهي تبتسم ، عيناه لامعتان عميقتان كعيني «سعد» إلا ان سعد له عيون شهباء واسعة ، وكان خالد إ يفوقها طولا ويفوق سعد أيضا ، سألت نفسها مرارا ماذا سيفعل سعد بعد وفاة والدته ؟ كيف سيعيش وحده؟ وإلى متى؟ وهل ستظل تحبه حبا لا نهاية له ؟ أين شاطئاك يا حبيب العمر فأمواج الحياة تتقاذفني يمنة ويسرى فهل سآوي يوما إلى بر الأمان بين أحضان رمالك التي طالما رأيت فيها ذاتي فقد تعبت السباحة ,وأريد الاتكاء في ظل شجرة حبك ؟

كان سعد مشغولا مع أخيه ، كما أنه لم يتأقلم بعد على حياته الجديدة الخاوية من دفء أنفاس والدته وصوتها الحنون

أصر أخوه أن يعود سعد للعمل قبل أن يُسافر حتى يطمئن عليه ، كان ينتظره كل يوم حين يعود من عمله يتناولان الطعام سويا

ثـم يأخـذه ويخرجـان لترتيـب أغـراض السـفر حتـى جـاء موعـد سـفره ,ودعـه بدمـوع الحـزن عـلى فراقـه وفـراق والدتـه في نفـس الوقـت ,مـاذا تفعـل فينـا الحيـاة ؟ لـو كان هنـاك إلهـا لهـذا الكـون لـرق لحـالي هكـذا حـدث نفسـه ,تبـا لصدفـة وللجميـع ، مـا الفائـدة منكـم جميعـا ؟ أنـا الآن وحيـد حزيـن ,كغصـن شـجرة ملقـى عـلى جانبـي طريـق ,أيـن اللـه الـذي طالمـا ذكـروني بـه ؟

تبا لك يا صدفة ولأفكارك يا من أرهقتني بالحديث عن « الله«

شـعرت صدفـة بوخـزة في قلبهـا ,وكأن رئتيهـا لا تقويـا عـلى التنفـس ,سـمعته وهـو يسـبها ,أدركـت مـا قالـه ، لم يـا سـعد ؟ : سـألته وهـي تعلـم أنـه لـن يجيـب وتيقنـت أن سـعد يعيـش حالـة مـن حـالات الشـتات النفـسي وان عليهـا أن تتجنبـه حتـى يعـود لطبيعتـه

هـل كُتـب عـلي دومـا انتظـاره؟ سـألت نفسـها ثـم أجابـت: ثمـة أشـياء في الحيـاة تسـتحق ان نسـتمتع بهـا .

كان لا يـدري أن خالـدا ينفـذ إلى قلبهـا مـن خـلال هـذه الثغـرة ولولاهـا لتوقفـت عـن المقارنـة ,رغـم أنهـا تعـود حتـى الان متيمـة بـه لكنهـا تخـشى أن تذهـب يومـا فـلا تعـود ثـم همسـت لـه : وحـق الحـب أني حتـى الآن لم أعشـق سـواك ولم أر غـيرك ولا يُطـرب أذني غـير صوتـك ,لكـن رحـماك بالقلـب الـذي يهفـو إليـك ,ارحـم يومـي وغـدِي ، سـأعذرك حبيبـي وسـأنتظرك حتـى تعـود ، أملـت «صدفـة» أن تكـون وفـاة والدتـه بدايـة جديـدة لـه مـع « اللـه» وأن يتخـلى عـن معتقداتـه التـي باتـت تزعجهـا وتجعلهـا تتأكـد مـن أن مصيرهـما للفـراق حتـما .

تـرك لـه أخـوه سـيارته هديـة، عـاد إلى عملـه بشـكل منتظـم ,إلا أنـه لم يتصـل بصدفـة حتـى الآن ، لا يعلـم مـا الـذي يمنعـه عنهـا ,إلا أنـه كلـما هـم بالاتصـال قفـزت صـورة والدتـه أمـام عينيـه وكأن صدفـة وكل مـن يؤمنـون باللـه هـم السـبب في موتهـا ، ألسـتم تدعـون أن ربكـم رحيـما ؟فلـماذا لم يرحـم حـالي ويبـق لي أمـي ؟!

مـرت الأيـام ببطء لكنهـا مـرت عـلى كل حـال ,لم يبـق غـير أسـبوع واحـد وينتهـي العـام الـدراسي ,كانـت لقـاءات خالـد وصدفـة فيهـما دائمـة لكنهـا قصـيرة وسريعـة وبغـير ترتيـب ,اشـتاقت صدفة ان تسـتمع لبقيـة القصـة إلا ان خالـدا وعدهـا أن يتفـرغ لهـا في الأسـبوع المقبـل فيحـكي لهـا كل يـوم حكايـة

قالت: كل يوم؟

قال: نعم كل يوم إلا اذا كنتي لا ترغبين بهذا

قالـت : بـل أرغـب ثـم نظـرت إليـه وسـألته :لمـاذا يُلحـد البعـض ؟ وكيـف لنـا أن نُعيدهـم إلى اللـه مـرة أخـرى

وكأنـه أدرك سرهـما ومـا يقربهـما حـد الذوبـان ثـم يفرقهـما مـرة أخـرى كأنهـما لم يلتقيـا قـط ، قـال بهـدوء واختيـار دقيـق لألفاظـه : أعتقـد أن الملحـد يؤمـن في داخلـه بوجـود اللـه عـز وجـل حتـى لـو أظهـر خـلاف ذلـك ، الملحـد شـخص ضعيـف تائـه ، أراد أن يتحـرر مـن التكاليـف الشرعيـة الملقـاة عـلى عاتـق المؤمـن بمـا يسـتوجبه ايمانـه وهـو لا يعلـم شـيئا عـن طبيعتـه ولا طبيعـة الأشـياء مـن حولـه ,أراد أن يجـذب انتبـاه مـن حولـه فلـم يجـد أسـوأ مـن هـذه الطريقـة ,يسـتطيع طفـل صغـير أن يجعـل الملحـد يشـك في عقيدتـه حيـث أنـه لا عقيـدة لـه ولا مذهـب ولكنهـا يـا صدفـة درجـات ,أولهـا شـخص مذبـذب تائـه الفكـر يـرى في انـكار اللـه مـا يجـذب النـاس إليـه ومنهـا مـا يصـل إلى عبـادة الشـيطان شـكرته صدفـة وانصرفـت وهـي لا تـدري لم سـألته ! ولكنهـا قـررت أن تقـرأ أكـثر في الموضـوع ,كـما أنهـا قـررت أن تضـع النقـاط عـلى الحـروف في علاقتهـا بسـعد .

مـن جـدران «سـعد» العازلـة عـن العـالم لجـدران « خالـد» وكأنـه مكتـوب في لوحهـا أن تظـل حبيسـة «نفـس» واحـدة ,شـخص واحـد, حتـى اللحظـة فـإن صدفـة تعيـش عالمهـا المختلـف تمامـا عـن عـالم بنـات جنسـها فليـس في حياتهـا سـوى سـعد والروايـات ثـم أُضيـف

لهما خالد وروايته ,فحتى الآن لم تكون علاقة قوية مع أحد من زملائها ,فقط احاديث عابرة عن الدراسة أو الاختبارات أو شيء من هذا القبيل ، متى ستخرج إلى العالم ؟ .

في المساء جلس سعد أمام الهاتف يحارب شخصا داخله يمنعه من الاتصال بها ، يصرخ في وجهه لماذا لم تتصل هي ؟ أليس حريا بها أن تسأل عنك بعدما فقدت والدتك؟ ما الذي يمنعها عنك؟ هذا «الخالد» هو من يمنعها « !

يرد على صوته: ألم تأتِ إليك بالمستشفى؟ ألم تر الشوق في عينيها كحبات العقد المنفرطة ,أنى لها أن تعلم ظروفك الآن ؟

إلا أن الصوت الآخر لا يهدأ ولا يتركه لشوقه وللشوق لغة تربك القلوب أحيانا ,إلى متى سأظل جالسا أمام الهاتف دون أن أتصل,أين أنت يا «صدفة» ألم يدفعك الحنين للسؤال عني ؟

اشتقت إليك يا حبيبتي وغاضب منك ,لم تتركيني وحيدا هكذا ,ألم تشتاقي لصوتي ,رائحتي ، لذلك الكيان المتصدع من شدة شوقه إليكِ

غاضب منك وودت لو أصالحك بأمطار من القُبل تملأ بشذاها عالمك وأن ألملم بكفي خصلات شعرك ولا أتركها حتى تسكبين في ثغري الحياة قطرة قطرة ,قبِّلي شفتيَّ ,رئتيَّ, قلبي ، اسبحي في دمائي وأقسمي ألا تغادريني مهما أتعبتك أو قسوت عليك,خبئيني في أحشائك كابنك ,وعانقيني كعاشق مصلوب بمعبدك ,وتبعثري داخلي كقطرة من غرام سقطت على صخرة قلبي ، أين أنا إن لم أكن في أحضانك ؟!

ارتديني معطفا ,خاتما ، خذيني كتابا بين يديك ,ليس لي ياصدفة في هذا الكون الواسع غيرك ,انا بدونك ضائع ، أخشى الحياة ,لا تتركني لضعفي لموتي ,ثوري من أجلي ,ابقِ جواري ,لا ياحبيبتي بل ابق داخلي ,وللمرة الأولى يبكي من الحب ,فللحب دموع تنساب حينما تعجز الكلمات عن التعبير و عندما يفيض القلب بالحنين ، حبيبتي

تركني الجميع وها أنا أولد من جديد بين كفيك ياصغيرتي ,فرفقا بقلب مزجه الشوق بالخيال والحب بطيفك .

همس « أحبك»

اضطربت «صدفة» وخفق قلبها بقوة كاد كوب العصير بيديها أن يسقط ,كم كنت مشتاقة لسماعها يا حبيبي ,إن حبي لك كالنوم الخفيف يوقظه أي صوت ثم همست « أحبك» ، يا حب عمري لا تتركني لحيرتي وغضبي ,أخشى أن تفقدني ، أخشى أن تستيقظ يوما فلا تجد قلبي في زاوية روحك ، أخاف أن أضيع منك للأبد فتحيا وحيدا بدوني ,تهمس «أحبك» فلا يسمعك أحد ,ينتصف الليل فتسألك عني الساعات التي كانت ممتلئة بكلماتنا فلا تستطيع اجابتها ,هل لك أن تفهم !هل لك أن تفتح بابا أغلقته في وجهي فأنا بالباب أنتظر أحمل حبي وبعضا من ذكرياتنا ,هل لك أن تلقاني الآن ؟ ثم همست « أحبك» .

ابتسم حينما سمعها وددت لو أهديتك نفسي وإن كانت سترهقك يا حبيبتي كما أرهقتني.

أمسك بالهاتف وهو يرحل بعيدا عن ذاك الشخص القابع داخله وأدار قرص الهاتف

بسرعة رفعت صدفة السماعة قبل أن يستيقظ أحد

سألها: كيف حالك

قالت: بخير وانت كيف حالك

قال: لازلت أحبك

دق قلبها حتى سمعه على الطرف الآخر وسألها: وأنتِ؟

قالت: وأنا ماذا؟

قال: هل لازلت تحبينني؟

قالت في خجل: نعم

قال: ولكنك لم تهمسِ لي بحبك من فترة طويلة

قالت: لأنك لم تهمس لي
قال: وهل اذا توقفت عن الهمس ستتوقفين؟
أجابت: نعمٍ سأتوقف عن الهمس لكن ،,لن أتوقف عن حبك
سألها: إلى متى؟
قالت: وعدا علي وعهدا ألقى به الله ألا أتوقف عن حبك ما حييت ,وأن ارسم وجهك في كل صباح طيفا يرافقني وظلا يصاحبني ,وصوتا يُطربني
قال: أما أنا فلن أرسم وجهك ,بل سأحفره على جدران الزمان وسأنقشه على صخور أيامي التي قد تحول بيني وبينك يوما ، سأحتل قلبك وجسدك أدور معك حيث تدورين ، لن يُحبك أحد مثلما أحببتك ولن يسكنك شخص غيري
أجابت: لا أريد ، لا أريد أن يحتل قلبي غيرك أو يسكنني شخص أخر, لا تتركني
قال: لن أتركك أبدا
أجابت: بل تتركني دون أن تشعر ، لا يمكن أن أقضي عمري وأنا ألهث خلفك ، أخشى عليك من فقداني ,وأخشى على قلبي أيضا من فقدانك
قال: لن أتركك أبدا حتى في خيالي
ردت: سأسكن خيالك دوما سواء كنت معي أو بعيد عني هذا وعدي يا سعد
سألها عن أخبارها وتجاهل تماما أن يأتي على ذكر خالد ,خشي ان تقول له أنها تتحدث إليه حتى ولو كان مجرد حديث عابر ، وكذلك هي تعمدت ألا تذكره ,خشيت أن تثور ثائرته ولا تستطع اخمادها.
أغلقا الهاتف وقد وصف كل منهما نفسه بالجنون
ذهب سعد لفراشه مبتسما للمرة الأولى منذ وفاة والدته ,جاءت

كلماتها دوما كيدِ رقيقة تمسح على شعره ,تربت على قلبه ابتسمت صدفة لابتسامة قلبه التي شعرت بها عن بعد وتذكرت كم كانت غاضبة منه قبل لحظات من اتصاله وكيف هي الآن « أجمل ما في هذه الحياة أن تعيش وأنت تشعر ,تشعر بالحب, بالغيرة, بالفراق ,بلذة تشبه الاحتراق ,فالشعور هو الهدية التي يمنحها العاشق لمعشوقه»

كان خالد عند وعده في أن يلتقي صدفة كل يوم في آخر أسبوع لهما بالجامعة ,كان يجلس واضعا رأسه بين كفيه ينظر إلى أسفل حينما أقبلت عليه

سألته: ما بك؟

رد: ارهاق العمل ليس إلا ثم تابع ماذا ستفعلين في عطلة الصيف؟

قالت: لا شيء محدد غير القراءة كما تعلم

سرح خالد قليلا وقال : أردت أن اقترح عليك اقتراحا

ردت: تفضل

قال: ما رأيك أن تلتحقي بإحدى المعاهد المتخصصة للغات فتتقنين اللغة الإنجليزية أولا ومن بعدها ما شئت من اللغات,صمت قليلا ثم قال أفكر في أن تعملي بمجال الترجمة مثلي؟

_: معي ثم صمت

قالت ك لم أفكر أبدا في أن أعمل بهذا المجال

قال: حقيقة ولا أنا ,إلا أني اعتقد أن لا أحد قادر على أن يترجم الروايات والكتب الإنسانية أكثر منك ,فأنت تملكين مشاعرا لو أضفتها على أي عمل فإنه سيحقق نجاحات كبيرة

«حرام أن تفرقنا الدنيا بعد أن جمعتنا فيضيع العمر في البحث عمن يشبهك ,إن كنت سيدة الحسن فأنا حتى الآن لست بالشاطر حسن « قال خالد في نفسه ، نظر إليها مطولا وهو لا يعلم هل يشكوها لقلبه أم يشكو لها قلبه الثائر في ميادين عينيها .

ثـم تابـع شرحـه في هـدوء : انـتِ قارئـة جيـدة ، مشـاعرك تفيـض رغـما عنـك فتلقـي بظلالهـا عـلى مـن حولهـا ,لسـت أبالـغ حـين أقـول أنهـا تُغـرق مـن حولـك في بحـر لجـي لا نجـاة منـه إلا ....لم يكمـل عبارتـه ثـم تابـع قائـلا : لا أعلـم يـا صدفـة لكنـي أراك سـتحققين نجاحـات عظيمـة في هـذا المجال كـما لـو كنـتِ خُلقـتِ لـه

كان يريـد أن يقـول : لا نجـاة منـه إلا بقلبـك فهـو طـوق الحيـاة وشراع الأمـل لكنـه لا يريـد أن يسـتبق أمـوره معهـا .

«شـعر بتأنيـب الضمـير فهـو يعلـم جيـدا أنـه لم يقـل مـا قالـه إلا لأنـه يريـد أن يجعلهـا بقربـه ، فـإن لم تشـاطره بيتـه فليكـن عملـه ، لا يريدهـا أن ترحـل بعيـدا عنـه فلتبـق بجـواره بشـكل مـا « لم يسـأل نفسـه عـن السـبب قـد يكـون لحمايتهـا أو لـشيء أخـر في نفسـه

قالت وقد تحمست للفكرة: سأعرض الأمر على أبي

قال: سأنتظر ردك

قالت ألن تحكي لي بقية القصة؟

تذكـرت سـعد وهـي تنتظـره ليكمـل قصتـه ,لا تعلـم لمـاذا وهـل سـتظل تنبـض بحبـه إلى متـى ؟ أحبـك كثـيرا هـل تسـمعني ؟ لا يهمنـي إن كنـت «لي» أم لغـيري ، فأنـت لا تـدري سـيدي معنـى أن تهمـس في أعماقـك فيسـمعك قلبـي ، أن تبتسـم عينـاك فـترضى ذاتي, هـل أخـبرك أحدهـم عـن عنـاق الأرواح ، هـذا الـذي يـزداد قـوة والتصاقـا كلـما شـعر أحدهـما بالخـوف مـن الفـراق ؟ صعـب عـلي أن أعيـش يومـا لسـت جـزءا منـه فرحـماك بي

انتبهت على صوت « خالد»

قـال: يحـكى أيهـا الملـك السـعيد ذو الـرأي الرشـيد أن جـدي « عـم صـاوي» أصر أن تدخـل والـدتي مدرسـة التمريـض لتكـون «ممرضـة» مثـل أمهـا ..

تدخـل والـدي لكـن عـلى اسـتحياء محـاولا أن يـشرح لعـم صـاوي أن

ابنتـه مـن الممكـن أن تكـون طبيبـة وليسـت ممرضـة إلا أنـه أصر عـلى موقفـه تمامـا معتـبرا أن مجـرد التفكـير في كونهـا طبيبـة هـو أمـر يفـوق تطلعاتـه ..

لم تفلـح كل المحـاولات لثنـي جـدي عـن قـراره واستسـلمت «هـدى » لمصيرهـا الـذي قـرره والدهـا ، وكانـت طـوال هـذه الفـترة تلتقـي بـأبي في الصيدليـة يتحدثـان عـن الكتـب أحيانـا وعـن الموسـيقى أحيانـا أخـرى وكذلـك بعـض الأحاديـث عـن المدرسـة والأصحـاب

لم يقل أحدهما للآخر يوما كلمة توحي بارتباطهما العاطفي,ولكن كل يوم مر عليهما زاد في عقد الوصال بينهما حتى صارت مستحيلة الحل .

لا أحـد يـدري كيـف يتسـلل الحـب داخلـه ,يـسري في أوصالـه كدبيـب النمـل ، يتشـعب ,يصـير شـيئا فشـيئا جـزءا مـن تكوينـه ، لا يسـتطيع أحـد أن يختـار « الـروح» التـي ستسـكن « روحـه» فقـط يسـتيقظ يومـا وقـد مـلأت ذاتـه وأنـارت أعماقـه ,فيجـد نفسـه كلـما رحـل بعيـدا يرحـل فيهـا ,يُدمـن صوتهـا ,يهـذي باسـمها .

دخـل والـدي كليـة الصيدلـة ودخلـت أمـي مدرسـة التمريـض كانـت تلتقـي والـدي في الصيدليـة يحدثهـا عـن المركبـات الكيميائيـة والتفاعـلات ,عـالم جديـد بـدأت أمـي تخوضـه مـع أبي ,لا تعلـم عنـه شـيئا ,تـرك أبي كتـب الأدب التـي عشـق قراءتهـا معهـا والروايـات التـي أدمناهـا وانطلـق ينهـل مـن كتـب الكيميـاء كأنـه خُلـق لهـا ,وكانـت أمـي وقتهـا لا تسـتطيع ان تتجـاوب معـه فقـد كان يتكلـم كلامـا علميـا لا قبـل لهـا بـه وهـي لا تقبـل ذلـك أبـدا ,كيـف يتحـدث وهـي لا تفهـم ؟ كيـف يتكلـم وهـي لا تـرد ردا صحيحـا كعادتهـا ؟!

وفعلـت أمـي مـا لم يتخيلـه أبي ولا والدهـا ، بـدأت في قـراءة كتـب الكيميـاء ، مكنتهـا مدرسـة التمريـض التـي كانـت «داخليـة « مـن الانكبـاب عـلى هـذه الكتـب التـي لا تعلـم عنهـا شـيئا ، فقـد أرادت

ألا تفقد رباط التواصل بينهما لأي سبب, تقرأ أمي وتلتهم الكتب التهاما وتسأل الطلبة الذين يدرسون بكلية الطب والمتواجدين دوما في المدرسة وتسأل الأطباء ,لا يمكنها ان تكون بعيدة عن مجال تفكيره ، لا تدري لماذا تفعل ذلك رغم أنها مهما فعلت فالمسافة بينهما ستظل شاسعة .

ارتبطت هدى بفهمي ذلك الارتباط الذي يسمونه في الكيمياء «ذوبان» ، ليس لميزة في أبي ليست في غيره لكن فقط لأنها لم تر غيره ، كأنها نبتت داخله ، اختفى العالم إلا منه ,تلاشت جميع الأصوات إلا صوته ، لم تستطع أن ترى نفسها إلا بجواره وبداخله,كأنها تتنفس ليبقى هو على قيد الحياة ، كانت تخشى مجرد التفكير في أن تنتزع روحها من روحه كي ترى شكل العالم خارج حدوده : قال خالد وهو يقصد كل كلمة كأنه يرسل رسالته أخيرا لصدفة ,أراد أن يهز طبقات عقلها حتى تُعيد النظر في حياتها ,لا يدري لماذا ؟

لكنه ذاك الشعور بالمسؤولية الذي لا ترى له سببا مقنعا أو أنك تُقنع نفسك بأي سبب خلاف السبب الحقيقي .

في نهاية الأسبوع عادت أمي من المدرسة والتقت والدي كعادتها في الصيدلية ,دار بينهما حوار عن أحدى المركبات الكيميائية كانت أمي تتناقش بثقة وعلم وأبي كعادته مبهور بذات الشعر المنفوش التي صارت أجمل من كل بنات طبقته بوجهها المستدير وعيونها الواسعة ورموشها الطويلة ,وشفتيها التي تفوق حمرة حبتي توت تقبل كل واحدة منهما الأخرى ، وجسد متناسق جميل ,كان يحب أن ينظر إليها عندما تتكلم بكل ذرات جسدها لتقنعه بما تقول ,كان يحبها حين تبهره ,اعترف لها بعد ذلك كم كان يود لو عانقها

وقبلها ١٠٠ قبلة عن كل حرف ، وكيف كان أصدقاؤه يذهبون للسهر والشرب و يأتون سكارى في آخر كل ليلة ,بينما هو يعود من عندها بنشوة تضاهي ما تفعله خمور الدنيا قاطبة وبإحساس يذهب بعقله ، لم يكن في حاجة للخمر ، فكانت أنفاسها الرقيقة البريئة تكفيه .

ازعج الحوار «عم صاوي» رغم أنه لم يتعد كونه حوارا علميا إلا أنه أدرك أنه أمام شخصين لن يفصلهما فاصل ولن يبعدها أحد ,ولا مجال لحواجز بينهما ولذلك قرر أن يكون هذا آخر لقاء لوالدي مع ابنته ,وعندما همً أبي بالخروج تبعه جدي وهمس له ببضع كلمات لم تسمعها أمي ,نظر بعدها أبي لأمي نظرة رأتها مختلفة للمرة الأولى ,كاد يخطفها من مكانها بنظرته,ثم رحل ..

رحل وهو يود لو يأخذها معه ,هل من حق أحد أن يحرمني منها حتى لو كان والدها ,وأين حقي أنا فيها ,أين سنوات عمري التي بنيت منها سورا يحيطنا ويبعدنا عن الناس ,ليس من حق أي مخلوق أن يهدم ذاك السور وأن يبعثر سنوات نسجت منها عالمي ويهدمها .
لم يقل «عم صاوي» شيئا لابنته .

مر أسبوع ومن بعده أسابيع عديدة حتى اقترب العام من نهايته وأمي لا تعلم أين أبي ولماذا اختفى ؟كانت تعلم أن أباها هو السبب وأنه أسر لوالدي شيئا جعله لا يعود .
مرت الأيام عليها حزينة ثقيلة لكنها لم تتوقف لحظة عن قراءة كتب الكيمياء والسؤال والاستفسار عن كل ما لا تعلمه لتناقشه حينما يعود ,هل سيعود ؟ كانت تسأل نفسها ثم تجيب :نعم

سيعود ، فذاك الجزء من قلبي الذي ينبض في صدره سيعيده إلي يوما ما ، « لم أحبك يا فهمي فالحب عاطفة يشعر بها الناس جميعا أما أنا فقد ولدتُ في كفيك ,فضممت يدك علي ، ونفخت من أنفاسك في صدري ,فسرى الدفء والحياة في الجسد الصغير المسجى على راحتيك ,لا أشك في عودتك .»

تذهب إلى الصيدلية في كل مرة وهى تتمنى أن تراه ,أو تسمع صوته ,حتى ذاك اليوم الذي خرجت فيه أمي من المدرسة في نهاية الأسبوع فإذا بأبي على باب المدرسة ينتظرها

أسرعت إليه وهي لا تعبأ بمن حولها وأمطرته بوابل من الأسئلة: أين أنت ولماذا رحلت عني وتأخرت؟ هل قال لك أبي شيئا؟

ابتسم أبي في هدوء وقال لها للمرة الأولى: اشتقت إليك أول كلمة خارج نصوص الأدب والكيمياء .

احمرت وجنتاها خجلا وجذبت ضفيرتها من خلفها وأخذت تعبث بخصلات شعرها المجدولة بعناية ,لم تسطع أن ترد

كانت تحمل حقيبتها المدرسية بيد وبالطو أبيض بيد أخرى وأخر ما توقعته هو أن تراه أمامها ، حكى لها كيف أن والدها أخبره بأن لا يأتي إلى الصيدلية مرة أخرى وانه لو فعل ذلك سيكون مضطرا لأن يخبر والده وقال له انه كان يسمح بحضوره عندما كان صغيرا أما الآن فقد يفسر أحدهم ذهابه إلى هناك تفسيرا خاطئا .

قالت أمي ولم يفسرونه تفسيرا خاطئا ؟

قال لها أبي: إن التفسير الخاطئ الذي ظنه عم صاوي هو التفسير الصحيح .

نظرت له وهي لا تفهم ما يقوله ,إنها تُحبه لكن لا يمكن لها أن تتخيل مجرد تخيل أنه يحبها وكانت تفسر ما بينهما على انه صداقة من جانبه قوية هكذا أولاد الذوات يقدسون الصداقات ولا

يمانعـون بصداقـة الجنـس الآخـر .
قال أبي مؤكدا: أحبك .
ارتبكـت أمـي وتركتـه واقفـا وحيـدا وانصرفـت مسرعـة كـما لـو كانـت كلماتـه ريحـا حملتهـا بعيـدا عنـه إلا أنهـا سرعـان مـا ندمـت أشـد النـدم حيـنـما أدركـت أنهـا لـن تـراه مـرة أخـرى إلا في نهايـة الأسـبوع القـادم .
وفي صبـاح أسـبوع جديـد حملـت أمـي حقيبتهـا والبالطـو الأبيـض وتوجهـت نحـو مدرسـتها ,كانـت تتمنـى أن يكـون هـذا البالطـو لكليـة الطـب وليـس لمدرسـة التمريـض إلا أن عليهـا أن تـرضى بقضـاء اللـه وقـدره وعـلى بـاب المدرسـة وجدتـه قائمـا ,يبتسـم لهـا ابتسـامة تذيـب القلـب ,ارتبكـت فلقـد توقعـت مجيئـه لكـن في نهايـة الأسـبوع وليـس بدايتـه ، ذهبـت إليـه عـلى اسـتحياء ,سـلم عليهـا وأعطاهـا مظروفـا بـه رسـالة وقـال : اقرئيهـا وأخبرينـي بـردك في نهايـة الأسـبوع.
في نهايـة اليـوم وبعـد ان اختلـت أمـي بنفسـها فتحـت الرسـالة بلهفـة فقـد قضـت اليـوم كلـه تتوقـع مـا فيهـا ,تقـرأ سـطورا في خيالهـا ، تحـذف جمـلا وتضيـف أخـرى ، تسـتبدل كلـمات بكلـمات تـرى أنهـا أكـثر ملائمـة
قطـع خالـد حديثـه ونظـر إليهـا قائـلا : أتدريـن يـا صدفـة معنـى الاشـتياق ؟ إنـه ذلك الشـعور الرائع الـذي يغمـرك ، يؤلمك,يغرقك,يبعثرك وأنـت في قمـة الاسـتمتاع
ودت صدفـة لـو أجابـت وأخبرتـه أنهـا تعيـش عـلى قيـد «الاشـتياق» وأن لا أحـد قـادر عـلى أن يصـف ذلـك الشـعور مثلهـا ، تـراءت لهـا صـورة سـعد تمـلأ الكـون مـن حولهـا ، عينـاه تناديهـا وتحتضنهـا ، طيفـه يحاصرهـا ,صـدى صوتـه يكفيهـا ,تسـألني عـن الاشـتياق يـا خالـد ؟ وهـل تعـرف أنـت معنـى أن تركـض خلـف «وهـم « يغـزوك بجنـود مـن القُبـل ويرسـل إليـك سـيلا مـن أنفاسـه لتحـرق مـا بقـي مـن كيانـك المتمـزق ؟

انتبهت على صوته وهو يتابع قصته
إلا أن عبارات أبي جاءت صريحة وقصيرة إلى حد ما كما أنها كانت محد د ة

«هدى»

لا أدرى إن كان مناسبا أن اكتب لك الآن أم لا ؟ لكن ها أنا قد كتبت وانتهى الأمر ، اخترتك حبيبتي لتكوني بجواري بقية حياتي لم أر نفسي في عيون غيرك ، لقد أشعرتني بشيء غريب لم أجد له تفسيرا حتى الآن فأنا أراك قادرة على فعل كل شيء, رغم أنك نجحت في أن تشعريني بأن لا حياة لك بدوني ,فهل أنت قوية بما يكفي ؟ ام أنك ضعيفة في حضوري ؟ أشعر بأنك اليد القوية التي ستمسك بي كي أعبر نفق حياتي وأنك تحتاجين يدي أيضا
اذا كنت توافقينني الرأي والمشاعر فعليك أن تعلمي أن معركتنا لن تكون سهلة أبدا ,ولا مأمونة العواقب ، سنخوضها معا.
قرأت أمي الرسالة عشرات المرات وفي كل مرة تسال نفسها بأي العبارات أرد عليه ، كانت على استعداد أن تخوض معه معارك لا نهاية لها لكن ماذا سيكون رد والدها ووالدتها ,إن اباها رجل مسالم ووالدتها كذلك .
توقعت ان يكونا غير مستعدين لخوض المعركة « وبدونهما لن تقوى على المواجهة ..
أمسكت أمي بأوراقها وكتبت لأبي رسالة يحتفظ بها حتى الآن حيث مزجت أمي بيدها الصغيرة عبير الأدب بأبخرة الكيمياء,ووقع الحروف بصوت التفاعلات فقالت له

«فهمي»

مهما وصفت لك حالتي وأنا أكتب هذه الكلمات لن تستطيع أن تتخيلها ,فآخر ما كنت أتوقعه بعد رؤيتك منذ أيام على باب المدرسة تلك الرسالة التي أعطيتني إياها ,فقد أسعدتني وأربكتني

لأني أدركت أن ما بعدها سيكون مختلفا تماما عما قبلها كتبت لي وأنت متأكد من مشاعري تجاهك واستعدادي لخوض معارك وليس معركة واحدة ولو شككت لحظة واحدة في موقفي منك ما كلفت نفسك عناء الكتابة ولا القدوم حتى باب مدرستي ، لكنك تعلم جيدا ما هو ردي ..

إلا أني سأضيف لك شيئا لعلك لا تعلمه لقد أدركت من أول لحظة رأيتك فيها أنني لك رغم صغر سني وقتها ,فأردت دوما أن أناسبك ,وأكون جديرة بك وكنت أعتقد أن دخول كلية الطب سيقلص الفوارق بيننا ,لكن أبي حال بيني وبين ذلك ,فاعتقدت وقتها أن الله أرادني أن أخوض الحرب بشراستها وأنت تستحق أن أبذل من أجلك.

أتذكر حينما كنا نناقش سويا الكتب التي نقرأها ؟ كنت أقرأ أفكارك في تلك المناقشات ، لقد تعلمت قراءتك قبل قراءة الكتب حتى صرت لي كتابا مفتوحا ، وعليك ان تعلم اني لم أرد الارتباط بك كونك ابن « باشا» وأنا على يقين أنك متأكد من ذلك ,لكن لكونك مختلف ,فداخلك أشبه بمادة كيميائية حدث بها تفاعلان متتاليان ,الأول هو التفكك والتحلل ,حيث تفككت ذراتك وتحللت بكاملها حين التقينا ثم بعدها حدث التفاعل الثاني وهو الاتحاد أو الضم ، فالتحمت ذراتك بذراتي ,وتجمعت من جديد ,فأصبح كلٌّ منا يحمل روح الآخر وذراته ، هذا ما حدث ، لقد رايته في حين لم ينتبه له أحد ، رأيت قلوبنا تخرج من صدورنا وتطير حتى تصل إلى كبد السماء ، وقفنا ننظر إليها وننظر لذلك الفراغ في أجسادنا ,ونتعجب كيف خرجت قلوبنا هكذا ولماذا طارت؟ وهل ستعود مرة أخرى؟ وفجأة,إذا بقلبينا يلتحمان في وسط السماء نظرنا إلى بعضنا ونظرات الدهشة تملؤنا ، شيئا فشيئا اكتشفنا أن قلوبنا كانت في حالة تبادل أو كما يسميها الصيادلة زملاؤك «إحلال»

,ابتعدا القلبان بعدما حل كلٌ منهما في الآخر ,جاء قلبك مسرعا واحتل مكانه في جسدي وكذلك فعل قلبي
نحن يا فهمي قدر, لذلك سأخوض الحرب بجوارك لكن علي أولا أن أخوضها مع والدي حيث اتوقع رفضهما.
طوت الرسالة ووضعتها في مظروف حتى تسلمها أبي في نهاية الأسبوع ..
وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح :قال خالد وهو يبتسم بحنان ,أراد لو يمسح على شعرها ويطمئنها انه هنا لحمايتها فقد شعر ان صدفة بدأت تستوعب سر إصراره على أن يقص لها قصته ، يريدها أن تنجو بنفسها من بئر الظلام الذي تقبع فيه ,رغم أن والدته سعيدة إلى حد ما في حياتها لكنها كانت ستكون شيئا آخرا إذا لم تلتق بوالده كانت ستكون نفسها وليست مجرد « ظل» .
ابتسمت صدفة وهي تستعيد كلمات الرسالة كلمة كلمة ,فهذه المرأة تشبهها إلى حد كبير وكأنها ترى أيامها السابقة مع سعد تنفرط أمامها يوما بيوم ، إن حكايتها تحتضن حكايتي ,أرى نفسي فيها وهي تكبر في أعماقه ,كشجرة تضرب بجذورها في أرض ذاته وتنمو فروعها فتملأ حناياه ، ألهذا يحكي لي حكايتها ؟.
ودعت خالدا ووعدته أن تعرض على والدها اقتراحه بشأن تعلم اللغة الانجليزية .
في هذه الأثناء كان سعد يتحدث مع أحد زملائه بالمكتب حين دخل عليهم المدير ووراءه تقف فتاة أطول منه ,نحيفة بدرجة كبيرة ,متأنقة بشكل مختلف عن كل الموظفات الموجودات في المصلحة ,لم تصل «الجيب» التي ترتديها حد ركبتيها ,فظهرت ساقاها نحيفتان بشكل واضح ، وفوق « الجيب» قميص حريري ذو أكمام قصيرة ولون زهري, شعرها قصير وناعم لا يصل لشحمة

أذنيهـا ، بـدت ببشرتهـا البرونزيـة كـما لـو كانـت سـائحة « ايطاليـة « جـاءت لزيـارة المصلحـة
عرفهـم المدير عـلى «أمـاني» التـي اتخـذت عدة خطـوات داخـل المكتب فأصبحـت أمـام المديـر بعدمـا كانـت خلفـه ، ابتـدرت الجميع بابتسـامة واسـعة ,بادلوهـا نفـس الابتسـامة وهـم يسـتمعون للمديـر : زميلتكـم الجديـدة « أمـاني» منقولـة مـن محافظـة سـاحلية قريبـة مـن محافظتنـا ، أرجـو أن تطلعوهـا عـلى طريقـة العمـل في المكتـب ,أشـار بيـده في اتجـاه مكتبهـا وقـال : هـذا مكتبـك مـن الآن وتركهـا وسـط زملائهـا وانـصرف ، قـام أكـبر الموظفـين سـنا في المكتـب بالترحيـب بهـا مـرة اخـرى بكلـمات ودودة مطمئنـة وقادهـا إلى مكتبهـا في حـين ظـل بقيـة الموظفـين يتأملـون الموظفـة الجديـدة ويتابعونهـا بنظراتهـم كـما لـو أنها جـاءت مـن كوكـب آخـر ثـم زادت دهشـتهم وتأكدهـم مـن كونهـا مختلفـة عندمـا سـمعوا نغمـة موسـيقية لا يعلمـون أيـن مصدرهـا وإذا بزميلتهـم تُخـرج مـن حقيبـة يدهـا الباهظـة الثمـن « هاتفـا نقـالا» تحدثـت فيـه إلى شـخص قـد يكـون والدهـا ,حيـث طمأنتـه بأنهـا تسـلمت عملهـا وتجلـس الآن عـلى مكتبهـا ,انتهـت المكالمـة وكل مـن في المكتـب ينظـرون إليهـا كـما لـو كانـوا يشـاهدون سـاحرا يسـتعرض فقراتـه أمامهـم ، وللمـرة الأولى كان المكتـب تفـوح منـه رائحـة العطـر الفرنـسي ، كان سـعد يراقبهـا كـما لـو كانـت «عينـة» مـن مـادة مـا يفحصهـا تحـت المجهـر
كانـت اطـول منـه قليـلا ونحيفـة بشـكل واضـح ,عظـام وجههـا و فكاهـا بـارزة ,عينيهـا بنيتـان في الضـوء ,قـال في نفسـه : تفاصيـل ملامحهـا ليسـت جميلـة لكنهـا جذابـة عمومـا ,بالإضافـة إلى أناقتهـا التـي أكسـبتها رونقـا ومظهـرا رائعـا ملفتـا.
بـدأ الموظفـون في تعريفهـا بأنفسـهم واحـدا تلـو الآخـر ، وكذلـك فعـل «سـعد» ، لم يضـف شـيئا في حديثـه يـدل عـلى اهتمامـه بهـا فهـذا

اسلوبه دوما ,لابد أن ينتظر حتى يقيمها تقييما نهائيا ثم يقرر بعده أي اسلوب سيتبعه في تعامله معها ,فقد تكون مغرورة متكبرة .

عرفتهم أماني بنفسها كانت تعمل في محافظة ساحلية إلا أنها طلبت نقلها بعدما استقرت اسرتها في هذه المحافظة واشتروا أراضي زراعية في أحدى القرى وأقاموا مصنعا تابعا لمصنعهم بالمحافظة الساحلية فجاءت إلى هنا حتى لا تضطر للإقامة وحدها ,لم تذكر شيئا عن حالتها الاجتماعية الا انهم استنتجوا انها ليست متزوجة كونها انتقلت إلى هنا بانتقال أسرتها ,لم تذكر أيضا سنها ولم يسألها أحد عنه إلا أنهم استنتجوا أيضا أنها تجاوزت الثلاثين بسنوات قليلة على ما يبدو من هيئتها

سألها أحد الموظفين عن الهاتف النقال الذي كان بيديها ,فأخرجته من حقيبتها ومدت يدها بالهاتف له كي يراه بشكل أفضل وبدأت تذكر مميزاته وسعره كان سعد قد سمع عن الهاتف النقال الا أنه لم يره رؤية مباشرة قبل الآن ، مرر الموظفون الهاتف بينهم وهم يتحسسونه برفق وحذر شديدين كما لو كان مفخخا أو قابلا للانفجار ,ومن يد إلى يد ,حتى وصل ليد أماني مرة أخرى وعندها قامت بإخراج « الشريحة» وشرحت لهم كيف تعمل

انتهى الدوام وانصرف الموظفون ,وانصرف سعد ولا يشغل باله سوى أماني بأناقتها وهاتفها النقال ,بدأ عقله في المقارنة بينها وبين صدفة ، فلم ير صدفة إلا «قروية» مقارنة بها

كانت مختلفة عن كل من حولها ، بشعرها القصير جدا على غير عادة النساء في محيطه وبملابسها المثيرة المختلفة أيضا عن غيرها كما لو كانت تعلن تمردها على المجتمع من حولها بهذا المظهر الجريء ,تذكر هاتفها النقال الذي بدا كما لو كان جزءا من شخصيتها ، وقال في نفسه : سأشتري هاتفا مثله قريبا .

هل سأتحدث فيه مع صدفة ؟ ظهرت صورتها أمام عينيه ,تنظر إليه بعينيها الواسعتين تحتضنه بهما ، تذكر شعرها المنساب كليل حزين حول وجها ، ينسدل بنعومة يكاد يلامس نافذة المحامي الذي تحتهم ,خفق قلبه حينما مرت بخاطره تتهادى وتنتقل من ذرة إلى ذرة في أنحاء جسده المختلفة كأنها صُنعت خصيصا لها ، لكن صورة أماني قفزت أيضا أمامه يراها فتاة أحلامه «علينا ان ندرك أن المناسب لأحلامنا قد لا يتناسب مع قلوبنا « لقد أصبحت هذه حقيقة واضحة الآن ,يشعر أنه يهدم في خياله صرح حبه الأسطوري وأن شخصا داخله يصرخ بأن أماني هي فتاة الأحلام ,وإن لم تكن هي فشخص يشبهها ,فتاة بلونها ومظهرها ,متمردة على واقعنا الكئيب ,سأل نفسه هل سأخبرها عن أماني ؟ ستشتعل غيرة ,لا يهم ، لابد أن أخبرها أن العالم به كائنات متحررة متمردة وأني لست بدعا من الناس ,سأقول لها :

أني رأيت امرأة من عالمي الذي أرهقتِ نفسك لتؤكدي لي أنه غير موجود ، ستغضب منك يا سعد قال في نفسه ,لكن الشخص القابع في داخله نطق قائلا : تغضب أو لا تغضب أنت فقط تخبرها بالحقيقة وعليها أن تتقبلها

ماذا لو غضبت ؟ سأل نفسه ثم أجاب فلتغضب « الآن خير من لاحقا» علي كلانا أن يدرك ذلك ,هل أنت مستعدٌ لاقتلاعها من جذور قلبك ؟ سأحاول ,وهي ! هل هي مستعدة أم أنك تفكر في ذاتك فقط ؟ عليها أن ترضخ للأمر وتتقبله وستعتاده مع الوقت قال لنفسه ,ثم تابع أنت أنسان أناني يا سعد ,تفكر وحدك وتقرر وحدك وعليها أن تتقبل ,ابتسم في نفسه وأجابها : نعم أناني ولكني أحبها .

وصلت صدفة لبيتها وهي تفكر في اقتراح خالد وجدت نفسها تسرح في أكثر من مجرد اتقان اللغة ,وجدت نفسها بين أكوام

من الكتب والروايات تعمل عليهم بجهد وحب في نفس الوقت فقد كانت تعشق هذا المجال ، لقد أهداني خالد مستقبلي : قالت في نفسها ..

من أنت يا خالد ومن أي سماء هبطت في محرابي فكل يوم يمر علي أتأكد فيه انك رسول الحياة التي لا أعلم من أي عالم أتى,تأخذني لنفسي, تهديني طريقي بسلاسة غريبة ، إنك يد القدر التي امتدت لتحملني خارج حدود نفسي التي أخبئها في ليل «سعد» و كلما حكيت عن والدتك أدركت لم أنت هنا الآن

فثمة أشخاص ترسلهم لنا الأقدار يحملون قناديلهم ويسيرون بجانبنا ,يسكن طيفهم ظلالنا ، يضيئون ثنايات حياتنا ، يهدوننا «نجما» يمنحونا دفئا ثم ينصرفون « لماذا نتركهم ينصرفون؟ ولماذا نلهث حول من يبعثرنا ,يشعلنا ثم يطفئنا ، يأتينا وهو يفكر كيف سيتركنا ؟

غريبة هي الحياة كما لو كنا نقوم بتفاعل كيميائي مثير فيخرج لنا مادة ضارة ,ضحكت صدفة بصوت عال عندما وجدت نفسها تتحدث عن التفاعلات الكيميائية كوالدة «خالد» ,سألتها والدتها عن سبب ضحكاتها

قالت :تذكرت شيئا حدث معي اليوم بالاختبار, ثم وجهت حديثها لوالدها : عرض علي «خالد» اليوم أن ادرس اللغة الإنجليزية خلال شهور الاجازة وان أستمر بدراستها حتى اتقنها وذلك للعمل في مجال الترجمة

قاطعتها الأم : لا تنس أن زفاف أختك سيكون في الإجازة وأنك ستنشغلين معها

ردت «صدفة» :لن ألتحق بأي معهد حتى تتزوج سناء هذا إن وافق أبي

رد والدها : هل ستعملين مع خالد هل عرض عليك ذلك ؟

قالت : عرضه علي إن أردت أنا ذلك ولكن إذا أردت أن أعمل في مكان آخر وعدني ان يتوسط لي في ايجاد عمل في مكان جيد
قال الأب : ولم هذا الاهتمام ؟
احمر وجهها خجلا وقالت :لقد أخبرني أن المترجم كاتب آخر للرواية يضفي عليها من ثقافته وشعوره وأن كثيرا من الروايات تفشل اذا تم تعريبها بسبب المترجم
رد: أرى انه لا مانع من دراسة اللغة الإنجليزية واتقانها سواء عملت في هذا المجال أم لا
شكرته صدفة وقبلت جبينه ، كان مختلفا متفهما ,رائعا بكل المقاييس ، يستحق أن يُلقب بالأب المثالي
في المساء انتظرت صدفة مكالمة «سعد» وهي لم تقرر بعد هل تخبره بحوار خالد معها وبموافقة والدها أم لا ؟ كما أنها أنبت نفسها لأنها لم تقص له حكايات خالد التي يرويها لها بالجامعة ، تخشى مواجهته ,ثورته .
أغلقت باب الغرفة ,وأخرجت الهاتف المخبأ وسحبت سلك هاتف «المحامي» وهي تبتسم كلما تذكرت أن خالدا يراها الآن
وصلت الأسلاك وهي تسأل نفسها ماذا ستفعل بعد اسبوع عندما تعود سناء للبيت وكيف ستتصل به ؟أدارت الرقم كما لو كان كل رقم جزءا من تعويذة لسحر قديم لا يمكنها التحرر منه
التقط سعد السماعة وقال: كيف حالك ؟
قالت :بخير ,كيف حالك أنت
_بخير أيضا كيف كان اختبار اليوم
_سار بشكل جيد
_متى ستنتهي الاختبارات ؟
_في نهاية الأسبوع القادم
_ومتى زواج سناء ؟

تذكرت معهد اللغة الإنجليزية التي كلمها عنه خالد وقالت : بعد ثلاثة أسابيع من نهاية الاختبارات وصمتت قليلا وقالت : أنت مدعو طبعا

قال : طبعا

_كيف كان يومك ؟

_ انضم لمكتبنا اليوم موظفة جديدة اسمها أماني ، انتقلت من محافظة أخرى

وبدأ سعد يحكي لها عن كل التفاصيل التي جالت في ذهنه منذ ان رآها ,فأخبرها عن أناقتها عن شعرها الجريء الذي يداعب أذنيها ,ورائحة عطرها التي ملئت المكتب و»الجيب» الذي لم يصل للركبة والحذاء المرتفع رغم كونها طويلة

قاطعته صدفة والغيرة تأكل قلبها : التقط أنفاسك

كأنها رمته بحجر حين استوقفته فجأة فقال : ماذا تقصدين

قالت ساخرة والغضب يشتعل في أنحائها يعصف بكل ذراتها: خشيت على أعصابك من فرط الانفعال الذي تتحدث به وقد يتطور الأمر فيصيب قلبك مكروه لا سمح الله

قال: ألا ترغبين أن أقص عليك كل ما يحدث معي؟

_ أريدك أن تقص لكن أيضا أخشى على قلبك من الانفعال

_ تسخرين مني

_ أبدا لا أسخر منك ,قل لي : هل تحب أن أرتدي ملابس قصيرة مثلها

_لا أمانع أبدا كما أني أتوقع ان الملابس القصيرة ستكون عليك أجمل فأنت بيضاء وجسدك أكثر جمالا واتساقا

احمر وجهها لصراحته ولكنها تابعت : هل لا يغضبك ان يدقق الناس في ساقي أو في شعري ؟

_ نحن نمتلك أجسادنا إذا فنحن أحرار في أن نظهر منها ما نشاء

_ألن يزعجك أحدهم أذا رأيته يتأمل في جسد زوجتك ؟
_زوجتي حرة إذا أرادت أن تظهر جسدها فعليها أن تتحمل نظرات بعضهم ,ادرك سعد ان صدفة ستقوده للحديث عن الدين وهو غير مستعد لذلك الآن ، فانتقل إلى الهاتف النقال التي تملكه أماني وبدأ يشرح لها كيف يعمل ويصف لها الشريحة وفي النهاية أخبرها أنه قرر شراء هاتف مثله .
أدركت «صدفة» أن سعدا ينفلت من بين أصابعها راحلا إلى دنياه تاركا وراءه عالم وقف على بابه طويلا رافضا ان يتقدم فيه خطوة واحدة تقربه منها كأنه ينتظر تقدمها هي وخروجها إلى دنياه ،
سألت نفسها لماذا أحببته ؟
لماذا أعيش في منفاه ؟
لا أجد سببا يدفعني للاستمرار في علاقة ليس لها نهاية ، لماذا أسير في طريق متعرج موحش بينما الطريق الصحيح واضح.؟
وكعادتها لململت بلورات نفسها المبعثرة وتجاوبت معه في الحديث عن الهاتف النقال وهي تنتظر الفرصة التي ستخبره فيها عن خالد وعن اقتراحه ، لن تروي له عن حكاية والدته ستكتفي مؤقتا بأمر اقتراحه ستدحرج كرة من النار تحت قدميه .
_علقت صدفة بنبرة حماسية مفتعلة : لقد احببت فكرة أن أقتني هاتفا نقالا أنا أيضا
_ اذا اشتريه مع بداية العام الجديد فالدراسة لم يبق لها غير أسبوع وتنتهي
_قد احتاجه في معهد اللغات ,قالتها بهدوء وهي تعلم أنها ألقت بحجر في الماء الراكد ,لكن ماضير أن نعكر صفو الماء قليلا فليس من الإنصاف أن يتوقف دائما ركود الماء وتعكره عليها وحدها
_أي معهد ؟سأل سعد وهو يحاول أن يسيطر على صوته لكنها كانت أذكى من أن تغيب عنها نبرة صوته المنزعج « لقد أصبت

الهدف ولننظر ما أنت فاعله يا سعد» قالت في نفسها قصت عليه اقتراح « خالد» و كيف أنها استحسنته ووافق عليه والديها أيضا.

شعر سعد وكأنه يقف فوق بركان يغلي حتى كادت ثورته أن تحرق أسلاك الهاتف وصاح فيها : ما سر اهتمامه بك؟ ولماذا يريدك بقربه ؟ وهل عرض نفس العرض على كل من في الجامعة؟ لابد ان هناك سرا يقف خلف اهتمامه بك ,أخبريني الآن ما الذي دفعه لذلك ؟

كادت صدفة أن تقول له : أنه هنا لحمايتها من نفسها التي اذلتها بحبك وأسكنتها قربك ولكنها سيطرت على مشاعرها وأصبح هدفها الأهم الآن هو أن ترده إلى دينه قبل قلبها فقالت بهدوء: لم الغضب ؟ إن لنا أجسادا من حقنا أن نظهرها ومن حق الناس أن يتأملوها ,ونملك أيضا آذانا ولسانا فلابد أن نشاركهم الناس ، يتكلمون فنستمع لهم ونتكلم فيستمعون لنا ,كما أن لنا عقولا بها أفكار علينا أيضا نتبادلها مع الآخرين ,أم أنك لا تمانع أن يتأمل الناس جسد زوجتك وأن يشموا رائحتها ,يُعجبهم شعرها وساقيها و يتمعنون النظر في كل جزء من أجزاءها ولكن تشتاط غضبا إذا كلمها أحدهم وهو لم يرفع عينيه فيها ولم يخلع كل جزء من أجزاء جسدها بنظره ليتفحصه على مهل ويقيمه ثم يعيده إليها مرة أخرى ، أي عقل هذا الذي تحمله في رأسك يا» سعد» ألست معي في أنك متناقض؟ أليس اللسان والأذن والرأس جزء من ذلك الجسد الذي أخبرتني منذ قليل أني حرة فيه ؟

_ أذهلته بردها الذي لم يكن متوقعا ,لقد اغتالت كبرياءه بكلماتها ، تلك القروية الساذجة الذي مهما فعلت لن ترقى أبدا إلى مقام زميلته الجديدة بالعمل ، إنها حبيسة قرية وحبيسة دين ومعتقدات خاطئة وتختلف تمام الاختلاف عن أماني التي بدت

متحـررة مـن كل شيء وهـذا يعجبـه جـدا
قال «سعد» : افعلي ما تشائين
قالـت في نفسـها وهـي متأكـدة مـن كونـه لـن يتصـل بهـا في الغـد ولا بعـد الغـد وقـد تكـون هـذه هـي المكالمـة الفارقـة ,فإنهـا تقـرأه بسـهوله ، وتعلـم حـدود انفعالاتـه وغضباتـه ، سـتخسرني يـا سـعد انـت لا تـدرك سـوء مـا تفعلـه بنفسـك ، سـأنزلق الآن مـن بـين يديـك حيـث دنيـا هجرتهـا وابتعـدت عنهـا طيلـة سـنوات كنـت فيهـا حبيسـة غرامـك وأسـلاك الهاتـف ثـم ردت : سـأفعل مـا أراه مناسـبا لي ,وتمنـت لـه ليلـة سـعيدة وهـي تـردد في أعماقهـا ، ليلـة ليـس فيهـا « صدفـة» .
شـعر سـعد ان صدفـة وضعـت حـدا لعلاقتهـما بهـذه المكالمـة ,شيء مـا في صـدره يخـبره أنـه لـن يسـمع صوتهـا ثانيـة وقـد لا يراهـا بعـد ذلـك نبـع صـوت مـن داخلـه كان يـردد هـذا أفضـل ، آن الأوان أن تبـدأ حياتـك الحقيقيـة فلـن تعيـش وحيـدا طـوال عمـرك ، قـال موجهـا كلامـه لـذاك الصـوت : لكنـي سـأخسرها مـن أجـل أخـرى لا أعـرف عنهـا شـيئا ,قـد تكـون مرتبطـة أو متزوجـة ، لمـاذا افـترض أنهـا مناسـبة ؟ ولمـاذا أفـترض أنهـا قـد توافـق عـلى الارتبـاط بي ؟رد عليـه ذلـك الصـوت : عليـك أن تبـدأ باتخـاذ خطـوات حقيقيـة في حياتـك لقـد مكثـت سـنوات في معبـد «صدفـة» لا تغـادره حتـى تقـدم بـك العمـر و أنـت تعلـم جيـدا أنهـا ليسـت لـك فلـم إضاعـة الوقـت ؟ ابـدأ يـا سـعد الآن هيـا قـرر ذلـك
ولكنـي أحبهـا و متأكـد أيضـا مـن صعوبـة الوصـول إليهـا ، لكنـي أحبهـا وأعلـم أنهـا ليسـت لي رغـم أنهـا سـتظل لي ولـن يسـتطيع أحـد أن يصـل إليهـا غـيري ، كيـف أقـضي ليـلي بدونهـا وأسـتيقظ صباحـا عـلى صـورة غـير صورتهـا ؟ كيـف سـيمضي يومـي بـدون أن يحمـل رائحتهـا التـي تغتـال جسـدي وتتغلغـل فيـه فتشـعله شـوقا ونـارا ؟ مـن سيسـمعني إذا همسـت « احبـك» ؟

هـل سـيخفق قلبهـا إذا انتصـف الليـل وهـي تمسـك بقـرص الهاتـف لتخـبرني أنهـا عـلى عهـدي ؟
من غيرها يحتضنني كلما ازداد غضبا مني ؟
و من يزداد التصاقا بي إذا خاف أن يفقدني ؟
مـن سـواها سـيختبئ بداخـلي ؟ سـيصبح كيـاني فارغـا بدونهـا مـاذا تفعـل بنفسـك وبهـا يـا سـعد ؟ تعلـم جيـدا أن صدفـة ليسـت مجـرد شـخص «إنهـا «روح» تـسري في روحـك ,تمسـك بقلبـك بـين يديهـا تهدهـده في رفـق حتـى يغفـو مبتسـما
«بعضهـم دون أن يـدري يـزرع في طريقـك كل يـوم وردة وكلـما همـس لـك «أحبـك» سـقاها مـن شـذا قلبـه»
رد الصوت من داخله لكنها ليست لك ,تصرف على هذا الأساس.
ولمن تكون إذا لم تكن لي ؟ سأل نفسه
_لأي شخص آخر, كما أنك لست لها ، بل لأخري ,قد تكون « أمـاني» أو مـن يشـبهها ، فلنقـل أن ظهـور زميلتـك الجديـدة هـو مجـرد جـرس للإنـذار و عليـك أن تبـدأ الآن .
«علينـا أن نمـضي في أيامنـا نسـير فيهـا ونحـن نحملهـا عـلى أكتافنـا فـإذا مـا أرهقنـا المسير نتوقـف هنيهـة لنتذكـر وجهـا كان لنـا الحيـاة فنشـعر بالارتيـاح،، ,نبتسـم ثـم نمـضي قدمـا في طريقنـا»
قبـل أن ينـام همـس في نفسـه « أحبـك» سـالت دمعـة عـلى خـده حرقـت صـدره وصـدى صوتهـا يـسري في داخلـه وسـأل نفسـه هـل سـتهمس لي « أحبـك» ؟
دق قلبهـا بقـوة عندمـا سـمعته يهمـس لهـا أحبـك ، مـاذا تريـد منـي يـا حبيـب عمـري؟
لقد قررت أن ترحل يا سعد وأنا لن أتعلق بثيابك لأستجديك أن تبقى معي ، أذكر عندما همست لي يوما انتِ «قوية» بما لا يجعلني أخشى فراقك ، ظننت وقتها أنك تقصد أني قاسية ولكني أدركت الآن ما

تعنيه ,فالقوة تكمن في قلب مهما تحطم سيظل يحبك .
هـذا عهـدي لكنـي لـن أهمـس « أحبـك « مـرة أخـرى ، لـن تكـون جـزءا مـن يومـي بعـد ذلـك ولـن أتقاسـم معـك انفـاسي ، ولـن أحـرق بشـوقك شـوقي ،سـأحتفظ بـك ذكـرى بـين الجلـد والعظـام ,سـيرونك في عيـوني ,يلمحونـك في طيفـي ولـن أخـبر قلبـي كيـف قسـوت ؟ لـن اشرح لـه لم هجـرت ؟ لـن أبـكي لليـلي عندمـا يسـألني عنـك يسـتجديني أن أرفـق بحالـه ..
لـن أسـمع لصرخـات تلـك الجـدران والأوراق, أسـلاك الهاتـف ، رواياتي وهـي تـصرخ أشـتاقه بجنـون ,وفي الصبـاح سـأعتاد أن أسـتيقظ عـلى أنفـاس غـير أنفاسـك ووجـه غـير وجهـك الـذي يتجـلى فيمـلأ سـقف غرفتـي ,فأمـد يـدي إليـك وأتحسـس ملامحـك كي أشـعر بقـربي منـك, ألم يكفـك مـا فعلتـه المسـافات بي ؟ كيـف قضيـت عمـري في عمـرك لم أغـادره للحظـة ؟ ألا يرضيـك أن اكتفـي بـك عالمـا وحيـاة ؟ اذهـب يـا سـعد ,أينـما تريـد خـذ قلبـي وارحـل حيـث شـئت.
لم تهمس له « احبك» .
مـر أسـبوع الاختبـارات لم تلتـق صدفـة بخالـد إلا مـرات قليلـة لم يتمكـن خلالهـا أن يقـص لهـا بقيـة القصـة ولكنـه وعدهـا أن يكملهـا لهـا في أقـرب وقـت .
توطـدت العلاقـة بـين «سـعد» وأمـاني خـلال هـذا الأسـبوع عرفـت أنـه لا يؤمـن بوجـود « إلـه « فلـم يسـتوقفها الأمـر كثـيرا بـل قالـت لـه أن ضمـير الشـخص هـو الـذي يعصمـه مـن الوقـوع في الخطـأ ، أعجبـه ردهـا ,كان يريـد أن يسـمع منهـا هـذه العبـارة تحديـدا
في نهاية الأسبوع اشترى هاتفا نقالا مثل الذي تقتنيه .
في المسـاء جلـس في فراشـه يحمـل الهاتـف بيديـه ويضغـط رقـما يحفظـه جيـدا ,سـيتصل ليخبرهـا أنـه امتلـك هاتفـا نقـالا تسـتطيع أن تكلمـه في أي وقـت ؟ هـل سـترحب باتصـالي؟ اشـتقت إليهـا هـذه

هي الحقيقة ,فقد ذهبت الحياة عني بذهابها ,وفقد قلبي دقاته وهو يلهث خلفها ويرجوها أن تعود بنورها ودفئها لترد له الحياة ,همس لها « أحبك» لعله يسمع صوتها في نفسه فينام مطمئنا و لكنه في النهاية أحجم عن الاتصال بها .

هزت الكلمة أركانها تخشى أن تنهار مقاومتها ,إن كل ما حولها يذكرها به ,كل ما حولها فاقد للحياة لكنها لن ترد انفجرت دموعها تصرخ في وجهها ,اشتاقه بجنون ,كيف لي أن أحيا بعيدا عن دفء أحضانه ، أين تخرج أنفاسي ؟كنت أُخرجها في صدره,واستنشق هواءه عبيرا يُزهر أيامي فيحيلها بساتين مزهرة

أبكيك يا توأم روحي ,وأنعي أيامك ، خذ عينيك بعيدا عني ، امنع صوتك من التدفق في شراييني ,ارحل حيث تريد وانت تحملني داخلك فأنا «قدرك» كما انك «قدري».

لكن الذي استهان بقلبي وترك لي شوقه يئن بين ضلوعي ومضى دون أن يلتفت وراءه لن أغفر له مهما حدث .

انهمكت في الاستعداد لزفاف سناء ,حاولت بكل قوتها ألا تترك نفسها لنفسها ، تجنبت أوقات وحدتها حتى لا تفكر فيه ، فكانت دائما في وسطهم ومعهم وبينهم ,فلم يعد إلا أيام قليلة على الزفاف وستنفرد بها الغرفة ,احتضنت اختها ,يا ليتها تبقى وتشاركها الغرفة والضحكات .

خلال هذه الأيام عمل الهاتف النقال على توطيد العلاقة بين أماني وسعد أكثر وأكثر ,فأصبح يكلمها يوميا ,عرف كل شيء عنها,لم يزعجه كونها «مطلقة» اختلفت مع زوجها حيث لم يتقبل تحررها، أراد أن يحجر على تصرفاتها ، يتدخل في طريقة لبسها وضحكاتها , علاقتها بأقاربها ، لم تتحمل ذلك طلبت الطلاق ولم يمانع بل يكاد يكون رحب به.

وقص عليها بدوره كل شيء عنه وكيف توفي والده منذ من عدة

سنوات ثم لحقت به والدته قريبا أما اخوه واخته يعيشان خارج مصر وهو يسكن وحيدا ، لديه سيارة ويعمل معها في نفس المصلحة ,ظروفه المادية جيدة بشكل كاف .
شعر سعد أنه وجد توأم روحه ,طائر ثائر مثله كأنه مخلوق من جناحي السماء ,يرفض الحصار ويرحب بالرقص في وسط الاعصار ,لا يهمه إن تضرر ريشه أو رماه أحدهم بحجر ,المهم أن يظل حرا ، طائرا لا تحمر وجنتاه خجلا ولا تشتعل جبهته حياءا,ولا ترتعش شفتاه وهو يهمس « أحبك» .
اتخذ قراره بعد تفكير عميق سيطلب من أماني الزواج في أول فرصة.
في صباح يوم الزفاف كانت الأغاني والضحكات تملأ البيت ,وسناء كعادتها لا تكف عن المزاح ..
قالت لها صدفة مازحة : خذي كل أغراضك معك لأننا لن نفتح لك الباب قبل عام من الآن ..
فردت : أخشى أن أعود وأشاركك الغرفة بعد الانتهاء من الحفل
_ لا تفكري في هذا لأني سأحمل سريرك الذي بغرفتي وأرسله لك كطرد بريدي في أقرب فرصة ..
_لا تقولي غرفتي ,إنها غرفتنا
_ أصبحت غرفتي من الآن مازحتها صدفة
_ لا ليست غرفتك وحدك بل غرفتنا قالت سناء في انفعال شديد ثم انفجرت باكية وهي تقول لهم ,غرفتنا وبيتنا ,لا أريد أن أترككم ، ارتفع نحيبها فضمتها صدفة وبكت معها ,اختنق سامح بعبراته فهو يعلم كيف سيكون البيت كئيبا بدون سناء ثم قال لها مازحا لا تبكِ يا أختي فأنا أتوقع ألا يصمد زوجك كثيرا وقد يرسلك إلينا قبل أن يصل إليك «سريرك» الذي سترسله لك صدفة
ضحكت وهي تمسح دموعها .
كانت والدتهم تستمع إليهم وتبكي دون أن يلاحظها أحد.

في المساء دخلت سناء قاعة الاحتفالات وهي تتأبط ذراع والدها والأنغام تنساب حولها ,عندما وصلت للمكان المخصص لها كان عريسها في انتظارها فسلمها له والدها وسط تصفيق الجميع كان فستانها رائعا مصنوعا من قماش « دانتيل آلانسون» مطرزا بزخارف ناعمة يلتصق بجسدها وله ذيل طويل مطرز أيضا,بدت كأنها ملكة على عرشها

ارتفعت الأصوات بالغناء والتصفيق وبدت السعادة كضيف من الضيوف ينشر أفراحه عليهم .

في البداية لم تنتبه له « صدفة» إلا أن شيئا ما داخلها قد تركها وذهب ,,,إلى أين ؟ عندما نظرت حولها تبحث عنه وجدته هناك,بجواره

كان «سعد» يقف في آخر قاعة الاحتفال ,يضع يده في جيب بنطاله الأسود وقد أسند كتفه للحائط ,التقت نظراتهما فاشتعلت شوقا أدارات عينيها بعيدا عن عينيه متجاهلة إياه بعدما تذكرت غدره بها إلا أنه لم يرفع عينيه عنها ,بدت كحورية من عالم الجمال بفستانها الوردي المصنوع من قماش «الشارموز» لم ير في حياته حريرا يعانق حريرا كمثل ثوبها المنسدل في نعومة على جسدها المتناسق الجميل ,لم يكن ثوبها مكشوفا ولكنه أبرز كل تفاصيل جسدها الرائع عندما التصق به وعانقه

كانت متألقة بثوبها وزينتها التي جعلت من عينيها الواسعتين «منحة» سماوية لايفوز بها إلا صاحب حظ وافر .

كانت تقف وسط صديقاتها وصديقات سناء عندما دخل « خالد» وأسرته ذهب إليهم سامح وصافحهم ولحق به والده أيضا ثم قادهم إلى أحدى الطاولات ,جلس معهم سامح قليلا ثم استأذنهم لم تكن تريد صدفة أن تذهب إليهم لأن طاولتهم قريبة من المكان الذي يقف به سعد ,إلا أن سامحا طلب منها أن ترحب بوالدة

خالـد ووالـده ..
مشـت نحوهـم وكلـما اقتربـت منهـم ازدادت جـمالا وتألقـا فقـد كانـت تــزداد جـمالا في حضـور «سـعد» فـكل خطـوة تخطوهـا نحـو طاولـة خالـد تقربهـا منـه أيضـا ..
وصلـت للطاولـة ومـدت يديهـا مصافحـة والدتـه أولا ,لاحظـت المـرأة التشـابه الكبـير بينهـما فضمتهـا إليهـا بقـوة كأنهـا تحتضـن ايامهـا الماضيـة وتلملمهـا مـن جديـد ,رأت صدفـة فيهـا أيضـا كيـف سـيكون شـكلها في المسـتقبل ,كـما لـو كانـت تكشـف « طالعهـا» ..
مـد خالـد لهـا يـده فصافحتـه وصافحـت والـده وجلسـت معهـم عـلى نفـس الطاولـة ,تتكلـم وتضحـك لكـن بـلا قلـب ,فقلبهـا تدحـرج فوقف عنـده ,تـراه الآن يحملـه بـين كفيـه ,اتركـه ,يكفيـك مـا فعلتـه بـه .
لاحـظ « خالـد « أن شـعاعا يخـرج منهـا في اتجـاه شيء مـا نظـر ناحيتـه فوجـده هنـاك وقـد ثبـت عينيـه عليهـا كـما لـو كان ينـوي ألا يرفعهـا مـرة أخـرى ,أوكأنمـا أقسـم لا يخـرج مـن هنـا إلا بهـا ، مـن ذا الـذي يقـدر عـلى أن يُفـرق بينهـما ,جـسر مـن نـار ونـور ممتـد بينهـما لا يـراه أحـد ، لم يكـن حبـا فحسـب ، مـا يـراه في عيونهـما أكبر مـن أي حـب ليتك تحافظ عليها قال خالد في نفسه موجها حديثه لسعد ..
أخـرج «خالـد» مـن جيبـه هاتفـا نقـالا اشـتراه حديثـا ومـد يـده بـه لصدفـة قائـلا: مـا رأيـك بهـذا الهاتـف ؟
كانـت قـد سـمعت أن عـددا قليـلا مـن زملائهـا يمتلكـون مثلـه لكنهـا لم تـره عـن قـرب ,قلبتـه في يديهـا وهـي تسـأل عـن كيفيـة عملـه وخصائصـه ..
ردت والــدة خالــد :الآن أصبـح خالــد متــاح لي في كل الأوقــات ,كان القلـق ينتابنـي كثـيرا لتأخـره أمـا الآن فأتصـل عليـه كلـما تأخـر
قالت صدفة : سأشتري واحدا مثله قريبا
قال لها خالد دون تفكير : خذي هاتفي

شعرت بالإحراج وشكرته وأضافت : سيشتري لي أبي واحدا مثله
رد خالـد : اذا خذيـه لعـدة أيـام حتـى تعتـادي عـلى استعماله قبـل أن تشـتري واحـدا
رفضت صدفة بأدب وهي تبتسم له ..
اثنان يراقبان المشهد
الأول ,والـدة «خالـد» تلـك المـرآة الخبـيرة في علـم القلـوب التـي مزجت الكيميـاء بـالأدب في سـابقة لم تحـدث مـن قبل ..
كانـت تبتسـم وهـي تـرى بركانـا مـن العشـق في عينـي ابنهـا يسـتعد للانفجـار ,كان قـد تحـدث عنهـا مـن قبـل لكنـه لم يخبرهـا بمشـاعره نحوهـا والآن تـرى أشـواقه تحـوم فـوق رأسـه تـدور كدوامـة مـن ليـل تزينـت سـماؤه بنجـوم مضيئـات .
 الثـاني ، «سـعد» بعينيـه العميقتـين اللتـين تخترقهـا ,تحرقهـا ,أراد لو بنى حولهـا ألـف سـور يعصمهـا مـن نظـرات ذاك الـذي يجلـس بجوارهـا ، كيـف لأحـد أن يكـون أقـرب لهـا منـي ؟ هـذا مـكاني الطبيعـي بجانبهـا ,داخلهـا ,كيـف أنـا الآن بعيـد وغـيري يسـتنشـق أنفاسـها يحرقهـا في صـدره ؟ يدهـا التـي تمتـد نحـوه هـي ذات اليـد التـي احتضنـت وجهـي وداعبـت بأناملهـا ملامحـي فقبلتهـا حينـما وصلـت لشـفتي ,جميلتـي الآن تسـكن في كوكـب آخـر غـير كوكبـي هـل مـن طريقـة لاسـتعادتها ، لمـاذا أشـعر بهـا تنسـل مـن بـين أصابعـي حيـث لا رجعـة ، تهـرب مـن عالمـي ,ليتهـا تقاتلنـي كي تبقى,ثـوري في وجهـي وأعلنـي تمـردك ضـدي واعلنـي أنـك باقيـة حتـى ولـو رغـما عنـي ,فأنـت تعرفـين مايصلـح لي اكـثر منـي ,ألسـت أمـي؟ الم أكـبر داخلـك و أغفـو عـلى كتفيـك ؟ الم تحـكِ لي حكايـات كي أنـام عـلى صوتـك ؟ ألسـت تخافـين عـلي ,تتأكديـن دومـا أني تناولـت طعامـي وأخـذت قسـطا كافيـا مـن النـوم ,وقضيـت وقتـا في اختيـار ملابـسي والتخطيـط لمسـتقبلي ؟
ألم يخـبرك أحـد أن الأبنـاء لا يعرفـون مصلحتهـم أحيانـا ؟ فـلا تطردينـي

خارجـك .
استـأذنت صدفـة خالـد وأسرتـه وذهبـت لـترى بقيـة الضيـوف ، اسـتغل سـعد هـذه الفرصـة ,طلـب مـن أحـد العاملـين بالقاعـة قلـما وورقـة ثـم كتـب لهـا جملـة قصـيرة « امنحينـي مـن وقتـك ٥ دقائـق» وطلـب منـه أن يعطيهـا لهـا
اقـترب منهـا موظـف القاعـة وأعطاهـا الورقـة ,ارتعشـت وهـي تأخذهـا كانـت تعلـم انهـا منـه قرأتهـا وهـي ترتجـف خوفـا وشـوقا ثـم أعطتهـا للموظـف مـرة أخـرى وطلبـت منـه أن يُعيدهـا إليـه ، فمـن يحـترف الرحيـل عـن دنيانـا وهـو يعلـم أنـه دنيانـا ,لا حاجـة لنـا بـه ,ومـن نهمـس لـه لا ننـام في بعـده فيبتعـد لـن نغفـر لـه .
ثـار بركانـه داخلـه عندمـا أدارت ظهرهـا لـه وعـاد الموظـف بالورقـة مـرة أخـرى ,دسـها في جيبـه وانـصرف دون أن يُسـلم عـلى أحـد مـن الموجوديـن
كان خالـد يتابـع الموقـف فابتسـم حينـما أدرك أن صدفـة رغـم حبـه الـذي يسـكنها ليسـت ضعيفـة ، وان أشـواقها التـي تمتطيهـا لـن تقودهـا إلى مصـير مجهـول غامـض.
دخـل «سـعد» بيتـه فسـمع أصـوات الوحشـة تسـتقبله وتفسـح لـه طريقـا كي يتوغـل داخـل منزلـه الصامـت ,ألقـى بنفسـه عـلى الفـراش ووضـع رأسـه عـلى وسـادة مـن جمـر تسـتمد لهيبهـا مـن رفـض صدفـه لطلبـه بـان يحدثهـا لدقائـق وتـزداد اشـتعالا كلـما تذكـر خالـد وهـو يحيطهـا بعينيـه كانـه يحميهـا منـه ، سـأذهب بـلا عـودة يـا حبيبتـي ,اليـوم سـأكتب بحـبر قلبـي كلـمات النهايـة ولكنـي سـأهمس لـك دومـا عنـد منتصـف الليـل احبـك حتـى اذا عـدتِ يومـا وجديتهـم الـف الـف أحبـك
سـأصنع لـك مـن حـروف شـوقي قاربـا فـاذا مـا جئـتِ تتعثريـن في خجلـك وهيامـك حملتـك بعيـدا ورحلنـا

سأنقش لك يا حبيبتي من أنفاسي معطفا حتى اذا ما أتعبك برد الطريق ألحفتك إياه وضممتك إلى صدري

سأعزف لك كل ليلة مقطوعة عشق فاذا ما قدمت أنشدتها تاجا عاجيا يقبل عتمة شعرك

سأعيش بحبك يا صدفة «أحبك»

بكت صدفة كما لم تبك من قبل بكت فراق سناء وسعد في يوم واحد ,تتذكر وجوده قربها أثناء عرس اختها ، لماذا رفضت الحديث معها ؟سألت نفسها وأنبتها فكم كان قاسيا أن ترفض طلبه هكذا ,لماذا لم تخرج وراءه وتعيده للعرس وتعتذر له ؟ لماذا لم تجر خلفه فتتعلق برقبته وتغرب برأسها فوق كتفه كشمس هربت من السماء ولم تجد ملجأ سواه ,قوة ما أكبر منها حالت بينها وبين ذلك ، تذكرت عندما كانت «فاطمة « في زيارته وتقيم عندهم بالبيت وكيف تجاهل مشاعرها خلال هذه الأيام ,انصرف لفاطمة بكل كيانه وتركها ,لم يفكر فيها وكأنها لا تعنيه واليوم يكرر نفس الموقف فمجرد وجود زميلة جديدة معه في المكتب كان كافيا له ,لا تعنيه صدفة ولا قلبها ولا ماذا سيحدث له ,إن كان قلبي لا يعنيك فهو يعنيني ,نامت دون أن تهمس له « أحبك»

في اليوم التالي ذهبت للتسجيل في معهد اللغات وأخذت جدول المحاضرات كان عليها أن تداوم ٤ أيام في الأسبوع ,أخبرت والديها بمواعيد «المعهد»

في المساء كانت تتكلم مع والدها عن خططها بعد اتقان اللغة الانجليزية وكيف ستكون من أشهر المترجمين بالعالم العربي وقد تكتب رواية في يوم ما

«المشاعر التي نحملها بداخلنا لا تتبخر ولا تتحلل بل تبقى كامنة كبركان يستعد للانفجار في أي لحظة»

صمتت قليلا وقالت لوالدها : أريد شيئا ما

_ ما الذي تريدينه ؟
- هاتفا نقالا
_ لماذا تخفضين صوتك هكذا ؟ولماذا احمرت وجنتاك ؟
_ أعلم أنك أنفقت الكثير من أجل زفاف سناء
_ أحاطها بذراعه وقال : غدا اذهبِ واشتر هاتفا

وهنا قفز سامح الذي كان يراقب المشهد من بعيد وقال : هاتفا لصدفة أما سامح فعليه أن يقضي بقية حياته يتسول المكالمات من أصدقائه

ردت صدفة : أنت موظف اشترِلنفسك

قال : خذِ راتبي واعطنِ هاتفا نقالا

حسم والدهما الخلاف وقال : خذ اختك غدا واشتر لها هاتفا يا «سامح» وصمت برهة ثم قال ولك أيضا واحدا

قفزا من الفرحة ثم قال سامح لأخته :ما رأيك أن نذهب الآن قبل أن نستيقظ غدا لنجد أبانا وقد غير رأيه

قالت : هذا أفضل

عادا بعد ساعات يحمل كل منهما هاتفا ,جلسا بجوار والديهما ليرياه كيف يعمل ,وشرح سامح لا خته عدة أمور كانت قد سمعتها من خالد أيضا ,رفعت يدها وهي تمسك بالهاتف سأذهب به غدا إلى المعهد .

كانت الأيام التي تمر تُقرب بين «سعد وأماني «فكان معا في العمل ثم يخرجان سويا في بعض الأحيان ليتناولا طعام الغذاء,وفي المساء يتحدثان أحيانا أو يتبادلان الرسائل النصية معا

طلب سعد منها الزواج في أحد هذه الرسائل ، وكان ردها أنها لا تمانع من حيث المبدأ لكنها تحتاج وقتا للتفكير والتقرب إليه أكثر اتفقا أن تخبره بمجرد اتخاذها قرارا سواء كان بالقبول أو بالرفض

ملئت أماني كل ما كان فارغا حوله إلا «قلبه» فمازال خاويا

يئن,يطمئن نفسه بأن المسألة تحتاج إلى بعض الوقت ثم يصيح في وجهها : لم تكذبين أيتها النفس الحائرة ؟هذا الفراغ لن يملأه إلا من ملكته ,عليك أن تعترفي بذلك وتقبليه ,فلن تسمع يوما أماني همسك وأنت أيضا لن تسمعيها مهما همست ,هذا النور الذي ربط بين فؤادك وصدفة لن يتكرر .

في هذه الأثناء كانت «صدفة» منكبة على دروس اللغة الإنجليزية بكل اجتهاد فكل يوم تقتنع أن خالدا قد أهداها مستقبلها عندما اقترح عليها ذلك وعندما كان يجلس ليقص لها عن والدته,لم يتركها لتعثر خطواتها ,جذبها بقوة من تلك البقعة المظلمة التي مكثت فيها سنينا وكأنها أدمنت الجلوس تحت الطاولة .

وللمرة الأولى بعد عرس سناء ترى خالدا أمامها في المعهد

_لم أنت هنا؟

_الحق أم غير ذلك ؟

_غير ذلك قالتها وهي تضحك

_لرؤية صديق لي قال وهو يضحك أيضا ثم تابع والحق أني أتيت لرؤيتك

احمر وجهها خجلا وقالت : لم تقص لي بقية القصة

قال : لذا أنا هنا

ما رأيك في «فنجان قهوة» ؟

قهوة؟ لم أفكر يوما أن أشربها قالت في نفسها لكنها وافقت على عرضه .

لم ينتظر خالد القهوة وبدأ في قصته : يحكى أيها الملك السعيد ذو الرأي الرشيد أن والدي بعد أن قرأ رسالة أمي ذهب إليها عدة مرات على باب مدرستها لقاءات قصيرة لكنها كانت تؤكد على بقائهما على قيد الحب

تخرج أبي من الجامعة بتفوق وقررت الجامعة إرساله إلى أوروبا

لاستكمال دراسته وابحاثه ..
كان على أبي أن يتخذ قرارا سريعا قبل سفره بشأن زواجه وكان جدي قد مازحه عدة مرات ألن تتزوج ؟أم أنك ستتزوج أوربية كأمك ؟
كان أبي يتجاهل الحديث في هذا الشأن لكن عليه الآن أن يحسمه.
توجه إلى جدي في مكتبه وأخبره بكل هدوء أنه يريد الزواج من ابنة عم «صاوي» مادت الأرض تحت أقدامه ليس لكون ابنه يريد الزواج من ابنة عامل الصيدلية فحسب لكن بسبب لهجة الإصرار التي صاحبت كلامه,لم يكن يخبره وهو يرتجف أو يشعر بالاحراج ,كان يتحدث بثقة لا يدري جدي من أين استمدها ,أخبرني أبي بعد ذلك أنه استمدها من والدتي ,فكانت عيناها الواسعتان تحيطان به أثناء حواره مع والده تمدانه بالإصرار والعزيمة ..
كان يعلم أن طلبه مرفوض وكان جدي أيضا يعلم أن رفضه لن يثنيه عن عزمه ,فقد تزوج الأوروبية وتحدى الجميع حينما عاد بها إلى بلده ..
كان على والدي أن يخوض معركته الثانية مع «عم صاوي» فذهب إليه في مكان عمله وأخبره ,كانت المواجهة مع أبيه أسهل من عم صاوي الذي انفعل بشدة واتهم والدي بأنه يريد أن « يخرب بيته» وعلى يديه سيطرد من عمله وقد يحرم من العمل في أي مكان محترم آخر فكيف له أن يقف ضد «الباشا»
مضت أسابيع عديدة ووالدتي تحاول أن تقنع أباها بالزواج من أبي إلا أنه كان مصرا على الرفض ,بل إنه ذهب إلى فيلا « الباشا» طلب مقابلته وسجل اعتراضه ورفضه لهذا الزواج في لوح الباشا حتى لا يُنكل به أو يعاديه
فلم يكن أمام العاشقين إلا أن يتزوجا سرا ويسافرا معا حيث يستكمل أبي تعليمه
سافر أبي إلى باريس ومعه أمي ,توجه إلى فندق صغير يقع في

الضفة اليسرى لمحطة قطار «غار دو ليون» أقاما به عدة أيام حتى انتهى من اجراءات قبوله بالجامعة ثم بدأ في البحث عن «شقة» بالإيجار فما كان يملكه من مال لا يكف لشراء بيت رغم أن والدته تعاطفت معه قبل سفره بساعات ومنحته مبلغا كبيرا من المال شرط أن لا يُخبر والده بشأنه.

كان أبي يذهب للجامعة صباحا و في المساء يخرج مع أمي حيث شوارع باريس المضاءة ليلا تعكس عالما مختلفا تماما عما كانت تعيشه «هدى»و لم يكن الأمر كذلك ل»فهمي» فقد سبق وزار باريس مرارا ، زارا الحدائق العامة مثل «باغاتيل « وحدائق « اللوكسمبورج» ,تسوقا بعض الملابس الجديدة لأمي وزارا الأحياء والأزقة للبحث عن شقة قريبة من الجامعة حتى وجد ضالته في شارع ضيق بالدائرة السادسة عشر شقة في منزل من شقتين, به حديقة صغيرة وفناء خلفي وللشقة مدخل خاص كما أن لها غرفة صغيرة ملحقة بها يستطيع أبي أن يستخدمها كـــ «معمل « كيميائي كان البيت قريبا من الجامعة ومن حديقة عامة تستطيع أن تذهب «هدى» بمفردها للتنزه إذا انشغل عنها «فهمي»

انتقل أبي فورا إلى هناك ودفع إيجارا مقدما لمدة ٦ أشهر كانت الشقة مكونة من غرفتين وصالة صغيرة ومطبخ وحمام واحد بالإضافة للملحق الصغير الذي قرر والدي أن يستخدمه ك «معمل» بدأت حياتهما الحقيقية معا ، كان كل من رآهما معا تأكد من أنهما عاشقان يعيش كل منهما ليفرغ في جوف الآخر الحب قطرة قطرة

«إن الحب يُغرق أصحابه لا محالة سواء انسكب عليهم كشلال منحدر منهمر أو كقطرات ماء تسقط تباعا بلا توقف»

لم تكن أمي تفارق ابي إلا ساعات وجوده بالجامعة وفي أثناء ذلك

كانت تهتم بشئون البيت وبعد ذلك تتفرغ له تماما ,خاصة الوقت الذي يقضيه بالمعمل ,تعلمت أمي إجراء التجارب وتدوين نتائج التفاعلات وكتابة الملاحظات عليها ,كان أبي ينام ويترك لها بعض التفاعلات ,تراقبها وتسجل مشاهدتها ,بل وتقترح النسب أحيانا
نظر خالد لصدفة التي كانت مندمجة في التفاصيل وأكمل حديثه وهو يقصد ما يقوله : ذابت أمي كليةً في ذات أبي لم يبق منها شيء ، نسيت كل العالم إلا عالمه ,نسيت كل العلوم إلا الكيمياء ,لم يترك لها أبي وقتا لنفسها كي تقرر ما تحبه وما تكرهه ,لم يكن لديها أي خيار وكأن أبي أحبها لهذا فقط ,لأنها ستكون «ظلا» ملتصقا به وكأن أمي أيضا أدركت أن هذه هي الطريقة الوحيدة لقلب أبي ,قد تكون عرفت ذلك مبكرا حينما كان يذهب إلى الصيدلية فقررت أن تصل إلى قلبه بهذا الأسلوب .
صمت قليلا وقال إنها كبرت داخل أبي حتى صارت جزءا من عالمه وصار كل عالمها ,أحب أبي ذلك وأرضى غروره .
«بعض الأشخاص يحبوننا فقط عندما نملأ أوقاتهم بالحب والاهتمام ,فإذا ما قدم أحدهم عرضا أكبر التفتوا إليه بكل جوارحهم»
هزت صدفة رأسها موافقة على ملاحظة خالد فقد كان سعد أكبر مثال على هؤلاء ,كان متقنا للانسحاب والغياب فبمجرد أن يجد البديل حتى وان كانت مباراة لكرة القدم ينشغل بها .
لم يُفكر يوما وهو ينسحب كيف ستكون مشاعرها ؟ ولا كيف ستنهمر دموعها ؟
لم يسأل نفسه يوما لمن أتركها ؟ شعرت بالألم يعتصر فؤادها يفتتها إلى قطع حادة صغيرة وهي تتذكر المرات التي رحل فيها عن عالمها بكل قسوة لا يفكر في شيء إلا نفسه ,كانت تلتمس له العذر تلو الآخر وتسامحه المرة تلو الآخرى لأنها تحبه ولكنه اعتقد أن قلبها الذي يحيط به ويسمعه عن بعد حين يتحدث

ضعيف أسير هواه لم يفكر ولو لمرة أنه يسامح لأنه يحب ولكونه متيما في هواه وليس لكونه ضعيفا .

لمح خالد دموعها تترقرق في مقلتيها أراد أن يمد يده ليمسحها ,فأنا هنا من أجلك غاليتي ,لا أتحمل أن أرى دموعك هل بإمكاني أن أضمك إلى صدري لتسمعي حكاياته بنفسك ,إن داخلي نارا تحترق كلما رأيتك فما بالك بي وأنا أرى دموعك تتأهب للانفجار؟.

قال وهو يرفع صوته ويضع يديه حول فمه لينهي هذا الجزء من قصته قبل أن تنهمر دموعها فيضمها إلى صدره دون شعور:وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

مر ما بقي من العطلة الصيفية رأت صدفة خالدا عدة مرات إلا أنه لم يكمل لها ما بقي من قصته ,كان يمر سريعا ليطمئن عليها ,لم يعد بحاجة لئن يختلق الأسباب ليقدمها لها في كل مرة .

مرت الأيام على سعد وهو ينتظر رد أماني ,رغم أنها كانت تتكلم معه يوميا طيلة الأشهر الماضية إلا أنها أمس فقط أرسلت له رسالة قالت فيها « أوافق على الزواج منك «

قرأ سعد الرسالة عدة مرات وكأنه لا يصدق نفسه أنه بدأ يسير في طريق لا تؤدي في النهاية إلى «صدفة»

يعلم أن مجرد خطبته لأماني ستغلق كل الأبواب التي بينهما حتى لو لم تنته بالزواج ,بإعلان خطبتي سأعلن وفاة قطرات الندى التي كانت تسكبها داخلي عن بعد ,تمهل يا سعد ستمزقها بفعلتك ,إلا أن صوته الآخر كان أعلا حينما قال: ما تفعله هو الصحيح ,لم تفترض أن خطوبتك لن تنتهي بالزواج ؟ ستتزوج وتنجب ,قال لصوته : سيكون اسمها «صدفة»

سأله صوته : من؟

قال : ابنتي سيكون اسمها صدفة ,لا أقوى على الحياة دون أن أناديها أو أهمس باسمها.

اتصل على أماني وسألها عن الموعد المناسب لزيارة والدها ، اتفقا على موعد وتكلما في أمور كثيرة ثم تمنى لها ليلة سعيدة
وضع رأسه على الوسادة شيء ما ينقصه ,إن داخله يتأرجح كما لو كان فقد دعامة نفسه ,اشتاق لصوتها ,مضى أشهر على لقاءهما في عرس اختها ,تذكر تفاصيلها في ذاك اليوم وكيف بدت حورية من السماء تنثر نورا على من حولها ,ثوبها الحريري الملتصق بجسدها يحكي ألف حكاية عشق وكيف عانق لونه لونها فجعل من المستحيل أن تفرق بينهما ثم تقف حائرا أمام نظراتها الساحرة ,تناديك لتبحر بهما حتى لو لم تعلم فنون السباحة ستلقي بنفسك فيه حينها دون تردد
صغيرتي التي كبرت أمامي وداخلي هل حان الوقت كي أذهب بعيدا وتذهبين بلا عودة ؟ صغيرتي اعتدت أن تغضبي مني فتختبئين داخلي ,تشكوني لقلبي الذي يهواك ، لم تعودِ هذه المرة؟
حبيبتي أنا أبتعد ، يبدو أن ثمة طريق سأمشيه وأنا مغيب عن الوعي ,ألن تأتِي فتنقذيني من نفسي ؟من أخرى ,ستأخذني منك,هل سيعجبك صغيرتي أن أرتمي في أحضانها ؟ هل يرضيك أن يصبح صدري وسادة لغيرك بعدما كان بيتك؟ هل ستتركينني لها؟ أنام واستيقظ على صوتها ؟ تداعبني أناملها لا أناملك ,بالله عليك ماذا تفعلين بي وبك؟ ,إن ذرات جسدي تتنافر ترفض أن تكون لوحة لغيرك ترسم عليها قصة عشق لا يعرفها ،»أحبك«
استيقظت «صدفة « من نومها حينما همس لها «أحبك» سالت دموعها ,أخيرا يا حبيبي مضى وقت طويل لم تقلها ، لقد كنت على عهدي فلم أخلفه ,أمسك بالهاتف عند منتصف الليل لكن لا أتصل ,أتذكرك بكل تفاصيلك لكن لا أهمس «أحبك» لأني كنت أراك وأنت مشغول بها ومعها ,أسمعك حينما تناديها ,مازال قلبي متصل بك ,وسيظل هوانا نارا متأججة بداخلنا ، تخفت أحيانا

وتشتعل أحيانا أخرى إلا أنها لن تنطفئ ، أنتيا شبيه المطر وأجمل في عيوني من القمر يا مسرى غرامي ومحرابي سأودعك لأنك لا تقوى على شيء إلا الرحيل ولم تحترف إلا الغياب سأودعك وأودع معك «نفسي» فاقبلها وأسكنها نفسك فلا ملاذ لي غيرها .

ستعلن خطوبتك يا سعد قالت في نفسها ولذلك أنت خائف,خائف ألا تتم فتخسرني وتخسرها ,لكن الذي لا تعلمه أنك خسرتني ولا مجال للعودة .

ذهب سعد في الموعد المحدد لمقابلة والد أماني ، كان لقاءا وديا فلم يرفض والدها ظروفه التي كانت جيدة لكن أقل من مستواهم المادي واتفقا على أن يعلنا خطبتهما الأسبوع القادم وأن يكون الزفاف خلال شهور ,جلس مع أماني قليلا بعد حديثه مع والدها ثم استأذن وانصرف ،

عندما وصل إلى بيته أرسل لاخيه واخته ليخبرهما بما حدث معه ورفع سماعة الهاتف واتصل بعمه ليكون معه في الاسبوع القادم عند اعلان خطوبته كان يدرك جيدا أن الخبر سينتشر سريعا وسيصل لصدفة ,خفق قلبه عندما جال اسمها في خياله,إلى متى ستمتلكين قلبي يا صغيرتي ؟لا تحزنِي ,فأنت تعلمين جيدا أني لست لك ,وبخ نفسه كنت تعلم أنك لست لها ومع ذلك لم تتوقف عن العبث معها ,لم تتركها لطفولتها,انتهكت أيامها واحتكرت دقائقها ولحظاتها ، أخذتها بالكلية من عالمها,فلماذا؟ لماذا جعلتها لا ترى غيرك ولا تسمع إلا صوتك ولا تحلم إلا بك وأنت تعلم أنك لن تقوى على أي شيء ,سامحيني يا حبيبتي,فلتغفري لحبيبك الضعيف .

علمت صدفة بخطبته فلم يمثل لها صدمة كبيرة حيث كانت تتوقعه ، تعلم أنه أضعف من أن يواجه نفسه وبؤس حاله,إنه يستمد روحه من تلك الأشياء التي يسميها تحررا وثورة على الدين والتقاليد والحقيقة أنه أضعف من أن يثور أو يواجه ,ولو

كان قويا بما يكفي ما اتخذ الهروب حلا لجميع مشاكله,إن حياته لا تروق لي ولم أرسمها يوما في خيالي رغم حبي له ,للمرة الأولى أرى صورته واضحة بملامحه الحقيقية ,لماذا افترضتُ شخصا وهميا وأقمتُ له تمثالا وسط ميدان حياتي ؟ لماذا ظننت أنه يمتلك قلبا حريريا ناعما لا يراه غيري وأن ملامحه القاسية ليست انعكاسا لما يدور داخله ؟ نعم أعترف فلقد كانت ملامحه قاسية طوال الوقت كتصرفاته ,ما هذا الذي تفعلينه يا صدفة ؟ تكذبين على نفسك أم ماذا ؟ تعلمين جيدا أنه «أحبك» وان قلبك موصول بقلبه

لكنه قاسي: قالت لنفسها ثم تابعت لا تشوهي حبه لتهدئي من روعك فالحب لا يعرف الانتقام كما أنه ليس مكافئة نكافئ بها أحدهم ,الحب هو أن تدرك عيوب من أمامك تراها جيدا,تعرف تماما حجم المخاطر التي تنتظرك إذا ما بدأت ومع ذلك تجد نفسك غارق حتى الثمالة فيه . ثم ان الحقيقة انك واقعة في غرامه بكل ما يحمل من صفات وعيوب فلا تدعي ان شيئا ما يحول بينك وبينه حتى الفراق لن ينجح في ذلك

« الأيام دواء لكل الأمراض إلا الحب»

مرت شهور العطلة سريعا على صدفة فأوقاتها كانت مشغولة دوما ,التقت بخالد عدة مرات كما ساعد الهاتف النقال على تبادل بعض الرسائل والمكالمات السريعة

اعترف خالد لنفسه أن اهتمامه بها بدأ يتحول في الفترة الأخيرة لإعجاب بل إنه قد يصل إلى ما بعد الإعجاب ,إ نه لم يعد يكتفي بلقاء عابر أو مكالمة سريعة ولا تشبعه تلك الرسائل القصيرة التي قد يتبادلاها عبر الهاتف النقال ,إنه دائما في انتظارها ولكنه يكره الانتظار ,يريدها أكثر وأكثر ,يريد ان يسمعها وهي تتكلم وهي تضحك فيضحك معها العالم بأكمله ,لديه أوقات مازالت في حاجه إليها لتملئها ، بحاجة لئن يعرف ماذا تحب وماذا تكره وما طعامها

المفضل ؟ واللون الأقرب لقلبها ؟ وما رأيها في عالم النمل والنحل وإن أمكن حتى في ذرات التراب العالقة بملابس رجل الأطفاء ,يريد أن يسمع ثرثرتها رغم أنه عاش يكره الثرثرة,يشعر الآن أنه في حالة احتياج لكل ما يصدر منها أو يقرب إليها ، يحب وجودها في حياته يفتقدها إذا ما غابت ,صارت جزءا من تفاصيل يومه ,يختلق الأسباب ليكلمها ,يخبرها أين هو وماذا يفعل ,يحاول أن يسرقها من مشاعرها,يفرض وجوده وتواجده,كان يعلم أنها تنزوي داخلها في عالمها الافتراضي فمد يده ليستخلصها من وسط همومها ويضعها على أول طريق الحياة ,سأفعل ذلك حتى إن لم تبادلينني مشاعري يا صدفة وحتى لو رفضتي حبي لن تستطيعي أن ترفضي رعايتي «بعضهم يفرض عليك الحب كطقوس ديانة مستحدثة تسمع عنها ولكنك غير قادر على ممارسة شعائره»

لم يخف على «صدفة» أن تطورا لاح في سماء علاقتها ب»خالد» فلم يعد الأمر مجرد صداقة أو تشابه بينها وبين والدته ,إن اهتمامه بها وتواصله معها كل يوم يؤكد لها أن ثمة مشاعر مختلفة يخفيها داخله

ماذا لو صارحك بأنه يحبك ؟ سألت نفسها وجدت قلبها يخفق بشدة

هيا أجيبِ على سؤالي : ماذا لو صارحك بحبه ؟ سألت نفسها للمرة الثانية

_لا أريده أن يصارحني ولا أريد حبه

_لم ياصدفة ؟ لا تكونِ قاسية معه ,ليس هناك ما يستدعي رفضك

_لن أرتبط أبدا بـــ « خالد» عليك أن تعلمي ذلك

_أعطني سببا

_ أخشى أن أحبه قالتها ودموعها تنساب في نعومة على وجنتيها

_لماذا تخشين ذلك؟

_لأني أريد أن أحافظ على عهدي مع « سعد»
_أنت مجنونة يا صدفة عنفتها نفسها
_هـذه هـي الحقيقـة لـن أحـب سـواه واخـشى أن أظلـم خالـدا أو سـعدا ,الاثنـان يجـب أن يبقيـا عـلى نفـس المسـافة منـي
ارتفـع صوتهـا مـن داخلهـا : انـت قاسـية هـل تسـاوي بـين سـعد وخالـد ,النـار والنـور القسـوة والعطف؟
_ سـعد روح تملكتنـي واعصـار اجتاحنـي في لحظـة ضعـف فاحتـل أنحـائي ، انـه الماضي الـذي لايـزال حـاضرا بـكل قوتـه وقسـوته ,أريـد أن أنسـاه لكنـه لا يسـمح لي ,وإن تركتـه قليـلا ومضيـت لحـالي وجدتـه يـأتي مسرعـا لاهثـا خلفـي ليذكـرني بأنـه لازال هنـا ، الماضي كـــ « سـعد « كلاهـما يحـاصراني لا يريـدان لي المضي قدمـا إلا في داخلهما,لماذا يكـون الماضي دومـا أقـوى مـن المسـتقبل وأقـسى؟و لماذا يُجيد صناعـة السـجون ؟ .
لن أحب غير سعد قالت لنفسها .

مـرت هـذه الشـهور أيضـا عـلى «سـعد سريعـة» مـا بـين تجهيـزات البيـت والأثـاث والحفـل ، كانـت أماني مرحـة إلى درجـة كبـيرة ولديهـا ذوق عـال جـدا في اختيـار كل شيء ,تهتـم بـكل التفاصيـل والشـؤون الصغـيرة التـي جعلـت سـعد يتأكـد أن بيتـه سـيكون لوحـة فنيـة جميلة رسـمتها خطيبتـه بـكل سـعادة
كان يكفيهـا أن تنـام مـن ٤ إلى ٥ سـاعات في اليـوم وبعـد ذلـك هـي في حركـة ونشـاط حتـى تنـام مـرة أخـرى ,علاقتهـا بأصدقائهـا وأقاربهـا جيـدة حتـى أنهـا حولـت عالمـه الهـادئ لآخـر صاخـب مـليء بالحركة,أعجبـه ذلـك فيهـا واطمـئن أنـه أحسـن الاختيـار وكلـما التفـت قلبـه لينظـر وراءه كي يبحـث عـن عينـين رائعتـين كانتـا لـه الحيـاة يومـا نهـره ولامـه عـلى ذلـك ,امـض قدمـا فـلا مجـال للرجـوع,انـس أيهـا

القلب فما مضى أبدا لن يعود
ثم سرعان ما ينسى ويجد نفسه يُفتش عنها في كل زاوية من زوايا ذاته بين الحروف أحيانا في صوت الخوف أحيانا أخرى دائما في حالة بحث مستمر عنها ,يراها في حروف العشق ونظرات الاشتياق ,إلا أنه يعود سريعا ليؤكد لنفسه أنها أصبحت مجرد ذكرى .

عادت الدراسة للانتظام وانتظمت معها صدفة بعدما قطعت شوطا كبيرا في تعلم اللغة الإنجليزية ,لم توقف دوراتها بالمعهد وقررت أن تستكملها بجانب كليتها

مرت عدة أيام قبل أن تلتقي بخالد كانت تجلس في «مكتبة» الجامعة حينما دق هاتفها برقمه أجابت وسألته عن أخباره
بخير أين أنت ؟
_في المكتبة
_ماذا تفعلين في المكتبة ؟ بدا صوته قريبا منها كأنه يحيطها بذراعيه
_أقرأ, قالتها وقلبها يخفق بشدة
_ ماذا تقرئين ؟ شعرت بأنفاسه قريبة منها وكأنه يهمس في أذنيها احمر وجهها وشعرت بلسانها يتلعثم
إلا أنه انفجر ضاحكا من ورائها ,ابعدت الهاتف عن أذنيها وهي تستمع لصوت ضحكاته ينتشر في أرجائها
التفتت إليه فرأته واقفا خلفها نظرت إليه وهي لا تدري ماذا يجب عليها الآن ؟ هل تغضب منه؟ أم تضحك لضحكاته ؟
وكأنه قرأ أفكارها فبادرها بسرعة وهو يجلس على المقعد الذي أمامها : يحكى أيها الملك السعيد ذو الرأي الرشيد ابتسمت له فقد عرف كيف ينقذها من مشاعرها المضطربة ، وكأنما سطع في سماء حياتها فقط لينقذها دوما من مشاعرها المضطربة ، بادلها الابتسامة وهو يفكر في مدى براءتها ,إن اعتكافها في معبد» سعد»

وانزوائها في بقعة مظلمة في قاع ذاته جعلها تبدو وكأنها غريبة عن هذا العالم الصاخب ورغم أنه يدرك تماما أن قلبها ليس ملكا لها على الأقل حتى الآن إلا أنه بدأ يعترف بأن دبيبا من الحب يسري في جسده كلما رآها وفيضانا من الفقد يجتاحه إذا غابت.

تابع قصته :

بدأت الأموال التي كانت مع أبي تنفذ اقترحت أمي عليه أن يؤجرا الغرفة الأخرى بالشقة حيث أنهما لم يرزقا بأطفال بعد وقالت أن عليهما أن يستفيدا منها إلى أن يحتاجا إليها ، وافق أبي على شرط ان يستأجرها امرأة حيث وجود رجل غريب بالبيت أثناء غياب أبي بالجامعة لم يكن مقبولا ,وافقته أمي الرأي وتم تأجير الغرفة لفتاة حامل في شهرها الخامس تعمل لفترتين في محل لبيع الملابس النسائية ,لم يكن لديها وقت كاف لتتعرف على أمي ولم يكن لديها الدافع لذلك حيث كانت مشغولة وأمي كذلك

وقد عرضت أمي على الفتاة أن تقدم لها يوميا وجبة طعام ساخنة عندما تعود ليلا مقابل مبلغ بسيط ,وافقت الفتاة وبعد الولادة عرضت الفتاة على أمي أن تبقي معها الطفل أثناء تواجدها في العمل مقابل مبلغ آخر ,رحبت أمي بالفكرة ..

حاولت أن لا تقصر في واجابتها تجاه أبي وخاصة الوقت الذي كانت تقضيه معه في «المعمل» استحقت أمي لقب «مساعد بروفسير عن جدارة ,أصبحت لا تنام إلا القليل ,فعليها أن تدير شئون البيت وتعد الطعام لهما وللفتاة ورعاية طفلها بالإضافة إلى دورها كـ « كيميائي» حتى سقطت أمي مغشيا عليها ذات يوم ..

حمل الطبيب لأبي أسعد خبر في حياته عندما أخبره بأنه سيصبح أبا عما قريب وطلب للمريضة الراحة الكاملة ،

رفضت امي الراحة وصارت تعمل بجد وحب ايضا ,يبعدها أبي أحيانا عن مشاركته التجارب حتى لا تؤثر الأبخرة المتصاعدة على

الجنـين
وبعد ولادتي ظلت أمي ترعى طفل الفتاة التي تسكن معهم
مـرت الأيـام بـل السـنوات وقبـل بلوغـي الرابعـة مـن عمـري بأيـام قليلـة جـاء لزيارتنـا شـخص غريـب «جـدي»
كان في زيـارة لباريـس هـو وجـدتي وجـاء ليـزور أبي ويقـدم لـه عرضا رآه حـلا للخـروج مـن الأزمـة التـي وضعهـم بهـا والـدي عـلى حـد قولـه كان العـرض هـو أن يدعـي أبي أنـه انفصـل عـن أمـي وطلقهـا قبـل عودتـه مـن الخـارج وأن يبحـث لهـما عـن بيـت في أي محافظـة مـن المحافظات بعيـدا عـن أعـين القاهـرة السـاهرة ومـن ثـم يتـزوج بأخـرى مـن طبقتـه ..
رفـض أبي العـرض وخـرج جـدي غاضبـا ,اسـتمرت بينهـما القطيعـة سـنوات طويلـة ,كان أبي خلالهـا مـازال يعمـل في الجامعـة ويقـدم بعـض الأبحـاث القيمـة للمعاهـد المعتمـدة بباريـس ,تحسـن وضعهـم المـادي قليـلا فتوقفـا عـن تأجـير الغرفـة الأخـرى وأصبحـت غرفتـي فيـما بعـد ,إلا أن امـي اضطـرت للخـروج إلى العمـل عندمـا أصبحـت في سـن المدرسـة فعملـت بأحـدي ريـاض الأطفـال القريبـة مـن البيـت
تخرجـت مـن الجامعـة وكان أبي وقتهـا أصبـح بروفسـورا معتمـدا, مـرض جـدي فقـرر أبي العـودة إلى مـصر وكان قـد اشـتاق إلي بلـده
عندما عدنا وذهب أبي لزيارته وجده مازال مصرا على موقفه من أمي واشترط على أبي كي ينال رضاه وثروته أن ينفذ ما طلبه منه سابقا ..
وعندهـا أخـبر أمـي أنـه يجـب عليـه تنفيـذ وصيـة والـده الـذي أصبـح قـاب قوسـين أو أدنى مـن المـوت ,ويحتاجـه بشـده إلى جـواره في آخـر أيامـه ,كان أبي يعلـم أن أمـي لـن ترفـض ,يـدرك تمامـا أنهـا جعلـت مـن أيامهـا مطيـة لـه وأنـه يمتلكهـا تمامـا كان مـن الممكـن ان يرفـض أبي عـرض جـدي وأن يسـتمر عـلى موقفـه حبـا في أمـي وإكرامـا لهـا لكـن فناءهـا في ذاتـه قـد جعلـه لا يفكـر إلا في نفسـه أحيانـا ,لا أنكـر حـب

أبي لها وهيامه بها وإخلاصه أيضا لكنه حب مستمد من إنكارها لذاتها على طول الطريق وكأنه اشترط عليها أن يُحبها مقابل انغماسها في قاع نفسه وامتزاجها بين جلده وعظمه .

اشترى لنا أبي هذه الشقة في شارعكم التي كنت أكرهها أكثر من كرهي للظلم فقد كانت بالنسبة لي مجسما للقسوة ,حيث فيها تم نفي أمي التي قدمت كل ما تملك وأكثر مما تملك ,فكانت مكافئتها «المنفى» بعيدا عن ثريا أبي بعدما تلطخت أيامها دوما بثرى أيامه ..

وكأنما خلقت لتنزوي داخله حيث لا نجوم مضيئات ولا شموس,فإذا ما أضاءت القناديل عالمه ودنياه وارتفعت أصوات الموسيقى والرفاهية كان عليها أن تختبئ ليحل محلها آخري لم تشارك في صناعته يوما ..

كادت الدموع تغلب ثباته ورباطة جأشه وهو يحكي ..

قاطعته صدفة : تزوج ؟

_كان شرط جدي الوحيد أن يحدث ذلك كأنه يُعاند الأقدار ..

_ووالدتك ماذا كان رد فعلها

_ كانت أمي له دوما «نبض» الحياة ولكنها ارتضت أن تعيش له ,استعذبت أنات نفسها المعذبة في سبيل إسعاده كما لو كانت تتلو عبادة خاصة بها فتتقرب بفنائها مقابل بقاءه

كما أن أبي اعتاد ذلك ,أكذب إن قلت لك أن أبي يستطيع أن يعيش بدونها فهي شريانه للحياة ولكنه يستطيع أن يعيش بها ومع غيرها, أما هي فكانت لا ترى سواه ولا تسمع إلا صوته,اكتفت به عن العالم ولم يكفها أبي خيبات العالم

«أدركت صدفة ما يقصده تماما إنها كادت أن تقع في نفس الخطأ,ان تعيش ظلا لشخص يحبها ولكنه قادر على العيش بها ومع غيرها في الوقت الذي لا ترى سواه ولا تريد أن ترى سواه «

نظرت لخالد وهي تسأله بعيون صامتة : ألهذا أنت هنا ؟ من أخبرك عني ؟ وأي شيء تعرف عني؟ ومن اطلعك على سري وتشابه قصتي مع قصة والدتك ؟ هل تعلم اني أحب هذا السراب ولا أرتضي به بديلا حتى الآن ؟ المشكلة أنك لا تدري أن سعدا ليس فقط حبيب ولكنه حياه

«بعض الأشخاص إن لم نصادفهم في طريقنا وجب علينا أن نخترع ما يشبههم ثم نضعهم في وسط طريقنا حتى نلقاهم «

وقفت صدفة وقالت لخالد : ما رأيك بفنجان من القهوة شرط أن يكون على حسابي

قال : أرى ان القهوة قد أعجبتك

_جدا

_موافق

أوشك العام على الانتهاء وخالد يكتفي بصداقة صدفة التي لم تبد أي استعداد لتطور مشاعرها نحوه ,كما لو كانت تحافظ عليه من الفناء فالحب يُفسد كل المعاني التي دونه وهي تريده بجوارها ,تشعر بأنه يد القدر التي ألقت إليها بطوق النجاة,كانت تراه بالجامعة وبمعهد اللغات ,كان لسانه ينطق حبا وعيناه تفيضان شوقا ,لكن حروفه ظلت بكماء ,حبيسة جدران قلبه تخشى أن تتجاوزها فتخسر كل شيء

« فلتبق يا صديقي صديقا للأبد خير من أن تكون عاشقا لعدة سنوات ثم ترحل ،، فإني أريدك بجواري»

كانت لا تزال على عهدها وإن كانت شُفيت قليلا من مرضها فقد أصيبت لسنوات بداء اسمه « سعد» « إلا أنها لازالت تشتاق إليه ,وتتوسل لذاك الداء أن يصيبها مرات ومرات ,رغم ادراكها أنها أصبحت خارج حياته إلا انها لا تستطيع أن تخرجه من حياتها,تعلم أنها المرأة الثانية في حياته وتعلم أنه قد يذكرها بعد ذلك على

أنها حكاية عابرة مضحكة قطعت سنواته لفتره من الوقت ,لكنها رغم كل ذلك لازالت لا تسمع إلا صوته ولا ترى إلا وجهه ,استوطنها بالكامل ,تمنت وقتها لو أنها تملك القدرة على كتابة الروايات حتى تكتب عنه ,فتسخر حروف الهجاء له وحده ,تكتب له حينئذ عن شوقها واشتياقها ,تناديه باسمه ,تصوره بطلا وحيدا لعالمها تهمس في أذنه بما لم تستطع يوما أن تهمس له ..

كانت لتكتب من وحي خيالها عن يوم التقيا ,هذا اليوم الذي لم يحدث إلا صدفة ,إلا أنها كانت ستكتب عما تمنت أن تكونه يوم تلقاه ,لن يمنعها أحد ,ستحبه في الكتابة وبين السطور وتضع عينيه نقاط حروفها ,ستملأ أرفف حياته بروايات وقصص كتبتها له تحكي عنه وتحكي عن امرأة عاشقة مرت بحياته كطيف وكان لها كل الحياة ..

ما فارقت هاتفها السهران قربها حتى الآن ,لازالت تحتفظ برقمه في ثناياها ,لا زالت تسترق السمع لعله يهمس لها «أحبك» لم تكن تنوي الرد على أي حال ولكنها كانت تحاول أن تثبت لنفسها أنه لم يكن وهما.

لكن سعدا الذي أوشك على الانتهاء من كل استعدادات الزواج لم يهمس لها أبدا خلال هذه الفترة « أحبك» لقد نأى بنفسه وابتعد بعيدا عن عالمها ,يحاول أن يذوب في عالم زوجته المستقبلية ,مبهور بها تتلاحق أنفاسه أحيانا لجرأتها ,يسأل نفسه عن سر ذلك ,فيبرر لنفسه :إنها ليست فتاة صغيرة لا تقارنها بأحد كما أنها كانت متزوجة ,فمن الطبيعي ان تختلف تصرفاتها عن تصرفات أحداهن ألمح لها عدة مرات أن تخفض صوت ضحكاتها في حضور الغرباء,فأجابت ببساطة لا أعرف غرباء ,كل من أكلمهم معارفي وأقاربي ,فصمت واقنع نفسه أنها محقة ..

يمنع نفسه من المقارنة التي أحرقت داخله والتهمت أعصابه في

بعض المواقف ,يمنع نفسه عن التفكير فيها ، طردها من حياته ,إلا أن مسافاته لازالت تعاني فراغا يؤكد له كل لحظة أنها مازالت هناك في زنزانتها الفردية التي حُبست داخلها منذ كانت صغيرة تلهث ضفيرتها خلفها ,لكنه لن يصغ لقلبه ,سيضع الحراس على باب محبسها ,حتى لا تخرج منه وأيضا لن يهمس أبدا « أحبك»

كان حفل الزفاف رائعا كما خططت له أماني بالضبط ، كل شيء في مكانه ,كل شيء متناسق ,الموسيقى والزهور ولون مفارش الطاولات وأغطية المقاعد

ارتدت ثوبا من قماش جاكار «البروكاد « بدون أكمام وقصير يصل إلى ما قبل ركبتيها ,مزين بحزام مطرز من الوسط ورفعت شعرها بمشبك أبيض ولم ترتد «طرحة»

توقع سعد ان يرى ثوبا طويلا وطرحة بيضاء مزينة بالتطريزات تغطي وجهها فيقترب منها ويرفعها بيده ثم يقبلها على جبينها فيصفق الحاضرون إلا أنها فاجأته بمشهد جديد ,ابتسم في نفسه وقال إن هذا ما كنت أسعى إليه امرأة مختلفة لرجل متميز وما ان بدأت أصوات الموسيقى ترتفع حتى تقدمت صديقاتها صوبها فأخذوها من يدها لتشاركهم الرقص فقامت معهم دون أن تلتفت له ..

وما لبثت إلا قليلا حتى تقدمت نحوه وسحبته من يده ليرقصا معا ,ارتفعت الصيحات من حولهم والتصفيق ,رقص سعد للمرة الأولى في حياته وهو يقنع نفسه أنه فاز بجائزة الاحلام ..

انتهى الحفل الذي لم تذهب إليه صدفة ولكن سامح ووالده قصا عليها ما دار في العرس بالتفصيل ..

ألقت صدفة بنفسها على فراشها وهي تخشى أن يسمع أحد صوت نحيبها ، لا أبكي فراقك للأبد يا سعد لكن أبكي قلبي الذي

كان حتى هذه اللحظة كسوار يحيط معصمك فألقيته بكل قوتك لم أكن لك سوى زاوية صغيرة مهملة من زوايا حياتك القاسية,اذهب لها وارتمي في أحضانها ,وقبلها ألف قبلة ولكنك ستظل لي وهذا عهدي سيلاحقك عشقي أينما كنت وستسمع صوتي في صوتها أحيانا وستراني في ملامحها إذا اشتقتني ، سأتخيلك وأنت تشرد بذهنك بعيدا عنها تبحث عني تشتاق لأنفاسي كي تحيطك فتشعر بالأمان، أنا لا أبكيك بل أبكي غيابك الذي يخنقني ,لم يحدث بيننا الكثير لكن كل ما حولي علمني حبك ولكن على ما يبدو أنه حان وقت اختفائي من ذاتك تماما لكن بالله عليك لا تنتزع روحك بكاملها من داخلي اترك لي ولو شيئا قليلا ، بقايا ,فأنا لست طامعة في أكثر من فتات تلقيها في قلبي من وقت لآخر ,أبكي كوني لن أعود إليك مرة أخرى حتى لو عدت معتذرا ,سأكتفي بك حبا ورقيا ومشاعر حبرية يقرأها الناس جميعا معك

أبكي نفسي حبيسة أنفاسك والتي قد مزقتها في ليلك ,لم تعد ملكا لي ,لم تعد جزءا من عالمي ,لم يعد كلانا مرفأ للآخر .

أجادت صدفة اللغة الانجليزية وحصلت على شهادتها بتقدير احتفل بها والداها وكذلك خالد وقدم لها «هدية» من نوع خاص ,حيث عرض عليها أن تعمل معه

_لم انته من دراستي بعد

_لا احتاج شهادتك الجامعية أحتاج لغتك ,وأرى أنك قادرة على التوفيق بين الدراسة والعمل خاصة انه لم يتبق لك غير عام واحد ..

- سأعرض الأمر على أبي

_أعتقد أنه لن يمانع

_وأنا أيضا أعتقد ذلك

_ألا ترغبين في كوب من القهوة تلعثم قليلا وأكمل أريد أن أعرض عليك عرضا آخرا ؟

_ أدركت أنه سيفاتحها بـ حبه لها

لا اريدك أن تربطي بين العرضين فكل منهما منفصل عن الآخر

اذا فلنشرب القهوة أولا

_أراك أدمنت القهوة قال ممازحا إياها

_إلى أبعد حد ,أشعر كأني والقهوة صديقان التقيا بعد غياب

جلسا وطلب خالد القهوة ونظر إليها وهو لا يدري من أين يبدأ حد يثه

_أشعر أنني أريدك بجواري دوما

_خفضت صدفها رأسها ونظرت في الأرض ثم قالت :لقد أهديتني مستقبلي وأنا مدينة لك

_لست مدينة لي ولا لغيري فلتعلمي ذلك

_أعلم ما تريده قالت في خجل

_ أعلم أنك تعلمين وأنتظر رأيك

_ سأصدقك القول صمتت قليلا ثم تابعت لا أريد ان أظلمك,أشعر أنك قريب مني كأخ وصديق ,رسول للرحمة أرسله القدر لي لينقذني من بؤس أيامي ، أعلم لماذا قصصت على مسامعي قصة والدتك ,لم ترد لي نفس مصيرها ,تريدني أن أكون أنا ,لن أسألك كيف عرفت ؟ ولكني أثق أنك هدية السماء لذلك أخشى أن أعكر صفو بقائي قربك ,أو أن أفسد نسيج صداقتي بك إذا ما لطخته يد الحب ببقع الألم وصبغته بلون مغاير عن لونه الحقيقي ، أريدك أيضا في حياتي وبجواري لكن للأبد وليس لعدة سنوات ,الحب يُفسد ما دونه من مسميات .

_لكني أريدك بجواري

_ سأظل بجوارك سنعمل معا ,لكنك أغلى عندي من أن أمنحك

بقايا قلب
_ خذي وقتك للتفكير لست في عجالة من أمري ,ولتعلمي أني ظللت غريبا في هذه الدنيا حتى وجدتك ,قرأتك ,لا أدري كيف ولا أعلم مدى صحة ما لمحته داخلك لكني سأخبرك أمرا ,بقايا القلب الذي تتحدثين عنه هو في الحقيقة أغلى عندي من قلوب العالم مجتمعة ,فهو قلب أستطيع قراءته ورؤية ما بداخله وهذا الأمر لا يتكرر كثيرا ,لقد ظلمت نفسك كثيرا عندما حبستيها في محرابه والآن تظلمينها مرة أخرى عندما تسحبيها بعيدا عني,ليس ذنبي ما مررتِ به ,فلا تعاقبيني على جريمة لم أفعلها
_سأخذ وقتي لكن لا أعتقد أن شيئا سيتغير مع الوقت ,ستظل مبعوث العناية الإلهية لي وأخشى أن أحبك فأفقدك ,أرجو ألا أكون قد أصبت بعقدة نفسية قالتها وهي تبتسم ابتسامة مغلفة بالدموع
افترقا وقلب كل منهما يعتصر

****

في المساء أخبرت صدفة والديها عن عرض «خالد» الذي قدمه لها بالعمل في مكتب الترجمة الخاص به ,ولم تتعرض لحديثه عن الارتباط بها
قالت والدتها : تعملين وأنت في الجامعة هل تريدين أن يقول الناس عنا أننا غير قادرين على مصاريف ابنتنا فخرجت للعمل أثناء الدراسة
ردت صدفة بهدوء: الكل يعرفنا يا أمي ويعرف أن أمورنا المادية جيدة والحمد لله كما أن العمل ليس لجني المال وفقط ,ولا تنسي أن كثيرا من الخريجين لا يجدون عملا إلا بعد سنوات من البحث
قالت أمها : يبحث عن العمل من يحتاجه ,أنت لا تحتاجينه

اعترض والدها قائلا: بل تحتاجه ليس لأنها تحتاج إلى المال ولكن لأنها تحتاج للحياة ,وأنا لا أرفض أبدا فكرة العمل ثم صمت قليلا و قد ثبت عينيه على عيني صدفة :أريد أن اعلم تحديدا ماذا يعني خالد بالنسبة لك وماذا تعنين له ؟ ,إن رفضك لمجرد الحديث عن أي « عريس» ممن يتقدمون لخطبتك بدأ يقلقني
خفضت «صدفة « من صوتها وقالت : خالد مجرد صديق وجار وهو شخص محترم إلى أبعد الحدود قلما نصادف مثله في حياتنا,أما أنا بالنسبة له قد أكون أكثر من صديقة لا أعلم تحديدا ,لكن أعلم مشاعري أنا وهي الأهم بالنسبة لي
قال والدها : لماذا ترفضين مجرد الحديث عن أي خاطب لك ؟ أليس غريبا ألا تحاولي حتى معرفة أي معلومات عن أي منهم ؟
ردت : لأنني مشغولة بمستقبلي أكثر أرى نفسي بين أكوام الكتب والأوراق وآلات الطباعة ، أحلم بالمستقبل أريد أن أكون «أنا « أولا
قالت أمها : في النهاية مصيرك إلى بيت الزوجية مثل سناء أختك ومعظم البنات
ردت وهي تبتسم : لا يا أمي أرى مصيرا مختلفا ينتظرني دعيني أحاول على الأقل حتى لا أظل أعاتب نفسي ما حييت
صمتت الأم كما لو كانت مجبرة على الموافقة ورد والدها : حاولي فأنا أثق فيك وأعلم انك ستنجحين
ردت أمها : لا تنس أنك ستتناولين الغذاء غدا عند سناء فقد اتصلت وأكدت الدعوة
قالت : ألن تأتوا معي؟
ردت : لا فقد دعتك وحدك كما أن والدك غدا مشغول
قالت : سأخرج من الجامعة وأذهب إليها مباشرة
ردت الأم : تعالي إلى هنا أولا لتبدلينثيابك
قالت «صدفة» : ولم ؟ إنها سناء أختي سأذهب إليها مباشرة

صمتت الأم ونظرت نظرة ذات معنى لزوجها

في اليوم التالي ذهبت «صدفة» تلبية لدعوة اختها على الغذاء,استقبلتها سناء بابتسامة جميلة واحتضنتها بقوة وقالت: اشتقت اليك

ردت صدفة: وانا أيضا اشتقت إليك ,رغم أنك تزورينا كل يوم تقريبا وتمكثين عندنا بالساعات ,حقيقة نحن نراك الآن أكثر من أيام الجامعة ,كنا نطمع في ان نرتاح قليلا منك مازحتها فقد تعلم أنها تشتاط غضبا عندما يقول لها سامح : أشعر وكأننا زوجناكِ عندنا بالبيت أو أن زوجك يريد أن يتخلص منك فيرسلك إلينا ,فترفع صوتها منادية على أمها : أمي تعالِ واسمعِ ماذا يقول لي أبناؤك

قالت لها سناء اغسلي وجهك ورتبي ملابسك لأننا ننتظر ضيفا آخر على الغذاء ,اندهشت صدفة فهذا آخر ما كانت تتوقعه

قالت لها سناء: سأختصر لك الموضوع وسأدخل فيه مباشرة, قريب زوجي يريد أن يتقدم لخطبتك منذ أن رآك في حفلة زفافنا, ولكنه فضل ألا يذهب لأبي مباشرة ,سيأتي للغذاء معنا بحيث تتعرفي عليه أولا وتحددي موقفك منه

قالت صدفة: من أخبرك أني أريد الزواج الآن

قالت : لم يخبرنِ أحد ولكن من الطبيعي أن يتقدم لخطبتك شخص ما ثم تقررين بعدها

ردت : لم أكن لأرحب بهذه الطريقة

قالت سناء: هو يعلم أنك لا تعلمين شيئا لذلك كوني على طبيعتك وبعدها قرري

كانت تعلم أن رفضها للدعوة الآن وخروجها قد يتسبب في احراج سناء مع زوجها وأهله لذلك لم يكن أمامها ألا خيار واحد ألا وهو الانتظار

استجابت لرغبة اختها ، فقد أرادت أن ينتهي اليوم على خير فغسلت وجهها وأعادت ترتيب ثيابها ,طلبت منها اختها أن تضع بعض مساحيق التجميل إلا أنها رفضت بشدة ,لن أبدو كما لو كنت أتزين له ليراني «جميلة»

أخبرتها سناء أنه يراك جميلة بل يحلم بجمالك

نظرت لها صدفة وهي لا تفهم معنى كلامها

قالت : بالفعل هذا ما أخبرنا به ,عدة شهور مضت على زفافي وهو يكلمني كل يوم ليخبرني أن وجهك لا يغادر عينيه

قالت صدفة : ماذا يعمل ؟

_ يمتلك شركة لتجميد الخضروات

_ خضروات؟ ما مؤهله الدراسي ؟

_تخرج من كلية الهندسة منذ ٥ سنوات وكان قد شارك صديق له منذ فترة طويلة في انشاء شركة لتجميد الخضروات ورفض أن يعمل في مجال آخر بعد تخرجه وهو الآن يدير الشركة بنجاح لدرجة أن زوجي يفكر في الاستقالة والعمل معه

لم تفكر يوما في أن تتزوج بهذه الطريقة ولم تعتقد يوما ان تتزوج سواه فهي أسيرة سعد بامتياز ,هل يمكنها العيش مع غيره؟ ماذا ستفعل في قلبها حينئذ ؟ إلا أنها لا تملك خيارات اخرى غير أن تقابله من أجل اختها

بعد قليل دق جرس الباب توجه زوج اختها نحو الباب ليفتحه,سمعته يرحب بقريبه ويتوجها صوب غرفة الصالون رفضت صدفة أن تدخل إليه وقالت لاختها سأعد معك المائدة وألتقي به على الطعام أولا ثم نكمل حديثنا بعد الغذاء ,وافقت سناء وبمجرد انتهائهما من اعداد المائدة أخبرت زوجها بان الطعام جاهز ..

دخل زوج سناء يتقدم قريبه ويفسح له المجال ,كان في نفس طوله

تقريبا قالت «صدفة» في طول سعد تقريبا ولكنها عنفت نفسها بشدة ,انسيه وابدئي من جديد ..
تعمد زوج اختها أن يجلس قريبه في مقابلها حتى تتمكن من رؤيته بشكل جيد ، توقعت صدفة أن صاحب شركة لتجميد الخضروات سيكون بدينا وقصيرا ويمشط شعره بكمية وفيرة من «كريم الشعر» إلا أن الجالس أمامها كان خلاف ذلك تماما ,شاب وسيم إلى حد ما تميل بشرته إلى اللون الأبيض الا ان الشمس تركت أثرها عليه ,لديه عينان واسعتان عسليتان وشعر خفيف لم يؤثر في وسامته وجه حديثه لصدفة بتلقائية كأنه يعرفها من فترة طويلة :ما أخبارك في معهد اللغات ؟
أدركت أنه يعرف عنها أشياء كثيرة أجابت : اجتزت دورتين وسأستمر في الثالثة ولدي عرض للعمل في مكتب ترجمة
ردت سناء بسرعة : وهل تحتاجين للعمل ؟
ضحكت صدفة وقالت : نفس السؤال الذي طرحته أمي عندما فاتحتهم في الأمر
رد «محمود « : هل نعمل فقط لأننا نحتاج المال ,لو أنصفنا في بعض الأحيان يتوجب علينا أن ننفق مقابل أن نعمل
كان رده مفاجئا لها فلم تتوقعه أبدا ثم قالت : بالضبط يا أستاذ محمود أنا أحب هذا المجال ولن أتعب أبدا لو واصلت الليل بالنهار وأنا أعمل فيه
حاولت سناء أن تشرح وجهة نظرها و بين كل عبارة وأخرى تنظر لزوجها وتسأله أليس صحيحا؟ فيوافقها الرأي بإشارة من رأسه وطريقة ساخرة تجعلهم يضحكون ,انتهى الغذاء الذي لم تتوقع صدفة أن يكون جيدا وأن يمر بهذه السلاسة
انتقلوا جميعا إلى الصالون وجه محمود حديثه لصدفة : هل تحبين مجال الترجمة ؟

توجهت إليه بكل ملامحها وهي تتكلم في حماسة أحب قراءة الأدب وأغوص في الروايات أعيش كل تفاصيلها حتى أني أبكي وأشعر بالوحشة عندما تنتهي .
وعرض علي جارنا أن أعمل معه في مكتبه وأخبرني ان المترجم كاتب ثان للرواية يضفي عليها من خبراته وروحه وثقافته وتوقع لي نجاحا في هذا المجال ..
نظر إليها فشعر بطفولتها وبراءتها وهي تتحدث بتلقائية وحماسة يفتقدها اقرانها كثيرا وقال في نفسه لقد كنت محقا عندما شعرت انها مختلفة ..
فقال: عندما أقرأ رواية مترجمة أشعر أن روح المترجم تسري في النص فإن كانت حاضرة التصقتُ بالرواية حتى انتهيتُ منها أما اذا كانت غير ذلك فمن الممكن ألا أتم الكتاب
أعجب تعليقه صدفة فقالت : هل تحب القراءة ؟
أجاب : لا صمت قليلا ثم تابع بل أعشقها
وماذا قرأت : سألته؟
سرد لها مجموعة كبيرة من المؤلفات العالمية والعربية وعلق على بعضها ونصحها ببعض الروايات لم تكن قد قرأتها بعد
نظرت له وهي تتساءل في داخلها متى سيُخرج من جيبه كيس «البامية» و» البسلة» ؟ فلا تدري لم توقعت عندما أخبرتها اختها عنه أنه لن يتكلم إلا في الطعام والخضروات والمجمدة والمطبوخة ولا باس ان أخرج من جيبه عدة اكياس من الملوخية» وكأنها توقعت أن تتحول ملامحة لـ « طبق اليوم» واذا ذكر كتابا فسيكون كتاب « أبلة نظيرة» إلا ان الحوار دار بشكل مختلف تماما عما تخيلته
استأذن «محمود « وانصرف ,سحبت سناء اختها إلى داخل الغرفة لتسألها عن رأيها فيه

قالت «صدفة» : الحقيقة لم أجد به عيبا
ابتسمت سناء ابتسامة عريضة وقالت : إذا موافقة !
قالت «صدفة» : لا ،أقصد لا أدرى ,اختي حبيبتي اتركيني قليلا لأفكر وسأرد عليك
ذهبت صدفة إلى بيتها مشتتة الأفكار ، لا تدري ما الذي يحدث معها ,كانت تتوقع أن تجد سببا كافيا لرفض «عريس» اليوم إلا أنها لم تجد مبررا لرفضه أمام نفسها قبل الاخرين
وضعت رأسها على وسادتها وهي تحاول أن تجيب على كل التساؤلات التي ترد بخاطرها خاصة عندما سالت نفسها لماذا ترفضين يد خالد الممدودة لك ؟
اجابت على سؤالها : إن خالد يعلم حقيقة حبي لسعد ويدرك ان قلبي ليس له فكيف أمنحه بقايا مشاعر ,وحتى ان جاء اليوم الذي أنسى فيه حبي وأتخلص من ذكرياتي فإن خالدا سيُرجع أي شاردة مني لذلك الأمر ووقتها لن أتحمل نظراته التي ستفتش عن سعد في كل ركن أو زاوية بذاتي ، أنا أريد أن أحافظ عليه كصديق ,أي محاولة للانقلاب على هذه الصداقة ستؤدي في النهاية إلى خسارته
هل تعتقدين أنه سبب كاف ؟ سألت نفسها ثم تابعت على الأقل حتى الآن أجده كافيا فلا ضمانات للحب في هذه الحياة كما انه لاضمانات للاحب ايضا ، هي خطوات لابد أن نطرقها نتعثر قليلا أو كثيرا في ذيل أشواقنا ,توقفنا عثرات الحنين وزخات مطر الغائبين حينما تلجأهم دقات قلوبهم إلى مرفأنا ذات ليلة قمرية عشقية ,كم أنت عنيدة يا صدفة ؟ وبخت نفسها ,ترفضين يد الحب الحانية الممدودة نحوك ,إن خالدا وطنا وليس منفى كسعد .أجابت وهي لا تقاوم دموعها أخشى خسارته أريده متكئا وظلا ,أخشى ضياعي وضياعه في ظلمات سعد فحبي له لعنة لُعنت بها

منذ طفولتي ولا أريد أن أبرأ منها فكيف يانفسي ترتضي أن تكوني عقابا لخالد ,أم ان لعنة سعد ستصيبني وخالد أيضا
وماذا عن «محمود « هل سترفضينه ؟ اجابت فلتعلمي يا صدفة أن اطلاق سراح قلبك للارتباط بمحمود او بشخص يشبهه هو بمثابة دفن لمشاعرك تجاه سعد وستكون وقتها كالجمر تحت الرماد ,مشتعلا دوما لكن لا أحد يراه ,كما أنك تجمدين مشاعرك نحو خالد ,تذكرت شركة تجميد الخضروات فابتسمت.
أن محمود مختلف تماما عن أي من تقدموا لخطبتي حتى الآن قالت في نفسها ، أشعر أنه تقدم لي لأنه أرادني أنا تحديدا ,منظم في افكاره ,منمق في حديثه له اطلالة جيدة وابتسامة طفولية,طموح وأنا أعشق الطموح ,مثقف فقد كان الحديث معه جذابا ممتعا ,لكن شيئا ما يحول بيني وبين أي قلب يطرق بابي ,فمازالت أعشقه ,هل سأدفع ثمن اندفاعي واختياري الخاطئ من البداية بأن يوصد قلبي على «سراب» لا أ دري حتى الآن ,ليتني لم أهواك ,لمن أشكوك يا عمري ؟
كلي اشتياقُ لئن أعود إليك رغم كل ما حدث فأنت تملك قلبا نابضا بين جنبي إما أن تأخذه وتتركني أو تعود إلي.
عليكِ أن تأخذي وقتك في التفكير جيدا .

كان سعد قد أخذ زوجته في اليوم التالي للعرس وتوجه إلى مدينة « الأقصر « حيث قررا أن يقضيا « شهر العسل « هناك وما إن وصلا إلى الفندق حتى وضعت اماني حقائبها وأخذت حماما وغيرت ملابسها واستعدت للخروج ووقفت تنتظر سعدا وهي تتراقص على أنغام الموسيقى الصادرة من « الووكمان « الخاص بها ,وقف أمامها وهو يتأمل ملابسها بشيء من الذهول المختلط بالاستنكار فقد كانت ترتدي «شورتا» قصيرا جدا وتي شيرت بلا أكمام ينتهي

طوله قبل بداية الشورت مما يظهر جزءا من جسدها اذا ما تحركت ، وحذاءا رياضيا أما شعرها الجريء القصير فكان يداعب أذنيها ,كانت ملامحها إذا تعانقت كونت وجها جذابا مثيرا ,لا تحاول أن تفصل كل ملمح عما بجواره وإلا ستفسد تلك اللوحة الجميلة

سألها :هل ستخرجين بهذه الملابس ؟

قالت وهي تتمايل على أنغام الموسيقى : أكيد

لم تنتظر أن يرفض أو يوافق فقد اتخذت خطواتها مسرعة خارج الغرفة وهي مازالت ترقص ، أراد أن يلفت نظرها لكونها مصرية وليست سائحة اجنبية ولكنه تذكر أنها انفصلت عن زوجها السابق لهذه الأسباب وانها وافقت على الزواج منه لهذه الأسباب أيضا

خرج سعد وهو مشتت الذهن كان يعتقد أنه بدأ حياة الاستقرار النفسي وأن أيامه لن تحمل إلا السعادة بين طياتها لكنه لا يعلم لماذا يرفض خروجها بهذا الشكل أمام الناس ,تذكر أخر حوار بينه وبين صدفة وكيف امتدح فيه طريقة ملابسها لدرجة أثارتها وكيف رفضت ذلك التحرر الذي يخالف الدين وماذا كان رده وقتها .

توجها الاثنان إلى «مركب نيلية ,أخذا مكانهما بين الراكبين أراد سعد ان يجلس في تراس بعيدا عن الجميع لينعم بلحظات هدوء مع عروسه التي رفضت وفضلت أن تجلس في وسط مجموعة من الشباب المصريين والأجانب فجلس مضطرا إلى جوارها ,وما إن انطلقت المركب حتى ارتفعت أصوات الموسيقى وغناء الشباب وتصفيقهم ,قامت احدى الفتيات بالرقص وسط المجموعة وسرعان ما أصبحا اثنان في الوسط يرقصان ,نظر سعد جيدا فوجد زوجته هي الثانية ترقص في وسط المركب ,كانت المرة الأولى التي يراها ترقص ,توجها الاثنان إلى «مركب نيلية ,أخذا مكانهما بين الراكبين

أراد سعد ان يجلس في تراس بعيدا عن الجميع لينعم بلحظات هدوء مع عروسه التي رفضت وفضلت أن تجلس في وسط مجموعة من الشباب المصريين والأجانب فجلس مضطرا إلى جوارها ,وما إن انطلقت المركب حتى ارتفعت أصوات الموسيقى وغناء الشباب وتصفيقهم ,قامت احدى الفتيات بالرقص وسط المجموعة وسرعان ما أصبحا اثنان في الوسط يرقصان ,نظر سعد جيدا فوجد زوجته هي الثانية ترقص في وسط المركب ,كانت المرة الأولى التي يراها ترقص ,تدفقت الدماء في عروقه حتى اشتم رائحة احتراق اعصابه أراد ان يمنعها لكنه علم عاقبة ذلك التصرف فسكت

سار المركب في النيل لمدة ساعتين كاملين ثم عاد مرة أخرى إلى مكانه

نزل سعد ممسكا بيدها يريد أن يستمتع بكل لحظة معها لكنه يخشى أن تكون تصرفاتها كلها على هذا النحو وقد لا يتحمل ذلك عندما عاد إلى الفندق طلب العشاء بغرفتيهما وأثناء تناول العشاء أخبرته أماني عن برنامج اليوم التالي وهو الذهاب إلى مدينة «أسوان » من خلال فندق عائم سيمر بـــ « ادفو - كوم أمبو –وصولا إلى أسوان وأن المركب ستنطلق في الثامنة صباحا

سألها وهو لا يريد أن يبدو جادا : هل سترقصين غدا أيضا ؟

سألته : ألم يعجبك رقصي؟

قال : أعجبني حتى أني أردت ألا يشاهدك أحد غيري

قالت: هذه أنانية ورجعية لم أعهدها فيك ,وكأنها ألقمته حجرا في فمه ,فهي تخبره بمعتقده في الحياه وتؤكد له أنها ما وافقت عليه إلا لكونه متحررا بلا عقيدة

في الصباح ارتدت أماني «شورت» أقصر من الذي قبله رغم أنه لم يعتقد أبدا أن هناك أقصر مما رآه بالأمس وتي شيرت بدون أكمام مربوط على وسطها مما أظهر جسدها بشكل أكبر من الأمس

ورفعت شعرها بنظارتها الشمسية وأخذت حقيبتها وانطلقت معه ,شعر أنها ترسي قواعدها ، كما لو كانت تتبع معه خطة معينة بأن يصبح كل شيء واضحا من البداية وان عليه ان يتقبل ذلك وبمجرد الدخول إلى المركب التي كانت عبارة عن فندق عائم تسلم كل راكب مفتاح الكابينة الخاصة به ,أراد ان يأخذها إلى الكابينة قبل أن تذهب إلى وسط المركب وتنضم لمجموعة الشباب هناك إلا أنها رفضت وسحبته من يده إلى وسط المركب ظلا هناك وسط الشباب حتى وقت الغذاء تناولا الغذاء وعادت به مرة أخرى إليهم حتى الساعة السادسة مساءا ثم أخبرته بأن عليهم الذهاب للكابينة حتى يرتاحا قليلا استعدادا للعشاء الراقص

فتح سعد فاه وهو يتخيل كيف سيكون شكل العشاء الراقص ؟ وماذا كان الغذاء إذا كان العشاء هو الراقص ؟!

ثم قال لها : وماذا عن الغذاء ألم يكن راقصا ؟

قالت : الغذاء رقصت وحدي أما في العشاء سنرقص سويا

قطب جبينه وقال : أنا لا أرقص أمام الناس

ابتسمت وقالت : ترقص بعيدا عن الناس اذا؟ ثم تابعت سنرقص سويا

في المساء ارتدت أماني ثوبا أزرقا يناسب العشاء مكشوف الظهر والاكتاف طويل للأرض الا أن له فتحة أمامية تصل إلى أعلى الفخذ وكأنها أقسمت ألا ترتدي ما يستر فخذها طوال الرحلة ,جلست على طاولة تتسع لأكثر من فردين تتوسط القاعة وسرعان ما بدأت تدعو إليها بعض ممن تعرفت عليهم أثناء فترة الظهيرة ,تتكلم وتضحك بصوت مرتفع ,يحاول جاهدا أن يضحك معها إلا ان شيئا ما يحول بينه وبين ذلك ,فتأتي ابتسامته باهتة غريبة ليس لها أي معنى

يريد أن يتجاوز منطقة الخلاف بينهما ليستمتع بها حيث وجد

أن الجميع مستمتع بها إلا هو ,هو الوحيد الذي لا يسعد بأوقاته كاملة معها

شرد بقلبه بعيدا عن الفندق العائم وعن الطاولة التي تتوسط القاعة واستقر هناك في مكان ما اشتاق لرائحته ورسمه وكل تفاصيله ,كان يريد أن ينسى ,توقع أن تنتزعه زوجته من ذكرياته لا أن ترده إليها فتغمسه فيها مرة أخرى وكأن كل النساء من حوله «هي» يراها في وجوه الجميع ,وكأن كل الأصوات صوتها ، لا تنسيني همس لها في سره ,وهل يكون القلب قلبك يا صدفة إذا لم اكن حارسا له قيما عليه ,لا تنزعيني من روحك فأنا بدونك بقايا قلب ,ثم همس ثانيا « أحبك» لعلها تسمعها ,لعل حروفه تطير إليها وتعود حاملة إياها أو نفحة من رحيقها
كانت الفرقة الموسيقية تعزف أثناء العشاء إلا أن ألحانها ارتفعت أكثر بعد العشاء انتهى الركاب من تناول الطعام وبدأوا بالتصفيق على أنغام الموسيقى ,ارتفعت الصيحات بالمرح والدعابات أثناء العزف ,قام أحد الشباب الموجودين معهم على الطاولة ومد يده لأماني لتشاركه الرقص فقامت معه دون الالتفات إلى سعد توسطت القاعة وبدأت ترقص مع الشاب كأنها تمرنت مائة مرة قبل أن ترقص على أنغام تلك الأغنية الشعبية قام بعض الركاب والتفوا في دائرة حولهما يصفقون ويهللون بمرح وحماسة شديدين ذهب سعد للمرة الثانية خلال ساعات إلى حيث يقبع قلبه وتذكر صدفة يوم عرس اختها ,كيف بدت هادئة جميلة رغم أن عددا من صديقاتها تناوبن الرقص على أنغام الفرقة الموسيقية إلا انها لم تفعل ,بدت وقتها كملاك هبط من السماء لانجاز مهمة ما قبل أن يعود سريعا ,لا يا سعد مازال الوقت مبكرا للتذكر «صدفة « هل جننت؟ اذا ذكرتها بعد زواجك بيومين في اليوم عدة مرات ماذا

ستفعل بعد عام من الآن ؟إلا أنه وجد نفسه دون شعور يسأل نفسه يا ترى أين هي الآن ,وقبل أن يهمس أحبك انتبه لانزلاق الحروف على لسانه فامتنع عنها .
استيقظ سعد في اليوم التالي متأخرا قليلا قام من فراشه ونظر حوله فلم يجد أماني ,توقع أنها في « الحمام» ذهب وطرق الباب إلا أنها لم تكن موجودة
فاعتقد أنها قد سبقته إلى الافطار في بهو الفندق ,ارتدى ثيابه ونزل للبهو لم يجدها ,اخذ كوبا من القهوة وخرج من البهو يبحث عنها ,اتصل على هاتفها النقال لم ترد ,شعر بالقلق تجاهها أين ذهبت ؟ ظهر أمامه الشاب الذي كان يراقصها أمس في العشاء سأله عنها على استحياء فأخبره بوجه مبتسم طلق أنها هناك في حمام السابحة أخر الممر على اليسار
ذهب إلى حيث أشار الشاب دخل الى مكان حمام السباحة استقبلته أماني مرحبة بإشارة من يدها حيث أخذت تلوح له وتدعوه لمشاركتها ، لم يحضر معه ملابس السباحة ,فاقترب من الحوض وهو يبتسم لها إلا ان ابتسامته بدأت تتلاشى شيئا فشيئا حيت لاحظ أن ملابس السباحة الخاصة بها من قطعتين كاشفتين لكل جسدها تقريبا ,لقد كان الماء يغطي جسدها فلم ينتبه لها الا عندما اقترب كما أنها بلون الجلد تقريبا ,ما هذا الذي ترتدينه ؟ بل ما هذا الذي لا ترتدينه؟ تأكد سعد عندما لمح نظراتها إليه أنها تكشف أوراقها كاملة لتبدأ معه على أساس وألا تترك شيئا للغد ,كما لو أنها أرادت أن تصرخ في وجهه هذه حياتي ولن أفرط في حق واحد مما وافقتني عليه قبل الزواج ولتعلم أنني ما انفصلت عن زوجي السابق إلا لهذا السبب وما تزوجتك الا لهذا السبب
وقف على الحوض وابتسامة تُكبل شفتيه كأنها خطاطيف فلا

هو قادر على اطلاقها ولا ابتلاعها لا يريد صداما معها ويعلم أنها محقة في تلك النظرات والأفكار التي يلمحها في عينيها فأنا تحررت من أكبر شيء الدين ,فلماذا امانع في تحررها الأدنى منه
تذكر حواره مع صدفة حينما وصفته بالمتناقض وسخرت من عقله الذي يحمله في رأسه
اغربي عن وجهي يا صدفة لا أريد أن اسمع صوتك بعد اليوم ولا أن اردد أسمك مرة أخرى ، خرجت زوجته من الماء ونفضت الماء عن جسدها العاري وبادرته بقبلة على شفتيه ,بادلها القبلة وهو منصرف عنها تماما ,تذكر أول موعد له مع القبلة وذلك يوم زفافه ,لا يريد أن يتذكر هذه اللحظات بل يتمنى أن يمحيها من وجدانه حينما اقترب من عروسه ليقبلها «القبلة» التي كان يحلم بها والتي تحول شفتيه من أداة للأكل والكلام إلى قلب مستعر ، إلا أنه عندما لامس شفتيها وجد نفسه هناك عند الصغيرة التي تقبع تحت الطاولة وتحادثه بصوت منخفض كي لا يستيقظأحد ، أدرك أن القبلة التي يتمناها لن يحصل عليها من تلك الشفاة التي بين شفتيه الآن ولكن من صغيرته التي كبرت بين يديه ,وحدها من كان يمكنه أن يفض عذرية شفتيها,فالعذرية ليست في ذلك الجسد المسجى وبضع من قطرات الألم والرغبة, يستطيع أي منا أن يحصل على عذرية الجسد يعيش الرجل لسنوات يتزوج النساء وينجب الأبناء ويموت ولم يعرف طعم القبلة الحقيقية تلك التي اجتمع فيها قلبان فاندمجا حتى أصبح من الصعب أن تفرق بين أي منهم
وقد تعيش المرآة وتتزوج وتنجب وتموت ومازالت شفتيها عذراء
فالقبلة هي تلك النشوة التي تدفعك للاقبال والاقدام أكثر وأكثر,تلك التي يذوب فيها العاشق بين يدي معشوقه لا يدر كم مضى من الوقت وهو مازال ينهل من شفتيه ويلثم وجنتيه يرتوي

من ترياق الشوق حتى تلهث أنفاسه ,ليس كل ملامسة للشفتين قبلة وليست كل قبلة تمنحها بائعة هوى أو مشتر له تسمى قبلة ، وحدها القبلة يجب أن تبقى بعيدا عن تلك العملية الجسدية لا يجب اقحامها فيها ولا تصنيفها من ملحقاتها فان لم أتذوق قلب معشوقتي وأنا أقبلها فلا حاجة لي إلى قبلتها ولا إلى شفتيها ,وحدها صاحبة الشفاه العذراء كانت قادرة على فعل ذلك وهي تمنحني شفاه خجولة مرتعشة من فرط الشوق .

أخذها من يدها ومضى .

كان برنامج الرحلة لليومين التاليين كالاتي : زياره أهم معالم البر الغربي وادى الملوك ومعبد الملكة حتشبسوت «الدير البحرى» ، الابحار الي

إدفو . (إفطار - غداء - عشاء - المبيت علي المركب)

اليوم الثالث :- زيارة معبد إدفو، الابحار الي مدينة كوم امبو وزيارة معبد كوم أمبو ، ثم الإبحار إلى مدينة أسوان

(إفطار - غداء - عشاء - المبيت علي المركب).

اليوم الرابع :- المغادرة من المركب بعد الإفطار، ثم التوجه لزيارة أهم المعالم السياحية وهى السد العالي

والمسلة الناقصة ومعبد فيلة. (إفطار - غداء - عشاء - المبيت علي المركب

حاول سعد خلال الرحلة أن يتعايش مع تصرفات أماني التي تعلنها بلا خجل وتقرها كل يوم لتصبح دستورا عليه أن يوافق عليه وإلا فإن مصير زوجها الأول في انتظاري

انتهت الرحلة وعادا الزوجان إلى بيتهما وعملهما

بدأت صدفة العمل مع خالد في مكتب الترجمة يومان في الاسبوع دوام كامل ويومين دوام مسائي ,كان المكتب قريبا من الجامعة في الطابق الثاني من عمارة على ناصية شارع تجاري مكون من ثلاث

غرف وغرفة استقبال ,أول مرة تدخل فيها لمكتب ترجمة كانت تتوقع أنه مشابه لأي شركة أو مكتب حكومي ,الا أنها وجدت أمرا مختلفا ,فقد وجدت كيف مزج خالد بين الفن والترجمة
في غرفة الاستقبال كراسي جلدية في وسطها طاولة زجاجية تحولت الجدران إلى درجات سلم تعلو وتنخفض في تداخل عجيب تراصت على هذه الدرجات كتب كثيرة جدا بطريقة مذهلة وكأنك في مغارة الكتب ,شكلت المجلدات حين تراصت لوحة فنية على شكل رجل يكتب وقفت تتأمل اللوحة وهي تسأل نفسها كيف أمكنه أن يضعها بهذه الحرفية ,الأرض كانت من الخشب غير مغطاة لكنها نظيفة ولامعة حتى تظنها مفروشة بالحرير,جلست فتاة أكبر منها على مكتب بني لتستقبل الزائرين وترتب مقابلتهم مع خالد
قادها خالد إلى غرفة مكتبه والتي لم تقل في روعتها عن غرفة الاستقبال ,مكتب كبير في المقدمة وعلى الجدار خلف المكتب لوحة كبيرة من ألوان بنية وصفراء وزرقاء تعطي ايحاءا بأن ثمة رجل يُفكر خلف سحابة من الضباب وعلى جانبي المكتب مكتبة ضخمة تضم العديد من الكتب وعلى المكتب يرقد جهاز كمبيوتر بجوار بضع كتب وأوراق
أثنت على ذوقه العالي في اختيار اثاث الغرف ,قادها إلى غرفة أخرى بها أربعة مكاتب على كل مكتب جهاز كمبيوتر ومجموعة من الكتب والأوراق ,أخبرها ان بها ٤ من زملائه يعملون معه ثم أخيرا قادها لغرفة مكتبها حيث خصص لها غرفة مثله

دخلت صدفة الغرفة فوجدتها مطابقة تماما لغرفته إلا ان عدد الكتب بالمكتبة في غرفتها أقل بكثير ,ضحك وقال مع الوقت ستمتلئ مكتبتك بالكتب أيضا ثم عرفها على طريقة العمل

وطلب منها أن تتعرف على مكتبها وبقية الغرف و»سمية» فتاة الاستقبال التي تتلقى الأبحاث والشهادات التي تحتاج إلى ترجمة وتنظم المواعيد حتى ينتهي من بعض أعماله قبل أن ينصرفا تركها وحدها في غرفتها ولم ينس ان يغلق الباب عليها ,توجهت إلى المكتب وجلست على الكرسي تتأمل جهاز الكمبيوتر الموضوع أمامها ,لم تمتلك واحدا من قبل ونظرت للهاتف الموجود على المكتب ,هاتف لي وحدي هكذا حدثت نفسها ,في امكاني الآن أن أستغنى عن هاتف المحامي للأبد ,ثم تذكرت أنها بالفعل استغنت عنه للأبد ,يا ليتك معي حتى أخبرك عن مكتبي وهاتفي والكمبيوتر الخاص بي وهذه المكتبة والكتب ,أريد أن أقرأهم لك واحدا تلو الآخر ,هل تعلم أن فتاة الاستقبال بالمكتب اسمها «سمية» وأن الأرض غير مغطاة وأن ثمة لوحة كبيرة خلفي لرجل يبدو وكأنه يقرأ خلف سحابة من ضباب ، أين أنت فقد اشتاقت نفسي لنفسك ؟أفتقدك حد البكاء ,هل استعذبت فراقي؟ إنني هنا باقية على العهد لن احيد

بعد قليل طرق خالد الباب ودعاها للانصراف من المكتب حتى لا تتأخر ,على أن تأتي في اليوم التالي من بدء الدوام الرسمي للمكتب في الثامنة صباحا

ذهبت صدفة لبيتها فرحة وكأنها امتلكت الدنيا وما فيها وظلت تحدثهم عن المكتب والكتب والكمبيوتر والهاتف الخاص بها ,كانت سناء عندهم في البيت فأخبرتها عن كل شيء بالتفصيل ودعتها للذهاب معها لترى المكتب في اليوم التالي صباحا

ذهبت هي وسناء في الصباح حيث مكثت معها قليلا وتعرفت على خالد الذي كان هذا أول لقاء يجمعهما سويا فلم تنتبه له يوم عرسها ، ثم همست في أذن اختها قبل أن تتركها وتذهب : هل هو معجب بك ؟

احمر وجه صدفة خجلا ونظرت لأختها معاتبة كانت تخشى أن يلمح خالد شيئا من نظراتها ,وقد كانت محقة فلقد أدرك خالد أن سناء ستسالها عنه ,الا أنه تركهما وانصرف ليكفيهما الحرج

انهمكت صدفة في التعلم كانت متحمسة لمعرفة كل شيء وبعد الظهيرة بحوالي ساعة طرقت سمية بابها وأخبرتها أن ثمة ضيف يريد أن يقابلها ف ,فتحت الباب لتجد محمود يدلف من خلاله ,وقف أمامها بابتسامة جميلة مهذبة وقال : علمت أنك أصبحت أستاذة كبيرة ولديك مكتب فأردت ان أهنئك قبل أن يزداد معجبيك وقرائك فلا أتمكن من الوصول اليك

قالها وهو يضحك ويتقد إليها بضع خطوات

وقفت وحييته ورحبت به وأشارت للمقعد أمامها: تفضل

جلس وهو ينظر إليها لم تستطع ان تبادله النظرات فقد كانت خجلي منه ولا تعرف لماذا أتى إلا أنه اسرع قائلا: أردت أن أهنئك هذا اولا وثانيا أردت أن أفاتحك في أمر يخصنا

ردت في صوت خفيض : أخبرتني سناء

قال: أعرف أنها أخبرتك لكن كان علي ان أتقدم بنفسي ولولا أنك اخت سناء لكنت توجهت اليك مباشرة يوم العرس وسألتك هل تقبلين بالزواج مني

قالت: هكذا دون مقدمات

قال: لم اعتد أن يتدخل أحد في شئوني ولو كان الأمر لي وحدي ما تدخل أحد ,لذلك أردت ان أعيد عليك الطلب مرة ثانية وأخبرك أني مستعد لأي سؤال

لا تدري لم شعرت صدفة ان طريقته أعجبتها وأنه يمتلك شخصية مميزة قد يكون زوج مناسب لكن ماذا تفعل بسعد ؟! أي سعد يا صدفة ! هل جن عقلك! لقد تزوج ,لكنه لي ,حتى وان امتلكتِ قلبه لن يكون ملكا لك بل ملكا لزوجته ,ما أقساك يا سعد لقد

حرمتني نفسك وحرمتني خالدا ذاك الشخص الحنون الذي أرسله القدر إلي ، لا ياصدفة لم تُحرمي أحد قد يعود إليك سعد وقد تغيرين رأيك في خالد لماذا تحجرين على نفسك وتضيقي عليها ؟ سألت نفسها ثم أجابت أفعل ما أراه صحيحا

قطع « محمود « الصمت وسألها : متى ستصدرين قرارك

أجابت : اليوم فقط أبدأ في ممارسة العمل الذي أحبه كما أنني لم انته بعد من دراستي فمازال أمامي عام كامل لا أريد أن أتخذ قرارا في عجالة يظلمني أو يظلم أحدا معي

رد في هدوء : أوافقك الرأي رغم أني أستعجل الأيام لأعرف ماهو جوابك ؟ وكم أخشى أن يكون قاسيا ولذلك أفضل البقاء في منطقة الانتظار لفترة أطول على أن انتقل إلى لائحة الرفض مبكرا, ثم ابتسم متابعا على الأقل لازال هناك أمل

« لازال هناك أمل إذا لازالت هناك حياة»

جميل أن نبقى أحيانا على جبل الانتظار ,نتلصص أخبار العاشقين,نشم رائحة الشوق التي تنبعث من خلف أبوابهم ,نسترق السمع لصوت الحنين يقطع أوصالهم نبتسم لهم دون أن يشعروا بنا فهم في عالمهم ولكننا نصرخ لعل صوتنا يصل إليهم أن افسحوا لنا مكانا بينكم ,ومن طرفي خفي نرفع أبصارنا تجاه المبعدين عن رحمة الحب هناك خلف هذا الباب الحديدي الموصد بسلاسل من ألم ووجع ,تتهادى إلى أسماعنا أصوات ارتطام دموعهم بقسوة قلوب محبيهم ,وبعض من نحيب ,وآه مكتومة وقعت تحت أقدام قلوب اعتصرها البعد والألم والفراق .

عاد « سعد» وعروسه من شهر العسل ، وفي اليوم التالي وقفت أماني أمام المرآة ترتدي ثيابها استعدادا للذهاب إلى العمل وبعد أن ارتدت ما اعتادت دوما أن ترتديه « ماقل من الثياب» وكان اليوم الأول في العمل وهما زوجان أرادت أن تتألق أكثر وكان التألق

في نظرها مزيدا من التكشف ,اقترب منها وهمس في أذنيها قائلا: اغار عليك
ابتسمت وقالت : مِن مَن ؟
قال : من كل ذي عينين
أجابت : ولكنه ضد ما تعتقده وسحبت حقيبتها وسبقته إلى باب الشقة ، انقاد وراءها فلقد كانت كلماتها كافية لانهاء الحوار,في الحقيقة هو ضد ما اعتقده يا أماني ولكنه من المفترض أنه ليس ضد ما تعتقديه انت ، فإن كنت كفرت بما تؤمنين به فهذا لا يعطيك الحق أن تفعلي ما تريدين طالما لازلت تؤمنين بما اكفر به.
وصلا إلى العمل واستقبلهما الزملاء مهللين ومهنئين ,مرددين نفس العبارات الغابرة التي يمقتها سعد ويشعر انها تصيبه بالغثيان والتي يذكره فيها البعض بنصائحه الذهبية التي طالما قدمها له كي يتزوج وكيف أن الزواج رائعا ,وكيف كان ينقصه نصف دينه على الرغم أنهم يعرفون أنه فاقد لدينه كاملا .
انتهت فقرة التهنئة وانصرف كل منهما إلى مكتبه.
اقتربت اماني من سعد قائلة : سأستأذن من العمل كي استعد للحفل ليلا
نظر إليها وعينيه تشعان براءة وجهل : أي حفلة ؟
قالت: أصدقائي وصديقاتي وبعض أقاربي سيأتون إلينا في المساء لتهنئتنا وعلي الاستعداد من الآن
سألها : هل أصحبك إلى البيت ؟
أجابت لا فأنا سأذهب لشراء العديد من الأشياء أولا
أعطني مفتاح سيارتك ,ناولها المفاتيح وهو كالمنوم مغناطسيا .
في المساء بدأ أصدقاء زوجته يتوافدون واحدا تلو الأخر حتى امتلأ البيت تماما بالناس ، لم يبق موضع قدم في بيته لشخص آخر حتى

تلك الغرفة المخصصة للأطفال في المستقبل جلس على سريرها فتاتان اعمارهما مابين العشرين والثلاثين وعلى الأرض جلست فتاة أخرى تتحدث إلى شاب في نفس عمره تقريبا,تعرف عليهما بعد ذلك فهم بنات خالتها وابن خالتها هذا الذي يقاربه في السن خشي ان يدخل الحمام فيجد فيه أشخاص ، كان الحفل سامرا ساهرا لقرب الفجر تقريبا ,ينظر سعد كل دقيقة لساعته ويسأل نفسه متى سينصرف هؤلاء

ومع أذان الفجر انصرف الجميع ماعدا ابن خالتها وأخواته ,جلسا براحة على الأريكة وكأنهم لا يفكرون أبدا في الذهاب

قال «إيهاب» ابن خالتها وهو يضع ساقا على الأخرى : أنا سعيد جدا أن ابنة خالتي عثرت على زوج مثلك فهي تستحق كل خير

لم يحدد «سعد» نوع الخير الذي يقصده إيهاب ولكنه ابتسم وشكره وهو غير قادر على فعل أكثر من الابتسام خاصة ان الوقت تأخر وأوشكت الشمس على الإعلان عن نفسها محتضنة العالم بأشعتها بعد ساعات الغياب الطوال ,إلا أن الجالسين أمامه لم يبد عليهم أي أثر للنعاس ولا لنية في المغادرة ,تذكر والدته حينما كانت تضطر للتثاؤب أمام الضيوف اذا ما أفرطوا في السهر عندهم ,وهذا الإفراط لم يكن ليصل أبدا للعاشرة مساءا

تعال يا أم «سعد» وتثائبي هنا وأحضري معك عددا من الموتى يتثاءبون معك لعل أحدهم يتزحزح من مكانه .

احضرت أماني مزيدا من العصير وما إن رأى سعد العصير بين أيديهم حتى زاغ بصره واختنقت العبرات في حلقه فقد أدرك أن مازال أمامهم وقت ، جلست أماني على يد المقعد الذي يجلس عليه إيهاب ,كان تصرفها صادما إلا أن يد أيهاب التي استقرت على فخذها يربت عليه ويشكرها على هذه السهرة الجميلة

لم تنزعج ليده ولم تنتفض ولم يراع هو شعوره وكانه غير موجود

بالمرة ، أدركت أماني ما يدور برأسه ,فقالت ، إيهاب تربى معي كأخي ,لم يكتف إيهاب بما قالته أماني ولكنه تابع موضحا ماخفي عن سعد وكأنه أراد أن يثور ليطالب بحقه فيها قائلا : أردت خطبتها ولكن والدها رفض بشدة بسبب كرهه لأبي واتهامه له بالسرقة قبل فض الشراكة بينهما واعتبرني راغبا في سرقة ابنته كما سرق والدي ماله من قبل

نزلت الكلمات على رأس سعد كقطع الحجارة الصماء فلم يعلق واكتفى بالصمت فهو خير الكلام أحيانا

قطعت ابنة خالتها الصمت قائلة لسعد : قالت لنا أماني أنك ملحد ,فما معنى ذلك ؟

أجاب : ببساطة أنا إله نفسي ولم أجد من يستحق العبودية غير ذاتي

فقالت وقد انتبه الجميع لحديثه : الله يستحق أن نعبده

رد : لم ؟

رد إيهاب : لأنه الله

أجاب سعد : هل تريدون نقاشا حقيقيا أم مجرد إضاعة للوقت؟

قالت ابنة خالتها : بل نقاشا حقيقيا موضوعيا

قال سعد : اذا لم تعبدون الله ؟

قالت لأنه الرحيم

قال : وماذا عن هؤلاء المرضى الذين يملئون المشافي والبيوت يتألمون ولايجدون من يرحمهم سواء بالشفاء أو بالدواء أو على الأقل بالموت ليتخلصوا من آلمهم

قال :إيهاب لأنه عادل

فأجاب هل من عادل يقدم ابنه ليموت فداء لأخطائنا نحن ؟!

ماذا عن من يموتون من الشبع واخرون يموتون من الجوع ؟

لايدري سعد ما الذي يفعله وما هذا الإصرار العجيب في حديثه وكأنه ينتقم لشرفه الذي وضع إيهاب كفه عليه للتو

لمعت في رأسه فكرة وصمم على أن ينفذها
اكمل حديثه موجها كلماته لهم جميعا : هل تعترفون بوجود الله
قالوا : نعم
قال : فلن تعصونه بكل ما أوتيتم من قوة
أماني لا تصلِ وأتوقع أنكم كذلك الله فرض عليكن الحجاب وعلينا غض البصر فهل نفعل ما أمرنا به ؟ ؟
هل تعبدون الها لتعصونه ، على الأقل أنا اعتقد بأنني غير عاص أنه لا حساب ولا عذاب
كانت اول من تكلم أماني : معك حق أنا أيضا من الآن ملحدة
أعقبها إيهاب : وأنا أيضا ملحد
تعجب سعد من تصريح أماني وايهاب كان يعلم أن إيمانهما ليس راسخا وذلك بسبب تصرفاتهما ,لكنه لم يتوقع أبدا سرعة الاستجابة هل كان مقنعا إلى هذا الحد أم أنهما وجدا غايتهما في هذا الالحاد وأنه سيكون مطيتهم في الأيام القادمة لتبرير كل تصرفاتهما ؟.إن أماني ذكية ,خشي ان يكون تصريحها الآن لهدف أما عن تصريح إيهاب فقد كان مقتنع تماما أنه مجرد تابع لابنة خالته
أراد أن يطمئن نفسه بأنه كان مقنعا
ردت ابنة خالتها : نعصي أباءنا ونعلم أننا نعصاهم وهم يعلمون أيضا ,يعاقبونا أحيانا لكن لم يتبرأ كلانا من الآخر ، ما تعتقده ظلما وقسوة في صفات الله لهو كل العدل والرحمة ولكن عقلك قاصر قليل الادراك ثم صمتت قليلا قبل أن تتابع : لربما أني أملك معلومات قليلة عن ديني ولكن حديثك الآن سيدفعني دفعا لمعرفة المزيد .
أما الأخرى فقد اكتفت بالمتابعة في صمت ..
ورغم ذلك فقد فرح سعد بإعلان إيهاب وأماني الالحاد وكأنه انتصر لنفسه في نهاية الليلة

ثم قال في نفسه : سنوات طويلة مضت وأنا أتحدث إلى صدفة ورغم صغر سنها وقلة خبراتها إلا أنها لم توافقني أبدا الرأي وكانت تجادلني الحجة بالحجة ، وتسألني ماذا سيكون رد فعلك إذا وجدت ابنك شاربا للخمر عربيدا فاسقا فاشلا هل كنت لتتركه لنفسه وتبارك أفعاله فأقول لها هذه حياته يختارها كيف يشاء ولكني أسقط مع أول اختبار أرى فيه جسد أمراتي العاري تتخاطفه الأنظار .

ذهبا إلى العمل في اليوم التالي « ملحد « وملحدة» وقد تورمت عينيهما من السهر واحمرت .

******

كانت صدفة تحكي لزميلتها عن عملها في مكتب الترجمة أثناء شرح دكتور الأدب لدرسه فسألتها زميلتها وماذا ستترجمين ؟

قالت صدفة في صوت منخفض : شهادات علمية وأبحاث وكتب وروايات

واذا بزميل يجلس خلفهما يقترب منهما ممازحا : هل من الممكن أن تترجمي لي حلقات « توم وجيري» فأنا مغتاظ جدا من وزارة؟الكرتون « لأنها تتعامل معنا على أننا خريجين جامعة أكسفورد فتتركه بلا ترجمه

ضحكت صدفة وزميلاتها فجأة وضحك زميلهم فأوقف الدكتور ثلاثتهم وطلب منهم أن يخبروه بسبب ضحكاتهم وإلا سيحرمهم من الاختبار

تطوع زميلها قائلا : صدفة تعمل في مكتب ترجمة فكنت أطالبها بترجمة حلقات « توم وجيري» لأن وزارة «الكرتون»تتعامل معنا على أننا خرجين أكسفورد وانتهت اعمار أجيال وراء أجيال وهي ولا تعرف ما الذي يقوله توم لجيري

ابتسم الدكتور وقال لطالبه : من أين أتيت بمسمى بوزارة « الكرتون « هذه ؟

فأجاب الطالب: وهل لا يوجد وزارة للكرتون ؟ كنت أعتقد في وجودها

ضج الطلاب بالضحك وطالبوا برفع طلبهم للحكومة باستحداث وزارة خاصة اسمها وزارة الكرتون ، كما أنهم طالبوا صدفة بترجمة حلقات توم وجيري كمطلب شعبي

****

في مكتب الترجمة قصت صدفة لخالد ما حدث بمدرج الجامعة. ضحك لضحكاتها ثم سألها فجأة عن « محمود « قائلا :لا أسألك عن الشخص الذي زارك في مكتبك في هذا حقك ولكني أسألك عن الشخص الذي اخذ حيزا من تفكيرك وهذا حقي ، ألست صديقا على الأقل حتى الآن ؟

احمر وجها خجلا وهي تجيب : عريس

خفق قلبه وهو يسألها : وهل وافقتِ ؟

أجابت : لا ثم تابعت ولكنه شخص مميز وسردت له تفاصيل لقاءهما الأول والثاني

قال : لم الهرب ؟

_ أي هرب!

_ تفهمين مقصدي جيدا ,أنت تهربين مني وتبحرين بعيدا عني بشراعك فلماذا؟

_ أريدك صديقا وفقط

_ وأنا أريدك أكثر من ذلك ليس لجمالك ولا لصفاتك ولكن لما رأيته في قلبك ,تلك البقعة المتلألئة في أعماقه أريدها كي تنير دربي

_ هذه البقعة ليست ملكي

_واهمة ليس أكثر

_ واهمة ؟

_ ما كنت لأنافس شخصا على قلبك مهما كنتِ ومهما أعجبتني ولكني أرى ما ترفضين رؤيته ولازلت مصمم على البقاء قربك حتى تدركين جيدا حقيقة مشاعرك ، فأنت أبدا لم تحبيه,كان وهما,انبشي جيدا في ذاكرتك وانظري لصورته جيدا لا تدعي ملامحه تحتال على قلبك ولا نعومة صوته لئن تغتال روحك,استخرجيه من باطنك وارفعيه نحو الشمس ثم انظري في أعماقه ,ووقتها ستعلمين أني محقا يا صديقتي

_ كان الحياة ,قالتها والدموع تترقرق في مقلتيها بعدما تذكرت زواجه وذهابه بعيدا عنها

_ أنت الحياة يا صدفة ,أنت من تمنحين الحياة بحبك

_ لهذا الذي تقوله أفضل أن ابقي على مسافة الصداقة بيننا فسنفسدها إذا تجاوزناها لغيرها

_سأنتظرك حتى تشفين تماما من وهمك قال وهو ينظر في عينيها ثم تابع هامسا :فأنا لا أرضى بنصف عشق ولا قليل غرام

أراد أن يأخذها بعيدا عن هذا العالم ليعلمها مباديء العشق الصحيح ، فليس كل من زار دروبنا أو انعطف ليرمي قلوبنا بنظرة خلسة نسميه «حبيب» ,هيا يا حبيبتي لأعلمك كيف يكون الحب ,اركضي خلف جنوني وشبكي يديك حولي ضميني بقوة واسمحي للرياح أن تداعب خصلات شعرك وأن تطفيء جذوة حنينك المشتعلة ، أتسمعين صوت اصطكاك حروفي بشوقي ,أنا لا أجيد الغناء مثله ولكني اجيد العزف على أوتار قلبك وعلى ايقاع أصابعك سأعزفك لحنا متناغما ينساب كشلال من القُبل فيغمرك حتى الثمالة.

اربكتها نظرته فأرادت أن تخرجه عن الموضوع فقالت سيخطب أخي سامح زميلته في العمل

قال وهو لازال يثبت نظراته صوب عينيها : أعلم فقد أخبرني بذلك ذات مرة

قالت: سأذهب الآن

قال: سأوصلك ,سنذهب سويا

من فرط ربكتها لم تستطع أن ترفض وظلت عبارته تتردد في رأسها « سنذهب سويا» لقد قالها بإصرار عجيب ونبرة غريبة كأنه يعنيها

أوصلها خالد إلى بيتها فشكرته ودخلت شاردة الذهن ,ماهذا الذي تفعله بنفسها إن الفوضى تجتاحها من كل مكان وكأن أحدهم اعتلى جبل الحيرة وظل يلقيها بالسهم تلو السهم

وجدت سامحا في وجهها تهللت أساريرها ومن ثم ظهر وجه سناء خلفه فضحكت لرؤية اختها وقد زاد وزنها وتكور جسدها ككرة على وشك الانفجار بسبب الحمل

قال لها سامح : حمد لله أنك أتيت كنا نختار أسماء أولاد سناء ال ٩

قالت صدفة : أي تسعة ؟

نظر إليها ثم إلى سناء ثم إليها مرة أخرى قائلا: اقنعيني أن هذا الانتفاخ يحتوي على أقل من ٩ أطفال؟ ثم تابع :أعتقد أن العدد قابل للزيادة

ضحكت صدفة في حين صرخت سناء كعادتها : ياماما تعالى لتري ما يفعله أبناءك بي

ثم نظرت لخالد وقالت : انتظر حتى تتزوج وسآخذ حقي من زوجتك

قال خالد متوسلا : لا لا اختي الحبيبة اعتذر

قالت : اذا تعترف بذنبك

قال : لا طبعا ,لكن أخاف على زوجتي من مصارع محترف مثلك ثم انفجر وصدفة ضحكا وسناء تتعالى صيحاتها يا ماما ، فيكمل خالد مقلدا صوتها يا ماما تعالي لتري ماذا يفعله أبناءك

قالت صدفة وهي تضحك : أخشى عليك ألا تكملي شهرك السابع بهذا الصراخ ويكون طفلك الأول « ابن سبعة»

التفت اليها خالدا وهو يصطنع الذهول قائلا : السابع ؟! لقد ظننتها تجاوزت الشهر الثالث عشر وبسرعة رفعة صوته مقلدا صوتها مرة أخرى مستبقا إياها : يا ماما تعالي وهنا انفجر الجميع في الضحك.

في الليل وعندما نام الجميع فتحت شرفتها ووقفت تتأمل ذلك الفضاء الممدود أمامها بعرض السماء كعادتها ,غابت النجوم تلك الليلة أين ذهبت يا ترى ؟ هل للقاء في كوكب آخر وعالم أخر أم أنها غابت لغيابه ؟,وقع نظرها على سلك المحامي المتدلي من سطح البيت وجدت نفسها تمد يدها وتجذبه ، ماذا تفعلي يا مجنونة ؟ قالت لنفسها ثم أجابت : اهدئي فأنا فقط أتلمس الحنين بأناملي ليس إلا ,أتأكد أني عشت عالما حقيقيا وليس «وهما» كما ادعى « خالد»

وهنا أعلن هاتفها النقال عن وصول رسالة فتحتها فإذا بها من خالد كان نصها كالآتي : « ان طريق الحنين مفروش بالشوك,يدمي قدميك ولا تصلين في النهاية»

أدركت أنه هناك في مكانه يحرسها حتى من مجرد طيف الحنين الذي يجتاحها من وقت لآخر ، لكنك يا صديقي لا تعلم كيف يكون الحب ، لم تعانق أمله وأنت تتمنى المزيد ,لم تعرف معنى أن تكون عاشقا تُضيق أضلعك على معشوقك حتى تدخله بين الجلد والعظم تخبئه في ثناياك ,لم تعش يا صديقي ليالي الحب الجميلة ، أما أنا فقد عشته وترعرعت في كنفه

أمسكت هاتفها وضغطت زر الرد وكتبت ترد على رسالته : « ان طريق الحب دوما واعرة ، ستدمي أقدامنا وقلوبنا ولكننا سنصل في النهاية»

وصلته رسالتها قرأها وهو يبتسم ثم ضغط زر الرد وكتب « اذا كان هذا رأيك فأنا سأواصل حتى النهاية حتى لو وصلت دامي القدم والقلب معا ,فحين التقيك ياصدفة سيزول عني الألم و ,,جزء من النص مفقود

ابتسمت صدفة قرأت رده ثم أغلقت شرفتها وهي تضغط زر الرد وتكتب « تصبح على خير «

تلقاها خالد بقلبه فقد كانت أرق « تصبح على خير « صادفها في حياته

وضع رأسه على الوسادة وهو يسأل نفسه لماذا صدفة بالذات,أشعر أحيانا أني لا أختلف كثيرا عن أبي وان اختياري لصدفة يكمن في تشابهها مع أمي وأني أسعى لتحريرها من «مجهول» كي أتخذها أسيرة لدي

وبخ ذاك الصوت الصادر من خلف انعكاس صورته في مرايا نفسه قائلا: أني أحبها

لكن الصوت أجاب : كن صادقا أنت تحب نفسك فيها ,تحب أن تمتلك قلب الطفلة التي تراه داخلها قلب يشبه قلب أمك وملامح تعانق ملامحها تشعر بأنها «وطنك» الذي نُفيت عنه قهرا لسنوات طويلة ,وعندما عدت إليه غريبا نُفيت مرة أخرى إلى هذه المدينة البعيدة ، أنت تبحث عن نفسك فيها تعتقد أنها الوحيدة القادرة على اسقاط مطرها فوق صحراء روحك الممزقة المنفية ,تعلم جيدا ان قلبها سيسعك ويسع العالم معك ويزيل ذلك الشعور بالاغتراب الذي تمكن منك ولذلك أنت عاجز عن مجرد التفكير في أن تعشق غيرها

لا ليس هـذا مـا أفكـر فيـه ، أنـت أيهـا الصـوت البغيـض الخافـت تظلمنـي وتقتلنـي بالكلـمات ,أنـا أحبهـا أشـعر وكأني صنعتهـا بيـدي لنفـسي
أعلـم أنـك تفكـر في كونهـا صنيعتـك و لذلـك أنـت أنـاني يـا خالـد,تريـد أن تشـككها في حبهـا وفي مشـاعرها لتسـتخلصها لنفسـك
توهمهـا أنهـا لم تحبـه يومـا ولم تسـكب قطـرات العشـق داخلـه يومـا بعـد يـوم وعامـا بعـد عـام وتوسـوس في قلبهـا أنـه انـصرف عنهـا لأنـه لم يكـون يومـا فارسـها ولا حبيبهـا وانـه ذهـب باحثـا عـن سـعادته وهـو يمـشي فـوق أشـواك سـعادتها بحـذاء مـن حديـد ونسـيت أن تخبرهـا أنـه ذهـب ليتركهـا تنعـم بشـبابها وبمعتقدهـا ولربمـا خـشي عليهـا أن تصبـح يومـا مثلـه ولعلـه خـشي أيضـا أن يغضـب والديهـا منهـا ، أراد أن يحميهـا مـن نفسـه ، أحبهـا لدرجـة أنـه تحمـل مـرارة الفـراق وتجرعهـا ، ألـف احتـمال واحتـمال وأنـت لا تلتفـت لأي منهـا ,فقـط كل مـا يهمـك أن تقتلـه داخلهـا مسـتغلا براءتهـا وثقتهـا فيـك
اسكت ,اسكت, قال للصوت الثائر المتمرد داخله .

في منتصـف اليـوم التـالي وأثنـاء انهـماك سـعد في عملـه رن هاتفـه أعلمتـه شاشـة الهاتـف أن المتصـل « ابـن عمـه « كان سـعد يكـره أقاربـه جميعـا ولا يتواصـل معهـم ولا يتواصلـون معـه إلا في أضيـق الحـدود
أجـاب عـلى الهاتـف وبجمـل قصـيرة ومختـصرة جـدا أبلغـه ابـن العـم أن جدهـم تـوفى الآن
قـام مـن مكانـه وذهـب إلى أمـاني التـي كانـت منهمكـة في حديـث هاتفـي بصـوت منخفـض فقـال لهـا : أخـبرني ابـن عمـي أن جـدي تـوفي مـن نصـف سـاعة تقريبـا وعلينـا الذهـاب الآن
قالـت وهـي تغـادر مكتبهـا معـه : نمـر أولا عـلى البيـت كي اسـتبدل

ثيـابي .
كانـت صدفـة في مكتـب الترجمـة حينـما اتصـل بهـا والدهـا وأخبرهـا أنهـم توجهـوا إلى بيـت العائلـة لوفـاة جدهـا وانهـم بانتظارهـا هنـاك.
بكـت صدفـة جدهـا فقـد كانـت تـرى فيـه صـورة والدهـا وزمـام الأمـان لهـذه العائلـة ,فمازالـوا جميعـا كحبـات العقـد تنضـم احداهـا للأخـرى تلتصـق بهـا بحـب ورحمـة وكان جدهـا هـو « الحبة» الكبـيرة التـي تمسـك الجميـع بقـوة وحنـان ,تخشى أن تنفـرط الحبـات بغيابـه ,تخـشى ألا يجتمعـون مـرة أخـرى بعـد صـلاة العيـد وعـلى الإفطـار في رمضـان وكل المناسـبات بفقدانـه
طرقـت بـاب خالـد لتخـبره أنهـا ذاهبـة وعندمـا رأهـا تبـكي سـألها عـن السـبب فأخبرتـه فاتصـل عـلى والدهـا واسـتأذنه أن يوصـل صدفـة معـه لأنهـا تبـكي بحرقـة كـما أنـه قـادم إليهـم عـلى كل حـال لتقديـم واجـب العـزاء
وافـق والدهـا فلـم يـر مـن خالـد مـا يسـوئه أبـدا وكذلـك رأي أنـه مـن الأفضـل ألا يـترك صدفـة تـأتي وحدهـا باكيـة طـوال الطريـق
ركبـت صدفـة بجـواره وهـي لا زالـت تبـكي, يحـاول أن يهـدأ مـن روعهـا ,لا تقتلينـي بدموعـك حبيبتـي ,أسـتطيع أن أواجـه العـالم بـكل مـا فيـه ولكنـي لا أقـوى عـلى الصمـود قليـلا أمـام حبـات اللؤلـؤ المتسـاقطة مـن عينيـك الجميلتـين ,وفجـأة أوقـف خالـد السـيارة,نظرت صدفـة حولهـا فوجـدت نفسـها أمـام منزلهـا فنظـرت لـه متسـائلة
قـال: اصعـدي وبـدلي ثيابـك أم أنـك سـتذهبين لعـزاء جـدك بهـذه البلـوزة الورديـة اللـون
انتبهـت لنفسـها فقـد فكانـت ترتـدي بلـوزة قطنيـة ورديـة اللون,ابتسـمت لرقتـه واهتمامـه بـكل تفاصيلهـا ، بادلهـا الابتسـامة وهـو يقـول لهـا سـأنتظرك هنـا
لم تمـض دقائـق كثـيرة حتـى عـادت مـرة أخـرى وهـي ترتـدي بنطـالا

من الجينز الأسود وبلوزة قطنية سوداء ولفت رأسها بحجاب في لون السماء الغاضبة ,يراها جميلة ، يؤكد لنفسه دوما أنها ليست الأجمل لكنه لا يريد أكثر من ذلك أو حتى يكون التعبير دقيقا لا يريد غير ذلك .

وصل خالد وصدفة في الوقت الذي كان يخرج فيه سعد من سيارته

توقع «سعد» كل شيء إلا أن تكون هي أول من تقع عيناه عليها,تسمر في مكانه لم يغلق باب سيارته ولم ينتبه لأماني التي نزلت ووقفت هي الأخرى لا تدرى ماذا تفعل وأين تذهب فهي المرة الأولى التي تأتي فيها إلى بيت العائلة

إلا أنه لايزال واقفا ينظر إليها ,مرت فترة طويلة من الحب والاشتياق منذ آخر مرة رأها في زفاف اختها ، أخيرا يا قاسية الوصال أراك أمامي هيا ردي إلي قلبي .

لم تكن صدفة قد انتبهت لوجوده بعد فقد كانت تتحدث إلى خالد و تنظر نحو الأرض ,حبيبتي لازالت خجولة ,اشتقتك بجنون يا صغيرتي ,لم أكن أدري اني مازلت أعاني وطأة احتلالك ، أنا هنا ثم همس « أحبك»

كانت المرة الأولى التي يراها حينما يهمس « أحبك» فلقد انتفضت فجأة وكأنها تبحث عنه ,حملقت في المدى

أمامها ثم يسارا ,إنها تبحث عني ,لقد سمعتني» ثم يمينا,فاستقرت عيناها في عينيه ,أنت هنا ؟ بجواري! عيناها تسأله وتعكس ملامحه وتعيده إلى أصله في جذورها .

أجابت عيناه « نعم « هنا بجوارك ولكنه اكتشف فجأة أنها تنزل من سيارة يقودها من ؟ انه هو نفس الشخص الذي يقف كالحائط بيني وبينها ,من أي سماء هبطت يا هذا ؟ أنت من كنت معها حينما زارت والدتي بالمستشفى ,رأيتك تُحيطها بعينيك

وكأنـك تحميهـا منـي .
عرفـه خالـد أيضـا وكانـت النظـرات متبادلـة والكلـمات أيضا فلقـد همـس خالـد لنفسـه : مـن أي سـماء هبطـت ياهـذا لتفسـد عـلي لحظـاتي معهـا .
الشـخص الوحيـد الـذي كان لا يفهـم مـا يـدور حولـه مـن حـرب النظـرات المشـتعلة كان « أمـاني»
أشـار سـعد بيـده نحـو صدفـة وهـو يحـدث زوجتـه : صدفـة ابنـة عمـي ..
ثم وجه حديثة لصدفة قائلا : أماني زوجتي
كانـت المرة الأولى التـي تـرى فيهـا زوجتـه جميلـة ورقيقـة إلى حـد كبير ,كادت أن تبتسـم عندمـا لمحـت « جيـب» أمـاني الـذي يسـتقر فـوق ركبتيهـا بمسـافة كبـيرة وبلوزتهـا السـوداء بـلا أكـمام مكشـوفة الصـدر فقـد تذكـرت سـعد وهـو يصـف ظهورهـا في المكتـب للمـرة الأولى ، أبهـذه الأكـمام والسـيقان العاريـة جذبتـه ,تبـا لمشـاعر تقودهـا أبـدان عاريـة وأرواح حائـرة ..
مـدت صدفـة يدهـا لتسـلم عـلى أمـاني ونظـرت إليهـا وإلى سـعد وأشـارت نحـو خالـد قائلـة : خالـد صديقـي وجـاري ورئيـسي بالعمـل انتظر سعد أن تقول شيئا أخر إلا انها لم تضف شيئا عما قالته .
سـلم خالـد عـلى سـعد وتوجهـوا جميعهـم نحـو المنـزل توجهـا سـعد وخالـد نحـو مـكان الرجـال وتوجهـت صدفـة وامـاني الى حيـث تتواجـد النسـاء الـلاتي مـا إن رأيـن أمـاني تسـير نحوهـم بملابسـها المكشـوفة حتـى نسـوا أن هنـاك «ميتـا «
فلقـد لفـت نظرهـم طـول « الجيـب» فأخـذن يمعـن النظـر في سـاقيها وكأنهـما مصنوعـان مـن خشـب أو كأنهـن لا يملكـن مثلها ,لمـاذا لم يطلب منـي سـعد أن أرتـدي بنطـالا ,شـعرت صدفـة بحرجهـا فأمسـكتها مـن يدهـا لتطمئنهـا وسـحبتها إلى حيـث تجلـس والدتهـا وسـناء عرفتهـن

ببعضهن وجلست اماني إلا أن بجلوسها صارت الجيب أقصر فأصبحت ساقاها وفخذها النصف عارية قبلة النساء ووجهتهن كما أخذ بعضهن يتهامسن بأحاديث جانبية خافتة شعرت معها أماني وكأنها وطأت بقدميها كوكب جديد نساءه بلا «سيقان « قامت صدفة وغابت لربع ساعة تقريبا ثم عادت وهمست في اذن أماني شيئا ، ابتسمت لها الأخيرة وقامت معها

دخلت غرفة زوجة عمها ودخلت وراءها أماني فناولتها جيبا أسودا طويلا استعارتها من ابنة عمها وبلوزة ذات أكمام طويلة ثم اعتذرت لها كون النساء في العائلة على فطرتهن ونياتهن ولم يقصدن أبدا إيذاء مشاعرها .

خرجت صدفة وتركتها تبدل ملابسها ..

بعد قليل خرجت أماني وهي ترتدي الثياب المستعارة بحثت عن صدفة فوجدتها انضمت لمجموعة أخرى من النساء ، تعرفن عليها فورا فقد رأوها سابقا في حفل زفافها ففضلت البقاء معهم على الدخول إلى مغارة نساء العائلة التي خرجت منها منذ قليل انتهت الجنازة وانتهى العزاء وانصرف معظم أفراد العائلة إلى بيوتهم حتى يأتوا في الصباح الباكر فقد كان من عاداتهم ان يُقام العزاء لثلاث أيام ..

قام أيضا بعض أفراد العائلة إلى غرفهم فقد أرهقهم اليوم ففضلوا الخلود للنوم مبكرا وكان خالد قد انصرف بعد صلاة العشاء

لم يبق في الغرفة الكبيرة حيث التقى سعد وصدفة للمرة الأولى غيرهم وكذلك وأماني وسامح وسناء

لايعلم سعد لماذا لم يغادر حتى الآن ، كان يعلم أن صدفة وأسرتها سيبيتون ليلتهم هنا ,فهل بقي لهذا السبب ؟ لا يدري

كانت أماني أول من تحدث فقالت : انقذتني صدفة اليوم لن

أنسى لك معروفك
كان سعد مشغولا بصدفة للحد الذي لم يسمح له بملاحظة ملابس زوجته المستعارة ,فعينيه وأذنيه ليست معه إنما عند صغيرته التي كبرت فصارت أجمل من رأى
فنظر لها متسائلا بعينيه دون أن يتحدث عما فعلته صدفة يستوجب الشكر ؟
فقالت له : ألا ترى
_ أرى ماذا ؟
قالت سناء : ألا ترى أنها بدلت ملابسها ؟
انتبه للمرة الأولى أنها ترتدي ثيابا غير ثيابها ,قصت له زوجته القصة من أولها وكيف أن صدفة انقذتها بهذا الحل السريع
نظر إلى صدفة وهو يقول في نفسه : صدفة صاحبة افضل الحلول والاختراعات من أول الجلوس تحت الطاولة الى سلك المحامي,نوادرها لا تنتهي
لماذا تفعلين ذلك مع زوجتي ؟ لماذا لم تتركيها حديثا للناس ينهشون سيقانها العارية ويخوضون في ذراعيها المكشوفة ؟ لماذا تتصرفين دوما وكأنك أمي ,مسئولة عني وعن حمايتي وحماية ما يخصني !
صمت قليلا ثم قال بصوت تهكمي : متخلفين
صدمت كلمته الجميع بما فيهم أماني ,فقال خالد : ليس معنى انك تخالفهم في الرأي أنهم متخلفون ,فقد تكون أنت المتخلف من وجهة نظرهم
قال سعد : أمامهم الف سنة ضوئية حتى يواكبوا العالم
ردت صدفة بغضب : وأنت يامن تسبقهم بألف سنة ضوئية ماذا غيرت في العالم ؟
كان سؤالها صفعة فلم يتوقع أن توجه إليه حديثا واعتقد أن الخجل سيربط لسانها خاصة في وجود زوجته

قالت أماني : سعد لم يقصد
شعر سعد أن كلمته كانت قاسية وخاصة أن صدفة من اقترحت تبديل ثيابها ، فنظر إليها معتذرا وهو يردد داخله لا تغضبي مني صغيرتي
قالت سناء : للأسف نحن مازلنا نعتبر أن العُري هو التقدم وأن مزيدا من العُري يعني مزيدا من التطور
صمت الجميع فقد جاءت العبارة غير مناسبة تماما خاصة ان زوجته كانت في نظرهم شبه عارية
إلا أن اماني ردت ببساطة وكأنها تبوح لهم بسرها : لقد ألحدت كـ « سعد»
احمر وجه سعد لدى سماعه عباراتها وقبل أن ينطق قال سامح: زميلي بالشركة ملحد أيضا ولكننا نحتفظ بعلاقتنا جيدة معه وكأنه أراد أن يعلن بعبارته الهدنة ويرفع راية السلام ولو مؤقتا قبل أن يحتدم النقاش
توجهت أماني بسؤالها لـ صدفة : هل خالد خطيبك ؟
كانت صدفة لا تريد أن تتحدث في هذا الأمر أمام سعد أبدا ولا تريده ان يعلم عنها شيء يشبع جوعه
تطوعت سناء للإجابة : خالد مجرد صديق ورئيسها في العمل ولكن خطيبها شخص أخر ينتظر أن تنتهي هذا العام من دراستها « كانت تقصد محمود»
فبهت الذي عشق وانشق قلبه كفلقة أصابها إعصار في كبدها
قالت أماني: هل تعملين يا صدفة بجانب دراستك
شرحت لها سريعا كيف عرض عليها خالد العمل في مكتبه وكيف أنها رحبت بالفكرة حيث وجدت نفسها بين أكوام الأوراق والمحابر كانت تتحدث وعيني سعد تحيطها من كل جانب مشاعره تطوف حولها ,يقترب منها في نفسه فيحتضنها ,يخبئها داخله هامسا لها

تكلمي محبوبتي وأنت في أعماقي حتى يتردد صدى صوتك صارخا في أنحائي متحديا ذاتي ,انك هنا إلى جواري! يقذفني الموج دائما على شطئانك ,فهل ستقبليني كلما رددت إليك هل ستنقذيني من نفسي كما أنقذتي زوجتي اليوم ؟

لم يفكر « سعد» أن يبرح مكانه ولا أن يستأذنهم رغم تعبه ورغم شعوره بأن زوجته تريد الذهاب للنوم فلم يناما جيدا بسبب سهرة الأمس ,الا أنه تجاهل رغبتها واستمر في مكانه

يريد ان يسمع صوتها وأن يشبع من ملامحها التي لا تسمن ولاتغني من شوق ,فهو دائم الاشتياق لها ,سال نفسه متى يشتاق إلى أماني؟ وهل اشتاقها قبل الزواج ,لم يكن في حاجة إلى أي إجابات ,فهو لم يشتاق إلى أحد سواها ولن يشتاق لأحد سواها

هي التي نبتت داخله واستقرت في اعمق نقطة في ذاته ,نظر إليها نظرة اخترقت عينيها واستقرت في أعماقها ,قلبتها رأسا على عقب فاحمرت وجنتاها وتوجهت بعينيها وحديثها نحو أماني فسألتها :

في أي كلية درستِ ؟ فردت أماني : كلية التجارة

قال «سعد» في نفسه تتهربين من نظراتي يا أميرتي إلى متى؟ فها فنحن نجلس سويا لا يفصلنا عن بعضنا البعض سوى أمتار قليلة نستنشق نفس الهواء ,أتذكرين عندما كانت أقصى أمانينا أن نستنشق نفس الهواء وأن نملأ رئتينا برحيق انفسانا المختلطة بدخان الشوق والم الغياب ,وجد نفسه يهمس دون أن يشعر « أحبك»

وللمرة الثانية في نفس اليوم يراها كيف تتلقى حروفه من فضاء الهمس فتدخلها إلى مفاتيح شيفرتها الخاصة ,ثم تقرأ رسالته الصامتة عن بعد

ما إن همس لها « أحبك» حتى سمع دقات قلبها واشتم رائحة حرارة أنفاسها ,ترقرقت عيناها بالدموع واحمر وجهها حتى

لاحظها الجميع
سألها سامح : ماذا بك؟
لم ترد فسألتها سناء : هل تريدين النوم ؟ أيضا لم ترد فقد كانت تشعر أنها على وشك الانفجار
ثم جاءها صوته عذبا يقطر حبا : مابك يا صدفة ؟
وما ان سمعته يتلفظ باسمها حتى انفجرت باكية كانت تشتاقه حد البكاء ,تشتاق لسماع اسمها يترنح بين شفتيه ,والان هو بجوارها لايفصلها عنه سوى أمتار قليلة ,لا يا حبيبي فما بيني وبينك ليس أمتارا الآن فقد كنت الأقرب دوما وأنت بعيد عن عيني لكن اليوم يفصلك عني هذه الانسانة التي تجلس بجوارك,تلك التي منحتها اسمك وقلبك الذي احتللته لسنوات,ويدك التي نامت كالشمس في يدي لسنوات ، أصبحت الآن غريبة عنك لم تعد لي .
قامت من مكانها وتمنت للجميع نوما هنيئا وذهبت لتنام أو ذهبت لتجبر روحها على الاستسلام ..
ودعها سعد وهو يهمس لها في نفسه : لاتبك يا صغيرتي ولا تشعري بالذنب فالذنب ذنبي ولكنك لم تسمعي دفاعي عن نفسي
معذورة في ان تتهميني بكل صفات الغدر والخيانة لكن الحقيقة هي أني لازلت على عهدي ، أتدرين؟ أني أشتاق لحديثك ,صوتك, حكاياتك ,هل أخبرك بأني أبحث عنك في وجوه من حولي,واتلمس صدى صوتك وانقطاع أنفاسك حينما كنت أهمس لك « أحبك» ، أتدرين أن أفتش عنك في زوايا البيت لعل طيفك يزورني ولو من قبيل المراقبة ,أحافظ على الهاتف بجواري دوما لعلك تخطئين يوما وتعبثين بأرقام لطالما كانت خيوط التواصل بيننا
انتبه على صوت زوجته تناديه ,نظر إليها كما لو كان يريد أن يسألها من أنتِ !وما الذي جاء بك هنا ، كانت زوجته في ملابس ابنة عمه غريبة ، وكأنها امرأة أخرى ,شعر بأنها كبرت فجأة

في السـن وانطفـأت بشرتهـا وزادت نحافتهـا ,ثـم انتبـه لكونهـا تبـدو جميلـة عندمـا تتعانـق ملامحهـا مـع أناقـة ثيابهـا واتقـان مكياجهـا ,أمـا الآن فـلا فـرق بينهـا وبـين «مـدام سـعاد» موظفـة الشـهر العقـاري التـي كان يسـتكمل بعـض اوراقـه عندهـا مـن عـدة أيـام

أجابها : نعم

قالت : ألن نذهب للنوم

قام من مكانه وقام أيضا سامح وسناء وذهب كل منهم إلى حيث سينام وكان قـد اتخـذ قـراره ان ينتهـز أي فرصـة ليتحـدث إلى صدفـة عـلى انفـراد كانـت لديـه رغبـة مجنونـة تدفعـه لـئن يتكلـم معهـا لايـزال عـلى قيـد شـوقها فلـم تختـف لهفتـه ولم تقـل قيـد أنملـة بـل لعلهـا زادت ,حتـى فاضـت أنهـارا ، كان يعتقـد أنـه ذهـب بـلا عـودة إلا أن قلبـه مملـوء بهـا ,يراهـا تتجـول بـكل حريـة في خاطـره ,سـألها في نفسـه :هـذا حـالي يـا صغـيرتي فـماذا عـن حالـك ؟ كان يدفعـه شـعورا أهوجـا لأن يسـألها هـل هـي عـلى اسـتعداد لـئن تغفـر لـه إذا مـا عـاد إليهـا تائبـا نادمـا ,إذا وافقـت ,فلـن أتـردد أبـدا في العـودة مسرعـا طائـرا عـلى جنـاح الحـب ، فأنـا لم ولـن أحـب سـواها ومـا حـدث كان عائـدا لغبـائي وحماقتـي وهـا أنـا ذا أدفـع الثمـن ، إلا أن صوتـه الآخـر القابـع في جوفـه اعـترض قائـلا : لم تحـاول بعـد ,امـض قدمـا في طريقـك ولا تلتفـت للـوراء .

في الصبـاح خـرج مـن غرفتـه يبحـث عنهـا ، وجدهـا تجلـس مـع ابنـة عمهـما فحياهـما وجلـس في مقابلهـا وقريبـا منهـا مصمـما كي يلتقـي جمـر انفاسـه بجمـر انفاسـها ,نظـر في عينيهـا فـأدرك كيـف قضـت ليلتهـا مسـتيقظة لم تغمـض لهـا عـين كـما لم ينـم هـو أيضـا إلا ان أثـر البـكاء مـازال مسـترخيا فـوق جفنيهـا يـأبى المغـادرة ، قـال في صـوت رقيـق : صبـاح الخـير

ردتا عليه الصباح ثم طلب من ابنة عمه كوبا من القهوة

قامت فورا لتعد له القهوة فطلبت منها صدفة أيضا كوبا من القهوة ,فردت ابنة عمتها :بدون سكر طبعا
أومأت صدفة برأسها ثم انتقلت ببصرها لسعد وقالت : وقهوة ابن عمي سكر زيادة ,ابتسم لها قائلا : نعم
وما ان اختفت ابنة عمها حتى قال لها : كبرتِ وصرتِ تشربين قهوة بدون سكر ؟
فأجابت في هدوء : لقد كبرت أنت أيضا ،،أرادت ان تقول وصرت متزوجا إلا أنها لم تتلفظ بها ولكنها تعلم جيدا أنه فهمها
وقبل ان ينطق بكلمة اخرى رن هاتفها المحمول كان خالد هو المتصل ,ردت بسرعة في محاولة للهرب من حديثها مع سعد
أهلا خالد ،,بخير الحمد لله ،,عندي امتحان اليوم ولا أدري هل أتغيب أم أذهب للكلية ثم أعود إلى هنا مرة أخرى ،،,لا أريد أن أشق عليك ،,لا يا خالد لا تأتي من أجلي فتتعطل أشغالك,،،
في ابتسامة هادئة اختتمت مكالمتها سأكون جاهزة خلال نصف ساعة على الأكثر
لم تمر على سعد لحظة كره فيها خالد كتلك اللحظة فقد شعر انه اختطفها منه ، دائما يختطفها منه ، بظهوره في حياتها اشتد ساعدها وقوي عودها كانت قبل أن تلتق بك « طفلتي» فما الذي فعلته بها وبأي شيء أخبرتها ؟ ولماذا تُصر على التواجد قربها ؟ فأنا متأكد من كونك تراني في عينيها ولكن يبدو لي أنك لم تيأس بعد ,من أي سماء هبطت علي يا ايها الخالد
أغلقت الهاتف فسألها بغضب :هل سيأتي لاصطحابك للكلية ؟!
قالت : نعم
قال اتصل به وأخبريه ألا يأتِ سأوصلك أنا
قالت في هدوء : أنت ! بأي صفة ؟
قال: على الأقل املك من الصفات ما لا يملكها هذا الخالد

قالت : ذهبت كلها بذهابك
قال : أريد ان أتحدث إليك في أمر هام وضروري
قالت : وهل يجمعنا حديث ؟

وقبل أن يجيب دخلت ابنة عمها بالقهوة ,أراد لو سكبها فوق رأسها لدخولها في هذه اللحظة أريد أن انفرد بها لدقائق ، اخذت صدفة فنجانها وشكرت ابنة عمها التي سمعت اسمها يتردد في آخر البيت ، حيث كانت والدتها تنادي عليها بصوت عال ، قالت موجهة حديثها لسعد وصدفة وكأن لا احد في البيت غيري وهمهمت بكلمات غير مفهومة وانصرفت

وقفت صدفة لتغادر المكان وراء ابنة عمها ,أمسكها من معصمها وقال : انتظري .

أهذا الذي يسمونه زلزال الحب ؟ أيكون بهذه القوة ؟ كيف أصف لك الارتجاف الذي يغمرني الآن ؟ إني أراك تتوغل داخلي ,ليس فقط قابضا على معصمي بل أراك تمسك قلبي بكلتا يديك وتعصره حتى يسيل منه خمرك وعذابك ، اترك يدي قبل أن أتوه داخلك ولا أجد لي مخرجا .

نزعت يدها من,نظرت إليه وهي تسأله بعيونها ماذا تريد,,سؤالا مختلطا بالدموع والألم

تركته وانصرفت كي تستعد للذهاب إلى كليتها

جلس سعد فقد شعر بانهيار تام في كل انحاء جسده ,فكأن لمستها بركانا قضى على ثباته وغروره الذي عاند كثيرا ليحتفظ به, أنا جائع إليك يا حبيبتي وكأنني لم أتذوق طعاما منذ تركتك, وكأنك أخذتي معك كل رغباتي ,غرائزي ، والآن بلمسة واحدة منك أعدت إلي ما فقدته ,فجودي علي غاليتي بما يمنحني الحياة حتى وإن كانت قبلة من شفتيك تحرق فؤادي بلظاها المستعر .

وفجأة نظر أمامه فوجد هاتفها النقال ,لقد نسيته من فرط

اضطرابها ,قام من مكانه سريعا واخذه وضغط أرقاما بسرعة قبل أن تعود ,وماهي إلا لحظات وكان هاتفه يرن برقمها ، بسرعة مسح المحادثة من سجل الهاتف دفعه فضوله لرؤية ما ان كانت هناك رسائل بينها وبين خالد أو شخص اخر ولكنه قبل أن يصل لصندوق الوارد لمحها تخرج من باب الغرفة فأدرك انها عائدة للبحث عن هاتفها فوضعه مكانه وجلس في مقعده

التقطت هاتفها وخرجت دون ان تنطق بأي حرف وبعد خروجها مباشرة من الغرفة دخلت أماني وهي ترتدي بيجامة تخص ابنة عمه ,ضحك في نفسه وهو يتخيل أماني وقد ورثت ابنة عمه وهي لازالت على قيد الحياة منذ اللحظة الاولى لوصولها

أخذت من يده بقية فنجان القهوة تشربها وهي مغمضة العينين

نظر إليها سعد ثم قال : لما لم تمشطين شعرك ؟

قالت: نسيت ان أحضر فرشاتي

قال: خذي فرشاة من ابنة عمي

نظرت إليه مستنكرة ورافضة : لا أمشط شعري فرشاة غيري

قال : تلبسين ثيابهم فقط؟ ثم تابع موبخا اياها اما ان تمشطيه او تغطيه لكن لا تجلسي هكذا حتى لا يظن أهل البيت أن أحد أصدقائي جاء من أقصى البلاد سائرا على قدميه ليقدم لي واجب العزاء في جدي ثم نظر إليها مطولا وانفجر ضاحكا

قالت بغيظ : تضحك وجدك لازالت روحه بيننا ؟

قال: إذا كانت روحه هنا الآن فهذا أكيد لسوء حظها ولعلها الآن تسأل من هذا الذي سرق ثياب حفيدتي ؟

قامت مغتاظة من مكانها وذهبت تبحث عن شيء تمشط به شعرها

وصل خالد وجد صدفة تنتظره فركبت معه فور وصوله بعد ان استأذنت والدها ووالدتها

في الطريق ظلت صدفة صامتة ,كلما أرادت ان تتكلم لاحقتها عيناه وشعرت بلمسة يديه على معصمها ,تصرخ داخلها وهي تسأل نفسها متى أتحرر منه ؟

شيء ما جعل خالد يتوقع ما حدث أمس ، فقد راقب نظرات سعد لصدفة جيدا ، وأدرك انه لازال يعشقها رغم زواجه بل إن خالدا قال في نفسه إن حب هذا السعد اليوم لصدفة يفوق حبه لها يوم ان التقاه بالمشفى ، انه يهواها بكل ما أوتي من عشق لكنه تزوج ! قد يفرق ذلك بينهما لكنه لن ينفي حبهما ولن ينهي وصال قلوبهما

لعلها محقة يا خالد في شأن عدم ارتباطها بك ,لعلها لا تريد أن تظلمك أو تسجنك بين أطلالهما

سألها : هل نمت جيدا؟ رغم أن الاجابة واضحة على ملامحها

_ إلى حد ما

_هل سهرتِ؟ وكأنه يريد ان يسألها هل تحدثتما ؟

_ لا ليس كثيرا ,لم تخبره أنها قضت ليلتها لا تفعل شيئا إلا كونها تستنشق الهواء الذي يحيط به وكأنما تقول لنفسها وأخيرا أنا وهو في مكان واحد

_متى سينتهي اختبارك حتى أمر عليك ؟

_ لا تشغل بالك بي ، فأنا لا اعلم متى ,سأذهب أولا إلى البيت لأحضر بعد الأشياء وسيأتي سامح لنعود سويا

_ لمح الإصرار في نبراتها فلم يناقشها أكثر من ذلك

انتهت من الاختبار وذهبت إلى بيتها أخذت حماما طويلا ,تركت الماء ينساب فوق راسها لعله يغسلها من أفكارها وأشواقها

جهزت ما طلبته والدتها في حقيبة صغيرة ودخلت لتعد لنفسها كوبا من القهوة ,تذكرته وهو يهمس : كبرتِ واصبحت تشربين القهوة

تذكرت عندما كانت تحادثه من تحت الطاولة وجسمها الصغير متكوم تحتها تكتم أنفاسها حتى لا يستيقظ احدا فيراها .

انتبهت على رنين هاتفها النقال كان سامح يخبرها أنه ينتظرها في الشارع ويدعوها للنزول

وضعت فنجان القهوة على المغسلة وغسلت اسنانها وحملت الحقيبة ونزلت مسرعا لتجد سامحا يقف مع خالد بجوار السيارة نظرت إليه فأخبرها أن خالد صمم على أن يقوم بتوصيلهما لأن الوقت تأخر ,ابتسمت لهذا الملاك الذي يأتيها دوما حاملا كل معاني الحب والدعم الذي تحتاجه

ماذا كنت أفعل بغيرك يا صديقي ؟

وصلا إلى بيت العائلة في الوقت الذي كان يخرج سعد وأماني مغادرين إلى منزلهم ، تمنى سعد لو عاد ودخل معهم لكن اماني كانت لترفض فإنها تريد ان تعود بأقصى سرعة إلى ملابسها وعطورها وادوات زينتها

تبادلوا التحية وانصرف وهو يطمئن نفسه على الأقل أصبح هاتفي النقال يحتوي على رقمها ,هكذا وكأنها عادت مرة اخرى لترقد بسلام في أعماقه

مرت أيام العزاء وعادت الأمور إلى طبيعتها وعادت صدفة إلى دراستها وعملها ومن وقت إلى آخر تتحسس معصمها لتتذكرحين أحاطه بكفيه فتسري في أعماقها رجفة تُشعل وجنتيها نارا ونورا كان سعد من وقت لآخر يتفحص هاتفه ليتأكد أن رقمها لازال في جوفه ,يحاول أن يكتب لها شيئا إلا أن يداه عجزتا عن الكتابة كما أنه لايدري ماذا يقول لقد تزوج وتركها بمنتهى القسوة ودون أن يلتفت وراءه او يفكر مجرد تفكير في أن يمسح دمعة سالت من عينيها بسببه كم كان قاسيا ,لكنه يحبها ، ما الفائدة؟فعليه الآن أن يمضي قدما للأمام

كانت أماني تشغل أوقاته لكنها لم تشغل عقله ,أدفئت فراشه لكنها لم تدفء قلبه ولم تسر الرجفة في أوصاله ,آنست وحشته بعد موت والدته ولكنها لم تؤانس أنفاسه ، فقد اعتاد على انفاس صغيرته التي كان يحرقها في صدره

ولكنه كان مستمرا في مواصلة الإبحار بعيد عن صدفة حتى كان اليوم الفاصل في حياته والذي اعتبره بمثابة « الهزة « كما كان يحب أن يطلق عليه لأنه كان أشبه بزلزال حرك حياته التي كان يحاول ان يسير فيها قدما رغم كل شيء .

أثناء سهرة ليلية تستمر حتى الفجر كعادة زوجته وأقاربها وأصدقائها شعر ببعض الصداع فأخبرها أن رأسه يؤلمه فما كان منها إلا أن قالت له : خذ مسكنا ونم ,توقع أن تصرف ضيوفها وتهتم به لكن ذلك لم يحدث ,تركها ودخل غرفته تناول مسكنا وأسند رأسه على وسادته يفكر ويسال نفسه لماذا تزوجت اماني؟ ولماذا لم ننجب اطفالا حتى الآن ؟ ولماذا تصر على ان لا تتحدث في هذا الامر وتجيب دوما :اتركها للأيام

رفع رأسه كان الألم أصبح أكثر حدة فخرج لضيوفه مرة أخرى

نظر حوله فلم يجد زوجته فقط يرى أصدقائها ,اعتقد أنها قد تكون في المطبخ ذهب إلى هناك لم يجدها فسأل عنها ابنة خالتها فقالت وهي تبتسم له ابتسامة تحمل ألف معنى ومعنى لعلها في « البلكونة»

في هذا البرد القارس ؟ سألها

ابتسمت وقالت : اذا كان القلب مشتعلا لن تشعر بالبرد

تركها وذهب إلى البلكونة التي كانت شبه مغلقة وما ان فتحها حتى شعر بحركة غريبة فجائية وإلى أن اعتاد الظلام وجد زوجته وإيهاب واقفين في الظلام ,كان الوضع مربكا ويدعو للريبة لكن أماني تقدمت نحوه ببساطة وقالت كان إيهاب يشكو لي من خالتي

ويريدني أن أتوسط للصلح بينه وبينها ,شيء ما فيها يدعوه لعدم التصديق ، شيء ما يجعله يشعر بالنفور ,كما لو كان يرى أثر أصابع ابن خالتها بين خصلات شعرها وعلى ملامح وجهها ، يراه في عيونها لكنه لم ير شيئا يجعله يوجه إليها أي اتهام

كرهها وكره سهراتها وأقاربها وكل ما يحيط بها ، لابد له من وقفة معها ولكن اليوم لن يتكلم سينتظر للغد مساءا وسيضع النقاط فوق الحروف

في اليوم التالي عادا سويا من العمل ,حاول أن يكون طبيعيا قدر المستطاع ,تناولا طعام الغذاء ,أثنى على ترتيبها للسفرة بدت كما لو كانت تهتم به وببيتها أكثر حتى تنسيه ما حدث أمس, ماذا حدث أمس؟ سأل نفسه راسه يكاد أن ينفجر تمنى لو كان يستطيع اختراق الزمان والمكان فيعود للأمس ويدخل معهم إلى « البلكونة» لكن لا بأس الليلة نجد حلا...

قالت أماني: سنذهب إلى والدي في المساء فقد اتصل بي ودعانا للعشاء كما لو كانت تريد أن تهرب من البقاء معه

قال في هدوء : الليلة لن نذهب في أي مكان فأنا أريد السهر معك وحدك

قالت في إصرار : لكني لا أستطيع ان أرفض دعوة ابي

لم يرد عليها اخرج هاتفه النقال واتصل بوالدها وبعد أن حياه اعتذر له عن الدعوة قائلا : سامحني يا عمي فأنا متعب جدا من سهرة الأمس فقد امتدت حتى الساعات الاولى من صباح اليوم ولا استطيع ان البي دعوتك

فرد والدها : أي دعوة ؟

قال : العشاء

رد والدها : لا عليك لقد اتصلت أماني بوالدتها واخبرتها انكما ستأتيان للعشاء عندنا والسهر معنا فرحبنا لكن إذا كنت مرهقا

فارتح أفضل وخذ قسطا كافيا من النوم

تأكد أنها هي من وراء الدعوة ولكنه لم يعلق أيضا فهذا الأمر تافه مقارنة بما حدث أمس ولما يحدث كل يوم ثم قال لها:اعتذرت لوالدك

ارتبكت وساد الصمت بينهما لفترة طويلة

نام سعد بعد ان تناول الغذاء طويلا كما لم ينم من قبل ، كانه مشتاق للذهاب إلى عالم آخر بلا أماني وبلا أيهاب وكم سيكون جميلا إذا كان فيه « صدفة»

استيقظ من نومه وهو يحمل ملامح هادئة وأعماق تفور حتى كادت تأكل بعضها

وجدها جالسة أمام التلفاز ، كان من الواضح أنها لا تشاهد شيئا فقد كانت عيناها خارج حدود المنزل

جلس بجوارها واحاط كتفيها بيد وامسك كفها بيده الثانية,فوضعت رأسها على كتفه ، تركها تهدا فقد كانت دقات قلبها سريعة ,يسمعها بوضوح وهي ترجوه أن يتحدث حتى تنتهي من هذه الاحتمالات التي تضطرم داخلها ,هل رآني بأحضانه وبين شفتيه ام لا ؟

واخيرا تكلم : حبيبتي أريد ان اطلب منك طلبا

قالت : تفضل يا حبيبي

_ لا أريد سهرات في بيتي مرة أخرى

_ لك ما تريد ، جاء ردها مفاجئة له

توقع أن تغضب تثور ترفض إلا أنها وافقت وبكل سهولة

فقال : حبيبك طماع

قالت : وأنا طوع أمره

_ أريد طفلا

_ وهل مانعت في ذلك؟ الله لم يكتب لنا بعد

_ أي اله ؟

_عفوا نسيت أني صرت ملحدة مثلك ثم ضحكت بصوت عال جدا مستفز ,شعر كما لو كانت شيطانا يسخر منه
_ نذهب للطبيب ؟
_ نذهب يا حبيبي متى شئت
وهكذا أنهت اماني زوبعته في هدوء وذكاء توقع منها ان تثور, ترفض الذهاب للطبيب او ترفض منعه لاستقبال أصدقائها,توقع ليلة مختلفة وصياح وسباب متبادل إلا ان شيئا من هذا لم يحدث احتضنها وقبل شعرها وهو يدفن شفتيه في خصلاته المتناثرة كما لو كان يبحث عن شيء يفتقده في علاقته بها شيء يحرك ذراته ينثرها, يبعثرها ولا يلملمها لكنه حتى الآن يبحث بلا أمل

****

كانت صدفة تعيش أزهى أيامها بين الدراسة والعمل في المكتب,اقتربت أكثر من خالد حتى صار كل ما يشاهدهما يظن أنهما مرتبطين ، لكنها لم تحدد اختيارها حتى الآن ، مازال جدار سعد يقف حائلا بينها وبينه ,زارها محمود مرة ثانية في مكتبها وجدته أمامها دون أي مناسبة أو تمهيد ..
وقف على باب الغرفة ومد يده ليدق الباب المفتوح ,كانت صدفة بمفردها منكبة على مجموعة من الشهادات تترجمها,فرفعت رأسها لتجده أمامها ..
وقفت وحيته ودعته للدخول ..
جلس على المقعد أمامها فقامت من مكانها وجلست على المقعد الذي أمامه فقد رات ان من الذوق ألا تتحدث إليه من خلف مكتبها
بادرها قائلا: سامحيني على اقتحام مقر عملك هكذا دون سابق موعد فهذه ليست طبيعتي لكن في الحقيقة طوال الطريق وانا

احـاول أن أتصـل بـك لأخـبرك بقدومـي لكـن هاتفـك لا يجيـب تذكـرت أنهـا وضعتـه صامتـا حتـى تنتهـي مـن عملهـا فقالـت : الأمـر أبسـط مـن ذلـك تسـتطيع أن تـأتِ في أي وقـت دون اتصـال.

مد يده إليها بشيء مغلف

مـدت يدهـا وأخذتـه وهـي حائـرة لا تـدري مـاذا عليهـا أن تفعل,لماذا تأخـذ هـذا الـشيء ومـا هـذا الـشيء المختفـي وراء الغـلاف الـوردي ؟

أمسـكت مـا أعطاهـا بيدهـا وقالـت أخـشى الا أسـتطيع ان اقبـل منـك أي هديـة فليـس بيننـا مـا يؤهلنـي لاسـتقبال هدايـا و.....

قاطعها قائلا لم أتيك بهدية ولكني أتيتك بلحظة ,فهل قبلتيها ؟

مازالت حائرة لا تعلم ما هو التصرف التصرف الصحيح

سـاعدها عـلى التفكـير وأخـذ بيدهـا خـارج حيرتهـا فقـال : انزعـي الغـلاف

نزعتـه برفـق فـإذا بهـا امـام علبـة صغـيرة مليئـة بقطـع الشـكولاتة متراصـة كحبـات اللؤلـؤ الأبيـض المختلطـة بحبـات الكـرز

رفعـت رأسـها ونظـرت إليـه وهـي لا تفهـم معنـى عبارتـه «أتيتـك بلحظـة»

تابـع حديثـه قائـلا: لقـد كنـت في سـويسرا الأيـام الماضيـة وأثنـاء سـيري في شـارع باهنهوفستراسـيمن المدينـة القديمـة إلى بحيرة زيوريـخ مـررت بمحـل يبيـع الشـكولاتة ابتعـت منـه سـابقا ,عـرض عـلي صاحـب المحـل هـذا النـوع وأخـبرني أنـه مـن أفخـر الأنـواع واني سـأدعو لـه في صلـواتي بعدمـا أتذوقـه شـكرته وعندمـا وصلـت إلى البحـيرة اشـتريت كوبـا مـن القهـوة وتناولـت قطعـة منهـا وفعـلا اذهلنـي مذاقهـا وفي لحظـة اسـتمتاعي بالنظـر إلى البحـيرة وتذوقـي لهـذا الفـن النـادر عـلى هيئـة قطـع مـن الشـكولاتة شـعرت بأنـك تشـاركيني هـذه اللحظـة تحديـدا ,كـما لوكنـت معـي فـصرت أحادثـك واعطيـك مـن العلبـة قطعـة بعـد أخـرى حتـى نفـذت العلبـة ,فانتبهـت أني التهمتهـا جميعـا قالهـا وهـو

يضحك بصوت عال
ابتسمت وقالت : اكلتها كلها وتريد أن تلصق التهمة بي؟
قال : لا ..لكن أريد ان اهديك اللحظة التي شاركتني فيها
وسأقول لك ما قاله البائع لي : ستدعو لي عندما تلامس شفتيك
شكرته صدفة وهي لا تدر ماذا تقول له إنه الشخص الوحيد الذي تجد نفسها أمامه طفلة ,تشعر أنه كبير كفاية ليحميها من تقلبات الزمان فرغم أن خالدا قدم لها العديد من اشكال الدعم المادي والمعنوي إلا أنها تجد نفسها مكافئة له لا تجده متفوقا عليها في شيء حتى سعد رغم ان عمره كان ضعف عمرها تقريبا إلا أنها أيضا كانت تشعر أنها مساوية له .بل إن إلحاده الديني وشططه العقلي جعلها تشعر أنها تفوقه عقلا وحنكة
أما محمود فالوضع معه مختلف تماما دائما تشعر بتفوقه وإنها لم تصل لما وصل إليه علميا وعمليا كما أنه مثقف وبموقفه الأخير فقد اثبت أيضا أنه حنون دافئ القلب غير أنه ليس بجنون خالد ولا عيني سعد التي سكنتها .
استأذنها في المغادرة ,توقعت أن يفتح معها امر خطوبتهما مرة أخرى إلا أنه كان أرقى من أن يفاتحها في هذا الأمر الآن كما لو كان يريد أن يؤكد لها انه جاء فقط ليهديها اللحظة وليس لشيء أخر ..
شكرته وودعته حتى باب المكتب وفي أثناء عودتها صادفت خالد خارجا من غرفة مكتبه ,كان قد رأى محمود أثناء دخوله تحدث معه بضع كلمات عرف منها أنه قادم للقائها..
نظر خالد في أعماقها وسألها : هذا الذي ينافسني الآن ؟!
ارادت ان تخبره أن منافسه الأوحد هو شخصٌ ملكٌ لمرأة أخرى ولكنها ابتسمت ثم ضيقت عينيها حتى صارا كثقبي إبرة ثم قالت بلؤم يخالطه المزاح : انت خارج دائرة المنافسة
قال: لا أدري يا صديقتي إن كان هذا مدحا أم ذما ؟!

قالت وهي مازالت تضغط على أحداقها وتبتسم: وهل يذم الصديق صديقه يا صديقي
قال بصوت ناعم هامس سرى في أنحاءها :أريدك بجواري أكثر من كوني صديق
قالت : وهل هناك أقرب من كوني معك بنفس المكتب وغرفتينا يفصل بينهما جدار واحد وأشارت بيديها نحو الغرفة فلاحظ علبة الشكولاتة
تحولت عيناه إلى علامتي استفهام ,ارادت أن تخبره كل شيء لا تعلم لماذا ؟ ما الذي يدفعها لمشاركته كل همومها وأفكارها
قالت هل ستدعوني لفنجان من القهوة ؟
قال: إذا دعوتني لمشاركتك تلك القطع التي تبدو لذيذة
قالت : إذا هيا بنا
انطلقا إلى حيث مكانهما المفضل لتناول القهوة «كافيتريا « صغيرة تقع بين الكلية والمكتب
وبعد أن جلسا وضعت «صدفة» علبة الشكولاتة امامهما على الطاولة ثم ابتسمت وقالت : جاء دوري يا خالد أنا أتكلم وأنت تسمع : يحكى أيها الملك السعيد ذو الرأي الرشيد أنه كان هناك فتاة لم يبلغ عمرها الرابعة عشر بعد،،،واستمرت في حكايتها فقد قررت أن تقاسمه ماضيها وحاضرها حتى وصلت إلى عرض محمود بالزواج منها .
مد خالد يده وأخذ علبة الشكولاتة وفتحها ثم نادى على الجرسون وطلب قهوة مرة أخرى
قالت صدفة : هل سنشرب قهوة مرة أخرى ؟
قال: وهل ما قولتيه يكفيه فنجان واحد من القهوة ؟ أتوقع أننا بحاجة لزيارة البرازيل خلال ساعات ,لم يبتسم وهو يمازحها هذه المرة

ابتسمت وقالت : البرازيل ؟
قال : نعم وأتوقع انها لن تكفينا وحدها سنبحث عن مصدر آخر جيد للقهوة نطق عبارته وهو يتناول قطعة من الشكولاتة وما أن وضعها على فمه حتى صاح :يا الله لا يمكن أن ترفضي أبدا صاحب هذه «الكارثة» ثم تناول واحدة أخرى وتبعها بثالثة و»صدفة» تنظر إليه متعجبة لم يدعوها لتناول قطعة واستمر بتناول القطع واحدة تلو الأخرى وكأنه انتبه لشيء فمد لها يده بقطعة أخذتها ووضعتها في فمها فعلا لها مذاق ساحر عجيب أول مرة تتذوق شكولاتة بهذا الطعم الرائع ,مدت يدها وأخذت أخرى فقد كان خالد مشغول بتناول القطع كما لو كان في مهمة يريد الانتهاء منها
ثم نظر إليها فجأة وقال : هيا مسابقة سنرى من يأكل أسرع وأكبر عدد من القطع ...
مازالت مندهشة من تصرفه بهذا النحو ولكنه مستمر في التهام القطع كما لو كان لم يتذوق شكولاتة من قبل ,لقد توقعت أن يرفض تذوقها من الأساس
التقطت صدفة عدة قطع من العلبة قبل أن يقضي عليها «خالد « تماما
ثم أخذ العلبة وقام إلى صندوق القمامة الموجود بالكافيتريا وألقاها
عاد إليها وهي لا تزال تفتح عينيها على آخرهما لا تدر ما الذي يدور حولها ...
مسح يديه بمنديل ورقي وأعطاها واحدا لتمسح يدها ، مسحت يدها وهي تنظر له بكل عينيها تسأله تفسيرا لما حدث
قام من مكانه ووقف امامها ومد يديه ومسح شفتيها بالمنديل من آثر الشكولاتة ,احمر وجهها خجلا ,أبعدت وجهها عن يده إلا أنه كان مصرا ، مسح شفتيها ثم جلس مرة أخرى ، رجع

للوراء وقال: هكذا لم يبق أي أثر لذلك الـ « محمود» أكلناه كله ومسحنا أثره تماما ,بقي «سعد» واتوقع أننا لن نستطيع أن نأكله بهذه السهولة.. نعم يا صديقتي لقد أكلت كل القطع متعمدا ,هل تتوقعين أن أتركك تذهبين إلى بيتك بهذه العلبة الخطيرة ,كلما تذوقتي واحدة ذكرتك بصاحبها ؟ والحقيقة يا صدفة أن هذه العلبة قد تمثل نقطة ضعف فلو أعطاها لي محمود وطلب يدي لترددت قبل أن أرفض ,هل تعتقدين يا صديقتي أن أتركك في حيرتك تائهة غارقة في هذا المذاق الرائع ؟ فما وظيفتي إذا يا ... ؟ أدركت أن الغيرة دفعته لهذا ,غار من علبة حلوى فما باله لو فتح قلبي ورأى أحدهم محتلا أركانه ؟

نعم اشتعلت الغيرة بين جوانبه لكن غيرته لم تكن من» محمود «فقد كان متأكد من كونه لا يشغل حيزا من عقلها ولم يقترب بعد من قلبها ,كانت غيرته الحقيقية من هذا الذي يراه دوما واقفا بينه وبينها ، أشعلت بحديثها النار في أحشائه دون أن تدري, كانت تقص عليه حكايتها بصدق تتلمس عنده الخلاص مما تشعر به إلا أن بريق الحب في عينيها يعكس صورته فيعميه عن الرؤية تماما ، تحكي وهو يتحسس صوته في صوتها كما لو كان هذا الغائب الحاضر يضيف إلى نبراتها رعشة محببة ، تمنى لو لثم شفتيها لعله ينسيها هذا الكائن في الذاكرة ,كانت تتكلم وعيناه معلقة بشفتيها المرتجفة شوقا إليه ، هل تدركين معنى أن انظر إلى هاتين الشفتين الحائرتين وأن تلفحني هذه الأنفاس التائهة ؟ ماذا تفعلين بي يا أميرتي ولماذا يجب علي الانتظار وإلى متى ؟ فلن يشفيك من بؤس أفكارك وسجى ذكرياتك غير قطرات من مطر وقبلات ,إلا أنه خشي أن يفقدها بتهوره .

قصت عليه قصتها ببراعة لم يلاحظ قبل ذلك قدرتها الفائقة على السرد وتجسيد الشخصيات فأخذته بحديثها تحت الطاولة حيث

جلست لسنوات ثم سحبته كما سحبت سلك المحامي حتى شعر أن حبهما أسطورة خالدة سيوثقها العارفين بالعشق يوما ما كانت تجسد له المشاهد مما جعله يحبس أنفاسه أحيانا خشية أن يراها أحد وهي تتحدث إلى حبيبها وسمع أنفاسهما أحيانا كصدى مترنح على أنغام العاشقين يعبث بأوتار الحب على قيثارة الهائمين

أوجعتني يا صدفة ,أشعلتني عبثتِ بثنايا روحي وأنت تتحدثين عنه ,كم رغبت في أن أحيط قلبك بكفي ثم اقترب منه شيئا فشيئا فإذا ما لامس فمي قلبك نفخت فيه من روحي فلعلي أطرد بأنفاسي أنفاسا سكنتك وروح تملكتك

سأقاتله في قلبك يا حبيبتي سأرفع في وجهه أسلحتي حتى يفنى من قلبك ,فإذا ما رأيته صدفة في طريقك ضحكتِ وسألتِ من هذا ؟

وسأبدأ من الآن فلتستعدي قال خالد في نفسه

نظر في عينيها طويلا ثم سألها : هل لديك وقت لترجمة رواية عدد صفحاتها ٥٦٠ صفحة ؟

صمتت قليلا ثم أجابت : توقعت أن تقولي لي شيئا

أجاب : بخصوص ماذا ؟

ما سمعته الآن : قالت غاضبة ثم تابعت: أم انك لم تصغ إلي

قال: بل سمعتك بكل ما أوتيت من قدرة على التركيز

قالت: لكنك لم تقل شيئا

قال : ردي على ما يخص « محمود « فقد التهمته تماما كما رايتي وإن تحدثت بكلمة واحدة عنه مرة أخرى سألتهمك أنت أيضا ,فأنا أتمالك نفسي كثيرا ولا أتوقع أن قدرتي على الصمود ستستمر أكثر من ذلك أوشكت على الانهيار فلتحذريني

احمر وجهها خجلا ثم قالت بصوت منخفض : و»سعد»

قال : تعمدت ألا أتطرق لهذا الموضوع

قالت : لم؟

قال: لان أمي علمتني أن القلوب كالعناصر الكيميائية ليست جميعها قابلة للتفاعل والذوبان

قالت: لكن قلبي تفاعل وذاب

قال: أخشى ان أصدمك بالحقيقة فأنا اعتدت معك الصراحة والوضوح ...

قالت: تكلم

قال : باختصار لم تحبيه يوما وكذلك هو لم يدق قلبه لك أبد «

كان خالد يعلم جيدا انه يكذب وأنه لم ير حبا يفوق حبهما, كان يتذكر يوم رآهما في المستشفى حينما أدرك أن الحب إذا تجسد في عينين ستكون عيناهما ..

وتذكر يوم رأى سعد على باب منزل العائلة يوم وفاة جدها,كان مجدولا بالعشق مقيدا بالهوى برغم وجود امراته إلى جواره ، إنه يكذب وهو يعلم أنه يكذب ، لكن لا ضير عليه ان يخلصها من حُبِّها الأسطوري الوهمي ، عليه أن ينقذها من براثن عينيه للأبد .

احمر وجهها غضبا فهي تقبل أي شيء إلا ان ينسف جبل عشقهما ثم قالت : ماذا تقول ؟

الحقيقة تابع بهدوء وثبات فقد كانت بداية خطته أن يحلحل أركان عقلها ثم قلبها ,فكان عليه ان يتحدث بالمنطق : اعطني دليلا واحدا على حبه لك ؟

ألقى كلمته في وجهها وهو يعي ما يقول فبُهت الذي عشق ولكنها لم تُلقي أفكارها بين يديه مستسلمة فقالت : بل أعطني أنت دليلا واحدا على انه لم يحبني يوما

قال وهو يدري كم سيقسو على قلبها الصغير الذي لو كان الأمر بيده لقبله ألف قبلة قبل أن يقسو عليه ولكنه واصل: تركك

ومـضى ولم ينظـر خلفـه ، لم يبـذل مـا يعينـه عـلى البقـاء بقربـك,لم يسع إلى الوصول إليك قيد أنملة ، كنتِ وقتا جيدا ممتعا بالنسبة إليـه ثـم انقـضى ،،و،،

وقفت صدفة وعيناها ممتلئة بالدموع ثـم قالـت : لـن تفهـم شـيئا أنـت تحكـم عـلى الظواهـر

وقـف أيضـا وللمـرة الأولى أخـذ يدهـا في يديـه احاطهـا بكلتـا كفيـه فنامـت كفهـا الصغـير كـما لم تنـم مـن قبـل فكـم تحتـاج للنوم,تحتـاج للمـوت والبعـث في عـالم غـير العـالم أمـا هـو فقـد شـعر أنـه أدخلهـا إلى قلبـه عندمـا لامسـها وكأنـه كان في حاجـة إلى هـذه اللمسـة ليختـبر ثبـات أعصابـه ,وكأن يدهـا شـهاب احـترق كل مـا مـر عليـه حتـى سـقط عـلى أرض روحـه مخترقـا طبقاتهـا فنـام في أعماقهـا .

جمـع الحـروف بصعوبـة فقـد شـعر بفقـدان القـدرة عـلى النطـق و قـال: صارحتـك بنـاءا عـلى مـا قصصتـه عـلي ,تحتاجـين وقتـا لـكي تـدركي حقيقـة موقفـك وتعيـدي تقيمـه مـرة أخـرى

ثـم تابـع وهـو لا زال قابضـا عـلى كفهـا رغـم محاولتهـا لـئن تفلـت مـن بـين أصابعـه : عندمـا أراك غـدا في المكتـب سـأحضر لـك روايـة أرجـو أن تترجميهـا بقلبـك ,صبـي عليهـا مشـاعرك صبـا هـذه الروايـة لشـاعرة أمريكيـة قـررت للمـرة الأولى ان تكتـب قصـة مـن واقـع حياتهـا

أومأت برأسها لخالد ثم قالت : سأترجمها

قال : بمشاعرك يا صدفة

صمتـت وسـحبت يدهـا مـن يـده كان لازال قابضـا عليهـا بقـوة كـما لـو كان قابضـا عـلى سر وجـوده يـصرخ في أعماقـه فلتتركيهـا بـين يـدي فأنـا أحتـاج لتلـك اللحظـات المـز لزلـة ,إلا انـه اضطـر في النهايـة أن يفلتهـا مـن يـده .

غادرتـه وهـي تسـأل نفسـها لمـاذا لم تشـعر بيـده القابضـة عـلى يديهـا؟ رغـم أنـه أبقاهـا في يـده لفـترة طويلـة كانـت تفكـر خـلال هـذه

اللحظات السريعة لما لم تجتاح يده اعماقها فتبعثرها ؟ولماذا لم ترتجف أناملها مثلما ارتجفت للمسات سعد الخاطفة ؟ تذكرت حينما أحاط «سعد» معصمها فتدحرج قلبها من أعلا جبل الحب حتى استقر بين كفيه ,أرادت وقتها أن تغفو على صدره وأن تهبط بيدها الأخرى على كتفه لتنام كما لم تنم من قبل

****

اصطحب سعد زوجته للطبيب في اليوم التالي وكل ما يشغل باله هو الحصول على طفل ، شرح للطبيب أنه متزوج من عدة شهور ولم يحدث حمل حتى الآن ، وأنه أراد أن يطمئن على نفسه وعلى زوجته ...
فحص الطبيب زوجته وطالب بإجراء بعض التحاليل والأشعة, وطلب منه الذهاب لطبيب مختص ورشح له أحد الأطباء وطلب أن يمرا عليه مرة أخرى بعد مرور ٤٨ ساعة ...
بعد انتهاء المدة المحددة كان سعد قد أجرى فحوصاته ايضا,ذهبا إلى الطبيب سويا وهو متوجس أن تأتيه نتائج التحاليل بما لا يسر خاطره إلا أن الطبيب أخبرهما أن لا مانع يمنع حدوث الحمل ، وان المسألة مسألة وقت ، نصحهما بالراحة والاسترخاء ثم وصف لاماني بعض المنشطات ولهما بعض الفيتامينات .
خرج سعد من العيادة سعيدا ولكن بنكهة القلق فهو يتقدم في السن كما أن زوجته أيضا ليست صغيرة ,الوقت يمر ، عليه أن يحصل على طفل سريعا ومما يزيد توترا أن زوجته لا تهتم بالأمر ولا تلق له بالا ولم تفاتحه فيه من قبل ولم يشعر أبدا أنها متلهفة لوجود طفل ...
في حياتهما ، غريبة جدا هذه المرأة ومختلفة عن كل من صادفهم من النساء إلا أنه قال في نفسه : لهذا تزوجتها ,أم أنك نسيت ذلك

؟!

مـرت صدفـة في خيالـه كطيـف سريـع تذكـر حينـما رأهـا آخـر مرة,تحسـس هاتفـه بيـده كـما لـو كان يتأكـد مـن وجودهـا قريبـة منـه ,أراد أن يهمـس لهـا « أحبـك» إلا أنـه تراجـع عـن ذلـك ,يريـد أن يمـضي قدمـا في حياتـه, ثـم سـأل نفسـه لمـاذا تحتفـظ برقـم هاتفهـا ومـاذا أردت أن تخبرهـا ؟ أشـاح بوجهـه عـن سـؤاله وقـال بصـوت عـال دون أن يقصـد : سأنسـاكِ

انتبهـت زوجتـه لكلمتـه التـي خرجـت مـن شـفتيه فجـأة فسـألته : مـا الـذي ستنسـاه ؟

قال بسرعة : القلق

_قلق؟!

_القلق بخصوص « الطفل»

_ فهمت

في المسـاء طلبـت منـه أمـاني أن تذهـب لابنـة خالتهـا حيـث دعتهـا الأخـيرة للعشـاء ...

سـمح لهـا بالذهـاب ولم يذهـب معهـا ولكنـه تسـائل لمـاذا لم تدعـوني للذهـاب معهـا ؟

أصبحـت زوجتـه تخـرج ثـلاث مـرات عـلى الأقـل تلبيـة لدعوات العشـاء مـن قبـل صديقاتهـا وأقاربهـا ولا تـأتي إلا بعـد منتصـف الليـل ,حـدث أن جـاءت مـرة أو مرتـين بعـد شروق الشـمس ,انفعـل سـعد حينهـا وأخبرهـا إذا تأخـرت عـن الثانيـة عـشر فلـن يسـمح لهـا بالخـروج مـرة أخـرى ...

أصبحـت تخـرج وتسـهر وحدهـا قـال في نفسـه مؤنبـا إياهـا : كانـت تسـهر أمامـك ومعـك والآن تسـهر وحدهـا بعيـدا عنـك ، مـاذا فعلـت أيهـا الأحمـق ؟ ألهـذا لم تنزعـج حينـما منعتهـا مـن دعـوة أصدقائهـا بالبيـت؟ تذكـر إيهـاب ابـن خالتهـا وتلـك المـرة التـي رآهـما معـا في

« البلكونـة» لم يتأكـد حتـى الان مـا الـذي حـدث بينهـما ، لا يريـد أن يظلمهـا لكنـه يشـم رائحتـه في جسـدها فـلماذا ؟ هـل أذهـب معهـا؟ لكنهـا لم تدعـوني وكذلـك لم يوجـه احـد منهـم لي الدعـوة كأنهـم لا يعرفوننـي وكأنهـم لم يسـهروا في بيتـي حتـى الصبـح ليـال عديـدة ، علـي أن أعـرف مـا الـذي يـدور !

بعـد يومـين أخبرتـه أمـاني أنهـا سـتذهب لعيـد مـيلاد إحـدى صديقاتهـا في المسـاء وانهـا سـتخرج مبكـرا مـن العمـل كي تشـتري لهـا هديـة وتشـتري ثوبـا جديـدا ، قـال لهـا : سـأذهب معـك لـشراء الفسـتان كـم يسـعدني أن ننتقـي سـويا ونتشـارك معـا كل تفاصيلنـا ثـم ابتسـم وتابـع ولأجلـك سـأذهب معـك لحفـل صديقتـك ,فأصدقائـك أصدقـائي

كان يريـد أن يُقيـم رد فعلهـا ,توقـع أن ترفـض أو تعـترض لكنهـا قالـت : كـم يسـعدني ذلـك يـا حبيبـي ,قالتهـا بوجـه خـال مـن كل معـاني الحـب واللهفـة في أن تكـون بجـواره ، وجـه بـارد كتمثـال مـن الشـمع ليـس فيـه أثـر لحيـاة أو بقيـة مـن روح ,إلا أنهـا لم ترفـض ووافقـت بـل رحبـت ...

احتار في فهمك يا امرأة ...

انصرفـا سـويا متجهـين لـشراء الهديـة والفسـتان ,بـدأت بانتقـاء الهديـة وأصرت أن يكـون هـو مـن اختارهـا عـلى ذوقـه وكلـما أخبرهـا أنهـا صديقتهـا وعليهـا انتقاءهـا مـا يناسـبها مالـت عليـه بـدلال وهمسـت لـه أثـق في اختيـارك ، عاتـب نفسـه لأنـه يظلمهـا ويشـك في تصرفاتهـا ,اختـار سـوارا رقيقـا طلـب مـن الصائـغ نقـش حـروف اسـمها عليـه وتغليفـه بشـكل جميـل .

توجهـا بعـد ذلـك لـشراء الفسـتان ,دخلـت أمـاني المحـل الـذي اعتـادت أن تشـتري منـه ,فصاحـب المحـل يحـضر لهـا بعـض القطـع خصيصـا ويتصـل عليهـا ليخبرهـا بالجديـد دومـا

أجلسـهما صاحـب المحـل في مكتبـه ثـم طلـب مـن احـد الموظفـين ان

يحـضر لـه القطـع الجديـدة الغير معروضـة
وضع أمامهما ٤ فساتين لتختار منهما ما تريد
اختـارت فسـتان, عبـارة عـن قطعتـين منفصلتـين القطعـة الأولى حمـراء مطـرزة بخيـوط فضيـة تظهـر كتفيهـا وصدرهـا امـا الظهـر فـكان عاريـا تمامـا ,القطعـة الثانيـة كانـت عبـارة عـن جيـب أحمـر منفـوش قصـير لمـا فـوق الركبـة ,والمسـافة بـين القطعتـين كافيـة لإظهـار مسـاحة كبـيرة مـن «البطـن»
قال « سعد» هذا الفستان غير لائق أبدا
سألته : لماذا ؟
خـشي أن يقـول لهـا أنـه سيكشـف أكـثر مـما يسـتر لكنـه يعـرف ردهـا: نحـن ملحـدون يـا حبيبـي أنـا وأنـت ، أنـا إلـه نفـسي كـما أنـت إلـه نفسـك ,فلنفعـل بأنفسـنا مـا نريـد ونرتـدي مـا نريـد
لكنـه يتخيـل عيـون إيهـاب وهـي تلتهمهـا ، إن زوجتـه بارعـة جـدا في إظهـار مفاتنهـا وأنوثتهـا تعـرف كيـف ترسـم مـن نفسـها لوحـة فنيـة مذهلـة ,رغـم أنـه كلـما تذكرهـا في ثيـاب ابنـة عمـه بشـعرها القصـير المنفـوش أدرك أنهـا مجـرد تمثـال للجـمال لكنـه غـير أصلي,تـم تزويـره بحرفيـه .
قال : انه لا يناسبك
يناسب من ؟ سألته
قـال يناسـب فتـاة غـير متزوجـة لم تبلـغ الثامنـة عـشر ,أمـا أنـت فزوجـة وقريبا « أم»
طلبـت مـن البائـع فاتـورة الفسـتان فقـد قـررت شراءه كـما انتقـت حـذاءا فضيـا ثـم التفتـت لـه وقالـت : نعـم أنـا زوجـة ولكنـي لم أصبـح أمـا بعـد ,دعنـي اسـتمتع برشـاقتي وتناسـق جسـدي قبـل أن أتحـول لــ « فيـل» مـن أجـل الطفـل المنتظـر ثـم تابعـت قائلـة ، لقـد اخـترت هديـة صديقتـي بنفسـك ، دعنـي اخـتر فسـتاني بنفـسي ألم تخبرنـي أننـا

يجب أن نتشارك ؟ أيـن المشـاركة إذا اخـترت الاثنـين يـا حبيبـي !
أراد أن يـضرب رأسـه بـأي شيء أمامـه عقابـا لـه عـلى غبـاءه الـذي يتضح لـه يوما بعد يـوم أمـام هـذه المرأة الغريبـة التـي لا ترفـض لـه طلبـا ثـم تحـول كل مـا يريـده لمصلحتهـا فقـد صممـت عـلى أن يختـار هديـة صديقتهـا وهـي تشـعره بـان ذوقـه راق وأنهـا تثـق بـه جـدا ,ثـم تسـحب منـه كل صلاحياتـه في اختيـار ثوبهـا .
في المسـاء ارتـدت «امـاني» ثوبهـا الجديـد ,لم يسـتطع أبـدا أن يكتـم اعجابـه بالفسـتان ولا بالطريقـة التـي ارتدتـه بهـا وكيـف صففـت شـعرها ليناسـب اطلالـة الفسـتان و « المكيـاج» المذهـل الـذي جعلهـا تبـدو كـــ « عارضـة أزيـاء» لكنـه أيضـا لم يسـتطع أن يتغافـل عـن جسـدها المكشـوف أمامـه بشـكل مثـير ، عليـه أن يتقبـل نظـرات إيهاب وهـي تلتهمهـا التهامـا ويـده التـي يضعهـا عـلى كتفيهـا وظهرهـا وأحيانا عـلى سـاقيها ,لكنـه ابتلـع اعتراضـه وخـرج يتأبـط ذراعهـا إنهـا اختيـاره وعليـه أن يتقبـل هـذا الاختيـار ...
رحـب بـه كل الضيـوف لم يشـعر للحظـة أنـه ضيـف غـير مرحـب بـه التـف حولهـما مجموعـة مـن الأصدقـاء وكذلـك بنـات خالتهـا ,لم يكـن إيهـاب وانتهـت السـهرة دون أن يظهـر ، كـم كنـت مبالغـا في ظنـوني ,يبـدو ان هـذه هـي طريقـة حياتهـم ,مختلفـة عـن حياتـه وعـن الطريقـة التـي عـاش بهـا ,ولكنهـا الطريقـة التـي كان يحلـم بهـا طـوال عمـره « التحـرر» مـن كل شيء والتحـرر لا يعنـي الخيانـة لكـن في أوطاننـا نخلـط دومـا مـا بـين الاثنـين هكـذا اقنـع نفسـه .
عـادا إلى منزلهـما وهـو يريـد أن يقبلهـا ألـف قبلـة يعتـذر فيهـا عـن اساءته الظـن بهـا وتمنـى في نفسـه أن يشـعر بقبلـة واحـدة منهم,يـرضى بتـذوق قبلـة واحـدة مـن القبـلات الألـف ,كـم يريـد ان يـذوب في فمهـا كالشـمع أو كقطـع الثلـج التـي تتسـاقط منهـا حبـات الشـوق والماء ,لكنـه أبـدا لم يرتـوي حتـى الان ولا يعـرف مـا الـذي يحـول بينـه

وبين أن يضيع في خطوطها ,وأن ينهار في ثناياها كجبل من جليد اشتعلت فيه النيران ، يريد أن يشعر بذاك البركان الذي انفجر داخله عندما لامس يدي صغيرته الساكنة في أعماقه بعيدا عن الضوضاء والحفلات والسهرات ,يريد ذلك الزلزال الذي اجتاحه حينما جلست أمامه فنظر في عينيها وهي تتلعثم خجلا . ابتعدي يا صدفة عن خيالي الان ,ودعيني أمضي كما أشاء

****

قرأت «صدفة « الرواية التي أحضرها لها « خالد « كانت الكاتبة تحكي عن تجربة الحب الأول ,ذكرتها برواية الكاتب المصري المعروف «إحسان عبد القدوس» « الوسادة الخالية» تلك الرواية الرائعة التي تحولت إلى فيلم مصري ناجح ,تناولت رواية « عبد القدوس « الحب الذي يصادف الشخص في بداية حياته عندما تكون مشاعره غضة وأفكاره لم يكتمل نضجها بعد ,لكنه يظل حبا راسخا في الأعماق ,غير أن الشاعرة الأمريكية تناولت الحب الأول من وجهة نظرها هي فكتبت عن الحب الذي يصادف الانسان في وسط طريقه وخضم أحداثه ,عند اشتداد معاركه ونضج أفكاره ,ذلك الحب الذي يغير خارطة المحب ويرسم دروبا جديدا فيستحدث واحات ويفجر أنهارا بعدما ظن كل الظن أن النهاية قد أوشكت وأن ستار حياته أوشك أن ينسدل معلنا النهاية بوفاة ما كان يسمى داخلنا « مشاعر» فيظهر هذا المارد باعثا فينا الأمل مرة أخرى ، شرحت الكاتبة ان الحب الأول هو الحب المزلزل الذي يفيض أنهارا تثمر أزهارا فتكسو الدنيا بكساء الربيع ,دون الالتفات إلى متى جاء وكيف جاء ولا على أي حال كنا حينا التقيناه

أتقنت الكاتبة وصف المشاعر المتغيرة المصاحبة للإنسان في كل مرحلة من مراحل حياته كما أنها تركت القارئ يحتار معها في

كيفية التعامل مع هذا الحب إذا أقبل متناسيا الظروف متجاهلا القيود التي تفرضها علينا الحياة ، ثم تسأل هل ننساق لجنونه ونغترف منه متذوقين طعم الحياة للمرة الأولى حتى ولو كان سيدوم للحظات او لأيام قليلة ؟ هل نُسارع فنضمه إلينا قبل ان تنفرط ايامه ؟! ام نرفضه راكلين اياه باحدى قدمينا ونموت قهرا منزويين داخلنا !

لجأت الكاتبة لترك النهاية مفتوحة وعلى الكاتب أن يختار ما يناسبه إلا أنها قدمت نصيحة في نهاية الرواية « لا تقتلوا قلوبكم وأحيوها بالحب»,

تأثرت صدفة جدا بالرواية وعاشت كل تفاصيلها وقررت أن تقرأها للمرة الثانية قبل أن تشرع بالترجمة ,وعندما سألها خالد عنها قالت : سأقرأها مرة أخرى قبل ترجمتها

قال: هذه الرواية قرأتها عشرات المرات كانت صديقتي في خلواتي قبل أن ألتق بك ، صمت قليلا ثم تابع هذه أول رواية سيُكتب عليها اسمك ,فضعي فيها قلبك ,واوصليها بمشاعرك فهي ستكون « مولودك» الأول وسأكون أنا الأب الروحي لهذا المولود قالها وهو يبتسم في لؤم مضيقا حدقة عينيه ثم تابع : سأتواضع وأقبل بهذا الدور لعل الأيام تمنحني نفس اللقب لطفل آخر حقيقي

احمرت وجنتاها ثم شكرته على اهتمامه ومساندته وهي لا تدري كيف يمكنها أن ترفضه ولماذا لا تشعر به ؟ ما الذي يمنعها عنه ، تتمنى لو لامس شيء فيه قلبها فيدفعها للركض نحوه ، أبحث فيه عن جنون الحب فلا أجده ، عيناه ينقصها شيء ما لا أعرفه فهي لم تخترقني بعد ولم تستقر في أعماقي ,أجده صديقا وأخا مخلصا وجارا أمينا وزميلا رائعا ,أجد فيه كل المسميات إلا مسمى « الحبيب» لعل هذا ما يؤهله ليكون زوج مناسب يا صدفة قالت في نفسها ، عليك أن تتأكدي أن فارقا كبيرا بين الحب والزواج

فالحب هو كائن خرافي يحتل بخرافته أرواحنا ,يدفعها نحو الجنون أحيانا وخالد لم يدفعني بعد لحافة الجنون لم يستطع أن يرسل لي طيفه ليحوم حولي ولم يهمس لي في نفسه « أحبك» لم يلاحقني كما تلاحقني الدقائق والساعات فلا أستطيع التخلص منه ولا منها أما الزواج والأسرة والاستقرار هي أشياء واقعية تسير وفق حسابات دقيقة ثم تابعت ,لكن اذا كان هذا هو الزواج فما الذي يدفعني للزواج منه وهو الذي يسبر غور أعماقي ويقرأني ككتاب مفتوح في هذه الحالة يكون «محمود او ما يشبهه هو الأنسب ,وماذا إذا عاد إليك « سعد» ؟ لم تُجب على سؤالها فقد اعتبرته محض خيال

مرت الأيام على صدفة سريعة جدا تكاد تشعر بأن الدقائق تحاربها والأيام تعاديها فتفر منها هاربة ,ما بين دراستها في الجامعة وقد أوشك العام الأخير على الانتهاء وبين ترجمة الرواية « مولودها « الأول كما أسماها خالد

نسيت كل شيء ما عاداهما حتى « محمود « الذي اتصل عليها مرتين خلال هذه الأيام يسأل عن حالها ويخبرها أنه لازال ينتظر ردها

****

كان سعد أيضا مشغول بسهرات أماني ، اضطر في النهاية أن يوافق على اقامة بعض السهرات مرة أخرى بدلا من خروجها المتكرر,كما كان يعتذر عن مرافقتها أحيانا ويتركها تذهب بمفردها بينما هو جالس في البيت بمفرده أو يخرج لبعض الوقت ليقابل أصدقاءه على «المقهى» الذي اعتادوا ارتياده ...

أخبرته زوجته أثناء تواجدهما في العمل أنهما سيذهبان للسينما مع أصدقائهما لمشاهدة الفيلم الجديد ,وافق واعتبرها منحة سماوية فعلى أقل تقدير سيعودان إلى البيت عند منتصف الليل

إلا أنـه لم يستطع مغادرة الفراش في المساء للخروج معها ,كان يشعر ببداية «انفلونـزا» وآلاما بجسده كاملا ,توقع أنها قد تبقى معه إلا أنه تمنت له السلامة وأخبرته ألا يغادر الفراش حتى تعود ووعدته أنها لن تتأخر من أجل خاطره ,ضحك ساخرا في نفسه أتعبت نفسك يا زوجتي العزيزة ,أين أنت يا أمي يامن كنت تجلسين تحت أقدام والدي إذا ما مرض لا يغمض لك جفنا حتى يُشفى تماما ؟ حمد لله يا أمي أنك انتقلت لعالم آخر ليس فيه ابنك وزوجته .

بعد ساعة شعر سعد أن حرارته ارتفعت وآلام جسده تزيد ,قام ليبحث عن أي مسكن وخافض للحرارة ,فتح الأدراج فوجد علبة دواء «مسكن « أخذ منها قرصا لكنه قبل أن يبتلعه نظر إليه جيدا ,لفت نظره أن الدواء عبارة عن حبوب صغيرة على غير عادة الحبوب المسكنة ,أخذ حبة من الدواء احتفظ بها وهو يدرك جيدا ما هي لكنه أراد أن يتأكد بنفسه ...

وضع العلبة مكانها وبحث عن مسكن في مكان آخر فوجده وهو يخطط لمراقبة زوجته وعلبة الدواء ,كان ظنه في محله ، تداوم أماني على تناول حبة كل ليلة ، اذا هذا الذي يمنع حدوث الحمل ، لا يريد أن يثور الآن عليه أن يتريث قليلا ,فهو اعتاد على أن يفكر جيدا قبل أن يتكلم ...

في اليوم التالي خرجت أماني مبكرا من العمل وقالت له أنها ستتناول الغذاء مع أسرتها ، شعر وكأنها لا تعنيه تذهب للغذاء مع والديها أو مع شخص آخر لا فرق عندي فقد كانت أكذوبة مثلما كنت أنا أيضا أكذوبة ، لم أكن صادقا في حياتي إلا في تلك اللحظات التي كنتُ أقضيها مع وجه القمر الغائب خلف سحب عنادي وضياعي ، تحسس الهاتف بيديه ، يريد أن ينتزعها منه ويُجلسها أمامه ليحكي لها عما أصابه ,فأنا لا أعلم أحد غيرها

قادر على أن يسمعني ,لا أحد مثلها سيتحملني,هي فقط حبيبتي وأمي ,بحث عن رقمها فظهر أمامه على شاشة الهاتف « صدفة» وجد نفسه يضغط زر الاتصال .

كانت صدفة لا زالت تعمل على ترجمة الرواية التي أعطاها لها خالد عندما رن هاتفها برقم غير مسجل لديها ...

ضغط زر الاستجابة : ألو

قال : آلو «جاءها صوته كأصابع من لهب لامست جبينها وطافت بقلبها فأحرقتهما معا»

صمتت ولم ترد ,تابع قائلا : أريد أن أتحدث معك في أمر هام

قالت : لا مجال للحديث بيننا الآن ولا شيء يجمعنا

قال : أحتاجك في أمر هام ,أريد أن أتحدث ولا أحد سيسمعني غيرك ولا أحد سيكتم سري ويصدقني غير أمي وصغيرتي

قالت : لست أمك ولم أعد صغيرتك

قال : امنحيني بضع دقائق فأنا في مأزق ولا يمكنك أن تخذليني فأنا لا أجد غيرك ألجأ إليه

قالت : بضع دقائق فقط

قال : سأتركك وكرمك

قالت : لا لابد أن نحسم هذا الأمر الآن

قال : نعم بضع دقائق ,متى تنتهي محاضراتك ؟

قالت : اليوم أنا بالعمل غدا عند الواحدة ظهرا

قال : في العمل ثم تابع مع خالد

قالت : أمر لا يعنيك

رد : كما تشائين غدا عند الساعة الواحدة ظهرا سأكون على باب الجامعة

في اليوم التالي وعند الساعة الواحدة ظهرا كان سعد ينتظرها أمام

باب الجامعة بسيارته ,لم يخبر زوجته أين سيذهب ,تركها تعمل في احد الملفات وغادر دون أن يتحدث إليها ، وما إن رأى صدفة تقترب منه حتى أغلق هاتفه النقال ووضعه في جيبه ,لا يريد أن تضيع دقيقة واحدة من وقته معها ولا يريد أن يصرف نظره عن أي شيء سوى عينيها ثم نزل من السيارة ,واستقبلها بابتسامة حاول أن تكون طبيعية إلا أنه لم يستطع أن يُخفي عليها اضطرابه ,فقد كانت تعرفه أكثر ما يعرف هو نفسه ، ظهرت ابتسامته حائرة ,مقبلة ومدبرة في آن واحد .

فتح لها باب السيارة جلست وهي لا تفكر في أي شيء سوى ما أصابه ، تشعر بقلبه يرتجف ,يبحث عن راحتيها لكي ينزوي داخلهما ويبكي بقوة

جلس على مقعده وهو لا يتكلم ,خشي أن تسبقه دموعه ,دموع الشوق لتلك الساكنة داخله والجالسة بجواره الآن ودموع الغدر من تلك التي اختارها لترافق دربه ,فإذا بها تقتل أولاده وهم لا زالوا في العدم ...

قالت صدفة : إلى أين ؟

قال: إلى حيث أرتاح ,ثم انطلق

قالت : كيف حالك ؟

قال: ضائع صمت قليلا ثم تابع ،,بدونك

ردت في غضب : اتفقنا أني هنا لتقص علي مشكلتك ليس إلا

قال : اتفقنا ثم ابتلع كلمة أخرى كان على وشك التلفظ بها « اتفقنا على شرط أن تطفئي تلك الشعلة المستعرة داخلي ، أن تغربي بشمسك عني فكيف أنجو منك وأنت في حالة شروق متواصل وسطوع مستمر «

أوقف السيارة ونزل منها ,نظرت صدفة حولها فلم تجد أي مكان صالح للجلوس ، دار حول السيارة وفتح الباب وقال : تفضلي

نزلت وهي مشوشة ,أشار بيده إلى الشجرة وقال : تعالي
سار باتجاه شجرة وهي خلفه صامته ، ثم جلس مستندا على جذعها ولكنه أعطى ظهره للطريق ووجه نظره للفضاء أمامه,كانت مساحة واسعة من الأراضي الزراعية تمتد مد بصرهما, أشار بيديه لها وقال تفضلي ...لا تخشي على ثيابك واجلسي
ابتسمت لجنونه وجلست بجواره فلم تكن تخشى على ثيابها فقد كانت ترتدي بنطالا من الجينز الأزرق الغامق وجاكت بني اللون تحته قميص في لون السماء وتلف وجهها بحجابها
قال : لعلك تسألين نفسك لماذا نحن هنا ؟ولماذا لم آخذك إلى أي مكان حيث أدعوك إلى شيء ؟ هل تعتقدين أني بخيل؟
قالت : لا ولكن اتعجب فعلا من هذا التصرف
قال : أعطني هاتفك
قالت : لم؟
_هيا اعطني اياه
_اعطته الهاتف وهي مازالت تتعجب من تصرفاته المجنونة
_أخذ هاتفها وأغلقه وأعطاها إياه مرة أخرى
_لأني أردت ألا تضيع منا لحظة واحدة حتى تلك اللحظات التي كان سيسألنا فيها « الجرسون» عما نريد أن نأخذه ، قولي بخيل,مجنون, قولي ما تشائين قوله إلا أني لن أفرط في دقيقه واحدة من دقائقي معك ..
احمر وجهها تلعثمت وهي تقول : فلندخل في الموضوع
مدد ساقاه أمامه ورفع رأسه متكئا على جذع الشجرة وسافر ببصره بعيدا عنها وبدأ يحكي لها ,لم يخجل ولم يخف شيئا ، بدءا من تصرفاتها في شهر العسل ثم إلحادها وشكوكه في علاقة تجمعها بابنة خالتها وانتهاءا بدواء « منع الحمل» الذي تخفيه في علبة المسكن ,قص عليها كل التفاصيل ، ثم ضم ساقيه والتفت إليها

فالتقت عيونهما للمرة الأولى منذ أن رآها اليوم
سحبت عينيها بعيدا عنه ,يشعر بها وهي تسحبها بقوة ,وكأنما عيناها لا تطاوعها على السفر بعيدا عنه ولكن صغيرته القاسية تجبرها على ذلك
نظرت أمامها وقالت : أخشى أن أتحدث بحريتي فلا يعجبك حديثي كما أخشى أن تعتقد سوءا فيما أقول
أجاب : لو أني أعلم سوءا عنك لما قصدتك وحدك دون غيرك ، تكلمي فأنا أريد أن أسمعك ،,اكمل في نفسه تحدثي يا قطعة مني تجلس بجواري ,هلا اقتربتِ اكثر كي أسمعك بوضوح ,هلا لامستِ بشفتيك وجهي كي اتفهم ما تقولين ,هل تسمحين لي بان ألتهم عذرية شفتيك ؟ أعلم عنهما ما لم يعلمه غيري واخبر مذاقهما رغم أني لم المسهما حتى الآن ,وأعلم أنه لا احد قادر على ان يفض بكارتهما غيري ,لكنني أدفع ثمن حماقتي .
ضيقت من حدقة عينيها وهي تنظر إليه وقالت : دعنا نكون محددين يا سعد ...
وقع اسمه على أذنيه غريبا رغم كونه يمتلكه ,أخبريني بالله عليك كيف نطقت هذه الأحرف الثلاثة وكأنك تعزفين كل حرف حدة ثم تبعثرينه على مرأى ومسمع مني ثم تنثريه على شفتيك فتلمليه مرة ...
انتبه على صوتها : الأمر الأول وهو الذي لا يستطيع أحد منا أن يتكلم فيه حتى الآن هو شكوكك بخصوص علاقتها بإيهاب ، هذا الأمر ما لم تتأكد منه بنفسك أو تعترف هي لك به فلا يجب أن نتكلم نحن فيه ,فالله تعالى أمرنا بعدم قذف المحصنات ولأنها تعلم ضحالة معلوماته الدينية فقد شرحت له في عجالة النهي عن قذف المحصنات وحدوده وأحاديث الرسول في مثل هذه المواقف للمرة الأولى في حياته يستمع بكل كيانه لحديث ديني ، كما أن سرد

صدفة للأمر جذبه وجعله يشعر بالحنين لشيء ما لا يعلمه ,إلا أن داخله الآن فارغ ويحتاج لملء هذا الفراغ الآن

ثم قالت : هذا بخصوص شكوكك ، فلننح هذا الأمر جانبا ونلتفت للأمر الآخر

لم يرد وتركها تستكمل حديثها فقالت أما بالنسبة للإلحاد فلا تغضب مني لا أنت ولا هي ولا إيهاب واثقين فيما تعتقدون فيه فلو كنت ملحدا حقا ما غضبت من تصرفاتها ولا من لمسات قريبها ولا نظرات الناس التي تنهش في لحمها ، لو كنت ملحدا ما أغضبك أن تعلن تمردها وتحررها ,ولكن للأسف هي فعلت اليوم ما فعلته أنت سابقا فقد أرادت أن تخرج من باب التكاليف برضا تام وضمير مغيب كما أرادت أن تجد المبرر لتصرفاتها وكذلك فعل ابنة خالتها ,أما انت أيها الاستاذ المعلم فيؤسفني أن أخبرك بأنك لم تكن مقنعا للحد الذي يجعلهما يلحدان أمامك وجل ما فعلته أن منحتهما بطاقة تبرير لأخطائهما ومسكننا لضمائرهم التي كانت تعذبهم من وقت لآخر ، بيدك باركت تصرفاتهما أيها الملحد الذكي ضغطت على أسنانها وهي تتابع بسرعة وغضب حتى لا تعطيه فرصة للحديث ,تريده أن يستمع الآن فقط ...

فتابعت: إلى متى ستظل خائفا مرتعشا ، إلى متى ستظل تختبئ أو تهرب في الأوقات التي يجب عليك فيها المواجهة ؟ أيا سعد اذهب إلى زوجتك وتحدث معها بوضوح وصراحة في أمر الإنجاب,إن هذا الأمر وحده كافيا لتحديد علاقتكما ، على أحدكما ان يتنازل للآخر . أنت تريد طفلا وهي لا تريد ، اذهب واجلس مع امراتك واكثركما اقناعا سيفوز في المعركة ويكون التنازل من الطرف الأخر,الأمر أبسط مما تعتقد لكنك اعتدت الاختباء والهروب وعليك الآن ان تدرك ان الحياة لن تمنحك شيئا وأنت تُحايلها من خلف ستائر ارتعاشك ، بالله عليك هل صادفت ملحدا متواريا خلف ظنونه

مثلك ، اخرج من خلف ستائر نفسك ، قاتل أفكارك ، عد إلى نفسك ,قبل أن تعود إلى ربك وان كان الطريق واحد

قم يا سعد واذهب إلى زوجتك واحسم أمرك للنهاية ,واعلم ان ما ستقرره اليوم سيرسم شكل حياتك القادمة

فإما تقنعها بالإنجاب ووقتها يجب ان تدرك أنه لا يجوز لك اتهامها ولا الشك فيها فما ذنب الطفل الذي تحارب من أجل الحصول عليه أن ترمي أمه بأفظع التهم ...

أو أنها سترفض ووقتها عليك ان تختار أن تعيش بدون طفل للابد او تعيش بدونها

اذهب يا سعد وقرر الآن قالتها وهي تهب واقفة استعدادا للرحيل ، نظر إليها وهو لايزال يجلس على الأرض ويمد ساقاه امامه ثم قال : إلى أين ؟

قالت : انتهت مهمتي فليذهب كل منا إلى حيث يشاء

قال : اريد الذهاب معك ,الست أمي ؟

ابتسمت وقالت : تبرأت منك ، ثم تابعت فلتحافظ على العهد الذي قطعته ,تعرض مشكلتك ثم ننصرف بدون الحديث في أي أمور خاصة

سمعت صوت أنفاسه وهو يتنهد ثم قال : سأحافظ

قام من مكانه وهو لا يتمنى شيء في دنياه غير أن يتوقف به الزمان والمكان عند هذه اللحظة .

****

في المساء جلست «صدفة» تحكي لوالديها عن الرواية التي تترجمها وعن أفكار الكاتبة الجريئة التي تتناول الحب الأول او الحب الحقيقي الذي يقابل الانسان مرة واحدة فقط بغض النظر عن متى قابله ؟قد يقابله في سنواته الأولى وقد يقابله في منتصف

عمره أو حتى في آخره ورغم ذلك فإنه يمنح المحب حياة جديدة ومختلفة باختلاف ضربات قلبه وهزات وجدانه ,يضفي عليه عيونه بريقا لا يراه إلا عاشق مثله

كانت تحكي بانفعال وتأثر شديدين حتى أن والدها قال: ستكون هذه الرواية بداية جديدة لك ,وستتحول حياتك من بعدها

قالت : لماذا؟

رد والدها : لأنك تترجمينها بمشاعرك وتكتبيها بأنامل من نار أكاد أشعر بلهيبها ، ستمضي بعدها في رحلتك يا صدفة وسترسم لك الصدفة التي ألقت بخالد في طريقك طرقا أخرى وستلقي في طريقك عابرون آخرون يمرون على صراط فؤادك فأيهما سيعبر وأيهما سيسقط فيه ولا يخرج أبد ؟ لا أحد يدري حتى الآن

ابتسمت لوالدها فقد كانت كلماته توصف حالتها بدقة ، وقالت في نفسها :لكنك يا أبي لا تعلم أن من سقط سقط وأن من مر مر ، كما أن على صراطي المزعوم لازال خالد يجلس فلا هو يسقط فينزع سعد من داخلي ولا هو يمر ويتركني لحالي ,لا تعلم يا أبي أن ابنتك ممزقة مبعثرة كُتب عليها العزلة داخلها و داخل أسلاك الهاتف وتحت هذه الطاولة القديمة التي كانت في يوم من الأيام سقفي وبيتي حيث أسكن قلبه ويسكن فؤادي ...

وأنت يا أبي لا تعلم أني ذهبت للقاءه اليوم فرد إلي روحي ,هل تعلم يا أبي أني ما حقدت عليه ولا شمت فيه ، هل تعلم أني وددت أن أضمه إلى صدري وأمحو عنه رقائق العذاب التي تغلف عينيه وخيوط الالم المتشابكة حول يديه ...

كان علي أن اقوم بدوري وأن آخذ بيده فهكذا انا أجيد لعب دور البطولة وإن كان على حساب نفسي ...

انتبهت على صوت والدها يسألها : ما أخبار « محمود»؟ إذا كان لا يناسبك فلماذا التأجيل في الرد ؟

ردت «صدفة « : على العكس أراه مناسبا جدا إلا انني أريد أن أنتهي من دراستي وكذلك نشر الرواية أولا حتى أفكر بشكل أكثر عمقا .

سكت والدها إلا أن والدتها التي كانت تتابع المناقشة في صمت تدخلت فجأة وقالت مستنكرة : عمقا ؟! لماذا؟ وهل طلبنا منك اختراع الذرة ؟ الرجل مناسب من كل الاتجاهات لماذا التردد والعمق الذي تقولين الأمر عنه أبسط من ذلك بكثير

ضحكت «صدفة» وقالت : بل هو أعظم عندي من اختراع الذرة ,إنه مستقبلي ومصيري فلابد أن أفكر بعقل أين سأكون ومع من سأعيش بقية عمري ...

وافقها والدها وأضاف حتى يهدأ من روع زوجته : لكن التردد والتأجيل قد يأتي بنتائج عكسية

ردت : أعلم يا أبي ولن أتردد كثيرا فقط بضعة شهور قليلة أنتهي من اختباراتي ...

صمت والديها وقامت هي من مكانها واتجهت صوب غرفتها بعدما تمنت لهم أحلاما سعيدة

****

في الصباح توجهت إلى مكتب الترجمة مباشرة فقد كان عليها تسليم الرواية لخالد بعد أن انتهت منها ,حملتها برفق كأنها تحمل طفلها الأول ودقت بابه ثم دخلت

كان خالد يجلس على مكتبه عائم في بحر من الأوراق والكتب,إنه يشبهها تماما ,ليست والدته فقط التي تشبهها بل هو أيضا,تشعر بأنه خُلق كي يجمع أشلائها المتناثرة كقطع من الزجاج البلورية الحادة ,يلملمها بحرص تام ويضع كل جزء في مكانه ,ماذا كنت سأفعل إذا لم التقيك ؟ إن الصدفة التي ساقتك إلى مدينتنا تستحق

التخليد والتكريم ,إن الصدفة التي ساقتك إلي مختلفة تماما عن الصدفة التي قادتني إلى سعد ورمتني داخله بعمق وردمت علي ما شاءت من أحداث ومشاعر وذكريات حتى صرتُ «مدفونة» داخلة وأنا على قيد الحياة ، لا أعلم إلى متى سأظل موءودة داخله؟

توجهت إليه ومدت يدها بالرواية مترجمة ومطبوعة في أوراق وضعتها في مجلد رسمت عليه صورة امرأة وخلفها دخان على شكل دوامة في نهايته مجموعة من الايادي الكثيرة الممتدة نحوها اعجبته الصورة حتى أنه قال : ستكون هذه صورة الغلاف ثم تابع : لم اتوقع أن تنتهي منها بهذه السرعة ...

أجابت : كان علي أن أنتهي منها قبل أن تبدأ اختباراتي النهائية كما أني أحببتها جدا وكان الوقت في صحبتها رائع ...

قال وهو يبتسم : الوقت في صحبتك «عمر» يا صدفة يضاف إلى عمري ,أصبح عمري منذ أن التقيتك ملايين السنوات ,تعبت من السفر الطويل داخلك .

أجابت وهي تنظر نحو الأرض واحمرت وجنتاها خجلا : أخبرتك من قبل أني أريدك بجواري ولا أريد أن أفقدك ,الصداقة التي بيننا أبقى من أي مشاعر أخرى ,هل اخبرك سرا ؟

أومأ لها برأسه موافقا فقالت : أنت أصبحت جزءا من يومي وحياتي و مصباحا ينير لي ظلمة طريقي لا أريد ان أستيقظ يوما فلا أجدك ، أشعر وكأنني أصبحت عاجزة عن الحب وأن قلبي أصبح شيخا عجوزا يتكئ على عصاه ويسير بخطوات ضعيفة نحو النهاية .

أجاب : ولهذا أريد ان ابقى بجوارك ,احتاج إليك كما تحتاجين إلي,أشعر أني لازلت غريبا في هذا المكان ,فقط أشعر بالطمأنينة وانا بجانبك ,أنتِ وطني فلا تنفيني خارج عالمك ,فكري ياصدفة جيدا

لا تتسرعي بالرد لن تجدي بيتا كقلبي ولا متكئا كصدري ولا واحة كيدي أقدمهم لك وأسألك هل تريدين المزيد
ابتسمت في خجل وقالت : صرت جريئا يا صديقي ,خذ الرواية وأعدك أن أفكر جيدا

****

في هذه الأثناء كان «سعد» يجلس على مكتبه في المصلحة ينظر إلى زوجته التي تتحدث في هاتفها النقال وقد صارت تقضي نصف يومها تتحدث في الهاتفوالنصف الاخر امام المرآة وبين الملابس والمكياج قال في نفسه :فلنحسم الأمر الآن .
توجه إليها وقال : هيا لنخرج الآن
نظرت إليه متسائلة : إلى أين ؟
اجاب : سنذهب إلى أي مكان أريد ان أتحدث معك في أمر هام
كان هادئا وهو يتحدث حتى أنها لم تستطع أن تتوقع ما هو الأمر الهام فردت بهدوء مماثل لهدوئه :فلنذهب
خرجا سويا وتوجها إلى حيث اعتادا أن يجلسا دائما طلب سعد لنفسه قهوة وطلب لها عصير البرتقال الذي تحبه
أخذ رشفة من فنجانه وهو يطيل النظر فيها تعرف جيدا كيف تبدو جميلة وأنيقة إلى حد المبالغة ,وذكية جيدا
قالت : هل ستظل تنظر إلي هكذا ؟
أجاب : أحب النظر إليك
ردت : وانا احبك
ابتسم لها وابتسم ساخرا لنفسه عندما لم يشعر بكلمتها تهز كيانه كما كانت تختلعه من جذوره إذا نطقتها صغيرته

قارن بين احساسه بأماني واحساسه بصدفة فكاد أن يصفع نفسه لما اقترفه في حق قلبه ,نظر إليها مطولا وهو يقول في نفسه:

حاولت يا زوجتي أن أمضي قدما في طريقك إلا اني فشلت في أن استمر ,سامحيني فلم أستطع أن أشعر بك ,لم أستطع أن ادخلك داخلي وأغرسك كشجرة في أعماقي ,حاولت أن أشتهي روحك ,شفتيك .تمنيت أن أحيا في قُبلتك ولكني كنت أُقبلك وأنا لا أشتهي ذلك ,بينما كانت عيناي مثبتة على شفتي صغيرتي وودت لو قبلتها ألف قبلة كلما نطقت حرفا وكلما صمتت ، لم تغمض عيناي لحظة وأنا أتخيل كيف سالتقم شفتيك ولا كيف سأضيع في أنفاسك ولا كيف ستلهج أنفاسي باحثة عن شيء يقربها أكثر منك ,ولا ماذا سيحدث عندما تحترق أعصابنا وهي تطالبنا بالمزيد من الارتواء ثم نعود ولم تسمن قبلتنا من جوع ولم تروي من عطش إن الحب يجعل صاحبه في حالة جوع مستمر ونهم متزايد فيما عدا ذلك لا يسمى حبا بل يسمى نداء الطبيعة .

ثم قال بهدوء : أريد طفلا

ردت : لقد ذهبنا إلى الطبيب واخبرنا أنه لا يوجد موانع و أن المسألة مسألة وقت

رد : بل هناك موانع ثم صمت قليلا وتابع : في علبة المسكن بجوار سريرك

انتظر أن ترتبك أو تتلعثم أو يحمر وجهها خجلا إلا أن شيئا من هذا لم يحدث واجابت بكل هدوء : لا أريد أطفالا على الأقل الآن

_ متى إذا ؟ ليس أمامك ولا أمامي كثيرا من الوقت

_ الأمر ليس بهذه الأهمية بالنسبة لي ولا أريد أطفالا الآن

_ لماذا ؟

_ لدي أسبابي ومنها أني لا أريد أن خسر رشاقتي وأكتسب مزيدا من الوزن وأسير منتفخة البطن ، لا أستطيع أن أتخيل أني أمشي وسط الناس بهذه البطن المنفوخة والوجه المتورم

_لهذا السبب فقط ؟

_ كما أني لا يمكنني أن اتخيل أن أبقى في المنزل حبيسة ٤ جدران وطفل صغير ، سيمنعني من الخروج والسهر ، تخيل أن أخرج مع أصدقائي وأنا أحمل طفلا رضيعا يبكي كل عدة دقائق
_ إن السهرات لن تدوم وأصدقائك سيتفلتون ,تعلمين أن بعضهم انقطع عن الخروج معكم بعدما تزوج واستقر
_ أنا لا أفكر في هذا على الاقل حاليا
_إذا خيرتك ؟
_بين ماذا
_ الطفل أو الانفصال ,قالها بهدوء شديد كما لو كان يتمنى أن تختار الانفصال ,لا يعرف لماذا هل يطمع في أن تعود إليه «صدفة» لا يدري ولكنه على كل حال يشعر ان موافقتها أو رفضها سيقعان نفس الوقع عليه
_ أجابت في هدوء : الانفصال ! هكذا بكل بساطة ؟
أجاب : أو الطفل
نظرت إليه مطولا وقالت : الانفصال
رد عليها بنفس الهدوء : لا تتعجلي في الرد خذي وقتا كافيا للتفكير وعودي إلى والديك وخذي رأيهما وانا في انتظار ردك
قالت: ليس لوالدي شأن في هذا الأمر إنها حياتي أنا ، سأذهب إلى بيت أهلي الآن حتى نتمم إجراءات الانفصال
أجاب : اذهبي حيث شئتِ و إذا راجعت نفسك فأنت تعلمين مكان البيت وإذا كنتِ مصرة على موقفك ابلغيني حتى نبدأ في إجراءات الطلاق
اوصلها إلى منزل أسرتها وانطلق بسيارته لا يريد العودة إلى البيت ولا يدري إن كان ما فعله هو الحل أم أنه تسرع ؟ إلا أنه ارتاح لما فعل ,وبدون ان يشعر وجد نفسه يتصل بصدفة كي يخبرها بما حدث معه

دق هاتفها معلنا «سعد» يتصل امسكت بالهاتف ولكنها لم تضغط زر موافق ثم وضعت الهاتف في حقيبتها ,عاود الاتصال بها مرة أخرى ولكنها لم تجبه

سألت نفسها : لماذا لا تجيبيه ؟

فردت على سؤالها بسؤال ولماذا اجبه ؟ لقد طلب مشورتي فأشرت عليه وليس بيننا الآن أكثر من ذلك

فردت : هل تكذبين على نفسك أم على من ؟ ما بينكم اكثر بكثير من تصور أي شخص

_قد يكون ذلك صحيحا إلا أني لن أترك نفسي تقودني هذه المرة

دق هاتفها للمرة الثالثة أخرجت الهاتف وهي تنوي أن ترد عليه وتخبره بألا يتصل بها مرة اخرى ولكنها عندما نظرت في شاشته وجدت أن المتصل « محمود» ضغطت موافق وقالت : ألو

رد : كيف حالك يا صدفة ؟

_بخير كيف حالك أنت

_ الآن بخير ثم تابع أين أنتِ؟

_ بالمكتب

_اسمح لي ان أمر عليك الآن لمدة ٥ دقائق فقط وأعدك الا أتسبب لك في أي عطلة

_ تفضل

أغلقت الهاتف وهي متوترة ,لماذا يريد ان يمر عليها ؟ لم يكن ينقصني لقائك اليوم يا محمود خاصة بعد حديثي مع خالد ومكالمة سعد التي لم أرد عليها

بعد نحو ربع ساعة دخل محمود سلم عليها وهو يبتسم لها بوجهه كله ,كان أنيقا إلى مدرجة ملفتة وشعره مصفف بطريقة حديثة ورائحته تسبقه حتى أنها طارت في أنحاء غرفتها فأصبحت كما لو أنها غارقة في رائحته

_كيف حالك

_ بخير كيف حالك أنت

_ بخير يا صدفة ثم فتح حقيبة جلدية وأخرج منها رزمة من الأوراق وضعها أمامها ثم اخرج علبة أقلام لم ترى صدفة أجمل منها في حياتها وضعها بجوار الأوراق وهو صامت لا يتكلم ,ثم أخرج علبة صغيرة مغلفة بغلاف بني اللون ومربوطة بشريط أصفر لامع ووضعها أيضا امامها ثم قال : هل أمشي الآن ؟

قالت : لكنك لم تخبرني ما هذه الأشياء ولماذا أحضرتها لي ؟

قال : ما بك يا صدفة ألا تعرفين ما هذا ,إذا سأعلمك هيا رددي خلفي ,أقلام ,أوراق

ابتسمت وهي تقول : أدري انهم اقلام وأوراق لكن لماذا ؟ ثم أنك لم تقل لي ما هذه العلبة ذات الشريط الأصفر

قال : سأخبرك ولكن عليك أن تنتبهي أني لم آخذ من وقتك غير ٥ دقائق كما وعدت ,وأنك من تطلبين وقتا اضافيا

ضحكت وهي تقول : أعترف أني من طلبت وقتا اضافيا ,هيا أخبرني

قال: ما رأيك ان تعترفي أيضا أنك معجبة بي وانك موافقة على اعلان خطوبتنا ؟

قالت : هذا على حسب ما ستخبرني به الان .

أجاب : ما سأخبرك به الأن ليس له علاقة بنا وليس رشوة كي تقبلي بي ولكن شيء أحسسته وودت ان أفعله ثم تابع : هذه أوراق واقلام كي تبدئي في تأليف رواية

قاطعته مستنكرة : تأليف؟!

_ نعم ستكتبين رواية بنفسك تخلدين فيها مشاعرك وتضعي فيها أحلامك واعتبريها «صندوق» حياتك وليكن اسمها « صدفة « أشعر انك تملكين الكثير وتخفين أوطانا بين ثنايا عقلك ,أنت بالنسبة لي كالجبل الذي يظهر لنا جزءا منه ثم يُخفي أضعاف ما يظهر لنا

تحت باطن الأرض
اكتبي يا صدفة أفرغي على هذا الأوراق سيولا من الأفكار والأسرار ولا تتعجلي في الرد علي فأنا أريدك ان تكتبي أولا حتى يهدأ داخلك قبل اتخاذ أي قرار
للمرة الأولى تخترق كلماته قلبها شعرت بمدى رُقييه وعذوبته وأناقة افكاره ,إ نه ليس أنيق الملبس فقط بل إن داخله أجمل كثيرا من مظهره
قالت : والعلبة ؟!
قال : هذا أفخر أنواع البن جلبته لك خصيصا يسمى « قهوة الأرابيكا» حتى تكتبين وأنت في قمة تركيزك واستمتاعك
قال كلمته وهو يهب واقفا لم يدع لها مجالا للتعليق ,فهو يريدها أن تكتب فعلا كما ان لديه يقين تام بان أسلوبها سيكون ساحر وإنها خلقت للكتابة وليس للترجمة
وقفت لتودعه وسارت خلفه عدة خطوات فالتفت إليها وهمس : خُلقتِ للكتابة وليس للترجمة ,عليك أن تعرفي ذلك وان تحددي طريقك بدقة ,لا تتركي أحدا يقرر عنك
انصرف « محمود» وتركها غارقة في أفكارها ، ماذا فعلت بي ؟ ومن أدراك أني أجيد الكتابة ؟ بالكاد أنا اترجم ومن سيهتم بما أكتبه ؟ ثم سألت نفسها أخيرا : لماذا أنت في قمة الذوق يا محمود أتعبني سمو اخلاقك ورُقي تفكيرك
دخل خالد عليها وجدها غارقة في أفكارها أمامها الورق والأقلام والعلبة
أمسك بالعلبة بين يديه وسألها : شكولاتة مرة ثانية ؟!
قالت : لا إنها قهوة الأرابيكا
_ ولم كل ذلك ؟
_ حتى أبدا في تأليف روايتي الجديدة

_ هل ستكتبين رواية ؟
_ لا اعرف هذا ما قاله محمود
_ ما قاله محمود ؟ قالها مستنكرا ثم تابع وهل محمود هو من يقرر عنك الآن ؟
قالت : لا طبعا ,لكنه يقترح
_اذا أخبريه أن يحتفظ باقتراحاته لنفسه
_ هل ترى أني لا اصلح للكتابة ؟
_ لم أقل ذلك أبدا لكن لا اريد لأحد أن يقود خطواتك ويقرر عنك
_ هو قال ذلك أيضا
_لا أفهم
_ لا شئ هل من الممكن أن أغادر الان ؟
_ تفضلي

انصرفت وتركته حائرا ,كان يعلم جيدا أنها تستطيع الكتابة وإذا فعلت فإنها ستُجيد ما ستخطه يداها لكنه يريدها هنا بجواره ,لم يعد يتحمل أن تبتعد عنه كثيرا ,يدور طوال يومه في مدارها وكأنها تمتلك جاذبية الأرض فتدفعه إليها دفعا وتمنعه من السباحة في مسارات الكواكب الأخرى ,أريد أن أحملك بعيدا وأسافر بك بعيدا ,أو أُخفيكِ داخلي ,أحبك يا صدفة أحبك بجنون لماذا لا ترين ذلك في عيوني ؟ ما الذي يمنعك من رؤية عشقي ؟ إني متيم بك حد الجنون ولن أتركك لغيري مهما كلفني الأمر .

في صباح اليوم التالي ذهب سعد إلى عمله متأخرا فقد سهر إلى وقت طويل يُفكر في أماني ويسأل نفسه لماذا لم ترد صدفة على اتصالي ؟ لعلها كانت مشغولة قال في نفسه ثم جاوب : كان من الممكن ان ترسل رسالة أو تتصل ريثما يحلو لها ,لكنها تجاهلته تماما

نظر في الغرفة لم يجد أماني ومر اليوم كاملا ولم تأت

في اليوم التالي لم تأتِ أيضا أماني للعمل ,قال في نفسه لعلها تريد ان تفكر بهدوء بعيد عن أي ضغط من جانبي سأتركها حتى تهدأ تماما ...
لم تأتِ أيضا في اليوم الثالث فكر في أن يتصل بها لكن شيء ما يمنعه وفي منتصف النهار قابل رئيسه في العمل فسأله الأخير :
لماذا طلبت اماني الانتقال من القسم ؟
تلعثم فلم يكن لديه أي علم عما فعلته زوجته ولكنه تنبأ بردها عليه وأنها ستخبره بأنها على استعداد للانفصال
خرج من عمله غضبان ركب سيارته وتوجه نحو الجامعة وعلى بابها وقف ينتظر صدفة طويلا لكنها لم تظهر انتبه لأنه لا يعلم مواعيد محاضراتها الآن ,اتصل عليها ولكن المكالمة لم يرد عليها أحد
لماذا يا صغيرتي ؟ لماذا تنأين بنفسك عني الآن ؟ أنا في قمة الاحتياج لك ، من غيرك سينقذني من نفسي ؟
إلا ان صدفة لم تجب هاتفه للمرة الثانية أدار محرك سيارته وانصرف بعيدأ

****

انشغل «خالد « في طباعة الرواية التي ترجمتها صديقته العنيدة كما انشغلت هي في اختباراتها النهائية فانقطعت مؤقتا عن الذهاب للمكتب
وانشغل «سعد» ايضا بإجراءات الطلاق ولم يجد صعوبة في التخلي عن أسرته الجديدة كما لم تجد زوجته ايضا صعوبة في الانسلاخ من عالمه الذي لم تدخله أصلا فحياتها كانت مليئة من قبل أن تلتقي به وبعد ذلك لم يتغير شيئا حتى فكر انها تزوجته فقط لتُسكت الألسنة التي تلوك تصرفاتها ,كما أنها اخبرته بعد الطلاق انها ستظل تحتفظ به صديقا مخلصا فلقد كان زوجا جيدا وسيكون صديقا رائعا كما همست في أذنه أنها ستظل « ملحدة «

بقيـة حياتهـا ...
لا يـدر لمـا آلمتـه كماتهـا ونزلـت عـلى صـدره كقطـع مـن الصخـور الكبـيرة حتـى أنـه شـعر بضيـق في التنفـس لأول مـرة في حياتـه وألم شـديد في الـرأس حتـى أن رأسـه كاد أن ينفجـر مبعـثرا مـا فيـه مـن أفـكار واشـواق وذكريـات ...
في المسـاء جلـس يُفكـر في شـكل أيامـه القادمـة ومـاذا سـيفعل بعـد طلاقـه مـن امـاني ، إلا ان تفكـيره واحساسـه متوقـف عندهـا ، لا يسـتطيع التفكـير إلا في صدفـة ، مـن بعـد لقـاءه بهـا في عـزاء جدهـما وهـي لا تغيـب عـن بالـه ,يراهـا في كل الوجـوه كـما لـو كان مسـحورا كلـما وقعـت عينـاه عـلى شيء ذكـره بـه ,وكلـما سـمع صـوت تخيـل أنـه صوتهـا ,حتـى انـه كان يتفحـص وجـوه المـاره مـن نافـذة سـيارته فيراهـا كل النـاس ,أصبحـت تهـذي يـا سـعد وأوشـكت عـلى الجنـون لابـد وأن تقتلعهـا مـن داخلـك قبـل أن يقتلـك الشـوق إليهـا
أمسـك بهاتفـه واتصـل بهـا ليخبرهـا أنـه أتـم إجـراءات الطـلاق لعلهـا تـرق لحالـه وتعـود إلى أحضانـه التـي تيبسـت بـردا وإشـتياقا إلا أنهـا لم تـرد ، كاد أن يُلقـي بالهاتـف مـن النافـذة لمـاذا لا تردیـن يـا صدفـة نظـر في سـاعته فوجدهـا تعلـن عـن منتصـف الليـل همـس « أحبـك» «أحبـك» بجنـون
وقـع الكتـاب مـن يديهـا وسرت الرجفـة في انحاءهـا تلقـت الكلمـة كسـهم اخـترق جسـدها ليسـتقر في فؤادهـا ,اشـتقت إليهـا يـا «حبيبـي» لم تهمـس بهـا مـن فـترة طويلـة ,تـرى مـا الـذي ذكـرك بهـا؟ ومـالي اشـعر بـك الآن وحيـدا ؟ مـالي لا أشـم رائحتهـا في رائحتـك؟ هـل انتهـى مـا بينكـما ؟ ألهـذا تهمـس في قلبـي الآن ؟ أمسـكت بهاتفهـا الـذي كان عـلى وضـع « الصامـت « فوجـدت مكالمـة مـن « سـعد»لم يتـم الـرد عليهـا ، قالـت في نفسـها ولـن يتـم الـرد عليهـا فأنـا عندمـا أرشـدتك للطريـق لم أكـن أسـتخلصك لنفـسي بـل لنفسـك انـت ثـم تابعـت

مذاكرتها ...

في اليوم التالي و على باب «لجنة الاختبارات « كان ينتظرها « خالد» لم يرها من أكثر من أسبوع ,قاوم كثيرا كي ينتظر انتهاء الاختبارات وعودتها للمكتب إلا أنه لم يستطع انهارت مقاومته في لحظة فركب سيارته واتجه نحو كليتها ,كان على علم بمواعيد الاختبارات ، كان يحصي كل تفاصيلها الصغيرة عددا ,يهتم بكل شؤونها وهو سعيد ومزهو بما يفعل ...
خرجت من باب اللجنة مع صديقة لها يتكلمان بصوت مرتفع ويضحكان أيضا بنفس الصوت العالي ,نظر إليها وهو يقول في نفسه : تحركي ايتها العنيدة تقدمي نحوي وهات الدنيا في يديك ، ثم تذكر اصرارها على ان يظلا أصدقاء فقال : أقبلي أيتها « الباردة» كجبل من جليد لا يعبأ أن بجواره فوهة بركان كاد أن ينفجر ، ماهذا البرود ؟ ومن أين اكتسبته يا صديقتي ؟
ابتسمت له حين رأته فقد كان مجرد وجوده بجوارها يشعرها بالبهجة ويرفع من منحنى سعادتها ,كانت تحب لقاءه ولا تشعر بالوقت في حضوره ,كلاهما يكون غريب ومنفي حتى يلتقيا,فيشعر كل منهما بأنه عاد لوطنه أخيرا ، شعور بالأمان لم تشعر به إلا معه رغم خوفها منه فقد كان الوحيد الذي سمحت له بعد سعد أن يراها من الداخل و هي التي لا تحب ابدا ان يغوص أحد داخلها ,إلا انها أمامه بجسد كزجاج شفاف أملس يكشف كل ما وراءه ,لهذا تخشاه وتخاف أن تترك مشاعرها لتنساب على كفيه وتغرق وجهه وتُشعل ضلوعه لوعة وألما .
حياها بابتسامة صغيرة وهو يحاول أن يرسم ملامح الجد والعبوس : مخصوم منك نصف شهر يا نصف عاشقة
قالت : أنا نصف عاشقة ؟

_ بل ربع
_ربع؟!
_بل أنت قاسية
_ لم كل ذلك ؟
_ ألم تُفكري مجرد تفكير في الاتصال بمديرك لتسألي عن أخباره ؟
قالت وهي تبتسم : اعتذر يا سيادة المدير شغلتني الاختبارات
_ وكيف هي ؟
_ من ؟
_ الاختبارات
_ بخير الحمد لله
_ بقي كم مادة ؟
_ مادتين سأنتهي منهما الأسبوع القادم
_ هل تسمحين بمشاركتي فنجان قهوة
_ لا إلا أنها تابعت هل تسمح بدعوتي على أي شيء آكله أولا لأني أتضور جوعا ثم القهوة
_ ابتسم ابتسامة كبيرة أحاطت بها ثم ضمتها ومن ثم أدخلتها في قلبه ,نظر إليها وهو لا يريد أن يتكلم بأي كلمة غير « أحبك» إلا انه خشي أن يفسد عليهما اليوم فاكتفى بصحبتها
تناولت « صدفة « طعامها كله فلم تبق منه شيئا ,حتى سألها ان يطلب المزيد إلا انها رفضت ومدت يدها في طبقه وأخذت قطعة من اللحم ووضعتها أمامها وقالت إن شئت اطلب لنفسك,كانت تتصرف بتلقائية كما لو كانت تجلس مع ابيها او اخيها
سألها : متى آخر مرة أكلتِ فيها ؟
قالت : قبل أن أدخل اللجنة للاختبار ولكني لم أكل سوى ثلاث شطائر «جبن» ومثلهم « مربى» وقطعة كيك وكوب من الشاي بالحليب

نظر إليها وهو يفتح عيناه على آخرهما فهذه المرة الأولى التي يعرف فيها مدى شراهتها في تناول الطعام ثم قال لها : لكن لا يبدو على وزنك كل هذه الكميات التي تتناولينها ,فلو كنت أكل ما تأكلينه لأصبحت الآن نصف فيل

_ هذا مرض وراثي في عائلة والدتي تحمله إناث العائلة دون الذكور ويتوارثه بعضهن جيلا بعد جيل ، فأنا مجرد ان اذهب للبيت الآن سأكل اضعاف ما اكلت الآن

صمت وهو يفكر في هذه الحالة المرضية وماذا إذا تحولت كل هذه الكميات التي تتناولها إلى سعرات حرارية ومن ثم تحولت إلى دهون متراكمة ,كيف سيكون شكلها حينئذ وجد نفسه يضيق حدقة عينيه وهو ينظر إليها ويتخيل شكلها عندما يتضاعف وزنها إلا ان ضحكتها التي صفعت رأسه جعلته ينتبه لها وهي تقول : هل صدقت ؟ يا خسارة ، كنت أريد ان اتركك لأفكارك أكثر من هذا إلا اني خشيت أن تتركني وتهرب فأضطر لدفع فاتورة الغذاء ثم تابعت : أمازحك قالتها وهي تزم شفتيها وتقوس حاجبيها ثم تفردهما في حركة طفولية

_ تمازحيني ، بكل هذه الملامح الجدية أيتها الممثلة القديرة ,إذا عليك أن تدفعي ثمن ذلك ، فاتورة الغذاء

_ ضحكت وقالت في صوت طفولي : آخر مرة ,لن افعلها ثانية

_ لقد صدقتك قالها وهو يتكلم بشكل جدي

تذكرت عندما كانت تجلس لساعات طويلة تحت الطاولة تحادث فتاها وعشقها الاول والأخير وتخبره بقصص وهمية ولا يكتشف كذبها إلا عندما تقول له : هل صدقت ؟ كنت أمازحك, فيرد عليها : لو أمامي الآن لكنت جذبتك من شعرك

انتهى الغذاء ، شربا القهوة وتحدث في أمر الرواية واخبرها خالد بما تم فيها حتى الآن وعن اخبار المكتب لم يسألها عن شيء آخر فقد

كان حريص على ألا يُفسد أمسيته معها .
مـر الأسبوع سريعـا انتهت صدفـة مـن اختباراتهـا ودعـت زملاؤهـا والتقطت معهـم بعض الصور كذكـرى لأيـام الجامعـة واتفقـت مـع بعضهـم عـلى الخـروج عـدة مـرات وودعتهـم وانصرفـت إلى بيتهـا تشـعر بالفرحـة والخـوف في آن واحـد تلقـت أيضـا خـلال الأيـام الماضيـة عـدة مكالمات مـن «سـعد» لم يتـم الـرد عليهـا فقـد اجلـت التفكـير في شأنه حتـى تنتهـي مـن دراسـتها وجاءتهـا عـدة رسـائل مـن خالـد ردت عليهـا كلهـا ورسـالة مـن محمـود يذكرهـا بأنـه لازال وراءهـا عمـل كبـير يقصـد « تأليـف الروايـة» ردت عليـه أيضـا وشـكرته عـلى اهتمامـه وتشـجيعه
وصلـت إلى بيتهـا نشـوى بإتمـام دراسـتها وانتهـاء اختباراتهـا قبلـت والدتهـا ووالدهـا وجـدت سـامح يتحـدث مـع والدهـا في أمـر خطوبتـه فقـد انتهـى مـن الخدمـة العسـكرية ويعمـل الآن في وظيفـة ثابتـة وأصبـح مسـتعدا للـزواج ، قالـت بصـوت مـليء بالفرحـة يـا ليتـك تسرع بالـزواج يـا سـامح أريـد أن انفـرد بوالـدي فـردت أختهـا الصغـيرة كيـف سـتنفردين وانـا موجـودة ثـم تابعـت غاضبـة : لا أدر لمـاذا تتصرفـون وكأننـي غـير موجـودة
قبلتها صدفة وقالت : أنت الخير والبركة سننفرد سويا
دق جـرس الهاتـف كان المتصـل زوج سـناء يخبرهـما بـأن سـناء عـلى وشـك وضـع مولدهـا الأول وأنـه سـيذهب بهـا الآن للمستشـفى
أخـبره سـامح ألا يتحـرك قبـل أن يأتـوا إليـه ثـم انصرفـوا جميعهـم مسرعـين فقـد كان أول حفيـد لهـم وكـم كانـوا في اشـتياق لـه رغـم أن مشـاعر الخـوف والقلـق كانـت تزاحـم مشـاعر الشـوق لرؤيـة الطفـل حـاول سـامح أن يخفـف عنهـم وأن يأخذهـم بعيـدا عـن الموضـوع فقـال لوالـده علينـا أن نشـتري سـيارة يـا والـدي فموضـوع الـولادة والأطفـال بـدأ لتـوه ولـن ينتهـي قريبـا لذلـك نريـد سـيارة فلقـد اصبحـت مـن

الضروريات
رد والده : عندما نطمئن على سناء نفكر في الأمر
نظر سامح لصدفة وقال : سأعلمك القيادة
سكت قليلا ولكنه وجد الدموع تنساب من عيونهم وهم يستمعون إلى صراخ سناء ولا يستطيعون ان يخففوا عنها شيئا فقال متظاهرا بالمزاح : أخيرا سيقول لي أحدهم «خالي» ردت صدفة وهي تبكي وأنا أيضا سأصير خالة ...
رد عليها : رغم كل شرور سناء إلا أنها أول من سيمنحنا هذه الألقاب ثم تذكرها وهي تصرخ مستغيثة بوالدتها فقال مقلدا صوتها : « ياماما تعالي وانظري ما يفعله أبنائك بي « فضحكت صدفة وضحك والديها وما هي إلا لحظات حتى خرج الطبيب يخبرهم بأن سناء وضعت مولودا ذكرا ,تهلل وجههم جميعا وتدافعوا نحو غرفتها قبلها الجميع والتفوا حولها كان وجهها شاحبا ومنهكا ,أخذت الممرضة الطفل منها كي ترتاح
سألها سامح : طفل واحد ؟ أين الثمانية الباقية
ضحكت سناء بشدة رغم الألم وقالت له : الثمانية ستنجبهم زوجتك دفعة واحدة
قال : بل سننتظرهم في المرة القادمة ولا تتأخري علينا كثيرا فقد اعتدنا على رؤيتك وانتِ على وشك الانفجار ثم نظر إليها وقال مقلدا صوتها : « يا ماما تعالي» فضحكوا جميعا ,ثم تابع: ماذا قررتم بخصوص اسمه ؟
قال زوج سناء : سنسميه « محمد» .
بقيت صدفة معها في المستشفى على أن يغادروا في الصباح بعد ان يطمأن الطبيب عليها
في المساء سهرت صدفة في حضرة ضيفهم الجديد الذي لم يتعد عمره عدة ساعات ,ظلت تحمله طوال الليل وتكلمه وسناء تضحك

عليها وهي تقول له : انا خالتك ,ردد خلفي : خالتي صدفة
لم تشعر بالوقت وهو يمر حتى الصباح فقد كانت فرحتها بـ محمد
تغلب أي شعور بالتعب أو الملل ...
في الصباح مر سامح وزوجها لاصطحابها من المستشفى قالت
صدفة سنذهب إلى بيتنا كي ترتاح سناء فرد سامح وكي نلعب مع
« محمد» .
أشاع الضيف الصغير جوا من المرح والسرور تتلقفه الأيدي,والتهبت
وجنتاه من كثرة القبل التي حطت عليهما
في المساء كانوا جميعهم ملتفين حول الصغير يتفحصون
أعضاءه,خشية أن يكون هناك عضو ناقص أو زائد
دق هاتف سامح النقال كان المتصل زوج سناء رد عليه وهو يدعوه
أن يأتي لتناول العشاء عندهم إلا ان صوت سامح تغير فجأة كما
تغيرت ملامحه ...
أغلق الهاتف فسأله الجميع عما حدث فقال : لا شيء محمود
أخبرني أنه يشعر ببعض الصداع لأنه لم ينم جيدا ليلة امس ولا
يريد أن يبيت وحده ودعاني ان اذهب للمبيت عنده
وقفت الأم وقالت إذا خذ معك العشاء لك وله ...
قال سامح : سنأكل أي شيء ,من غير المعقول ان اسير بالطعام في
الشارع ...
ردت والدته : ماذا سيحدث إذا حملت العشاء معك ؟
قال: ستلهث خلفي الكلاب والقطط طامعين في قطعة لحم شهي
من صنع يدي والدتي
وانطلق بسرعة نحو الخارج
وبعد خروجه بدقائق أرسل رسالة لصدفة على هاتفها النقال كان
نصها : أدخلي غرفتك وكلميني دون ان ينتبه لك أحد
دخلت صدفة غرفتها واغلقت وراءها الباب واتصلت بأخيها الذي

بادرهـا قائـلا : محمـود حـدث لـه حادثـة وهـو الآن في المستشـفى حالتـه خطـيرة لا تخـبري سـناء فزوجهـا لا يرغـب في اخبارهـا الان
عقـدت الصدمـة لسـانها لم تـرد لم تسـأل كيـف ولا أي مستشـفى ولم تسـأل عـن أي تفاصيـل فقـال سـامح : صـلي وادعـي لـه
أغلقـت الهاتـف وجلسـت مكانهـا لا تسـتطيع الحركـة ولا النطـق ولا التفكـير ...
كتمـت الخـبر لكنهـا لم تسـتطع ان تكتـم قلقهـا ففضلـت أن تقـضي بقيـة الليلـة تدعـو لـه أن يتـم اللـه شـفاؤه عـلى خـير اتصلـت عـدة مـرات بأخيهـا كي تطمـئن إلا انـه يخبرهـا أنـه لا جديـد
وعنـد السـاعة السادسـة صباحـا اتصـل بهـا سـامح وأخبرهـا أن محمـود لفـظ أنفاسـه الأخـيرة منـذ عـشرة دقائـق وان أخـوه لاتـزال حالتـه خطـره حتـى الآن حيـث كانـا سـويا أثنـاء الحـادث
لم تسـمع شـيئا مـما قالـه سـامح ، مـات ؟! لا اسـتطيع ان اصـدق أنـه ذهـب هكـذا بـلا عـودة ، تذكـرت أخـر مـرة زارهـا وكيـف كانـت ابتسـامته تمـلأ سـمائها وهـو يخـرج لهـا الأوراق والأقـلام والعلبـة الصفـراء ويخبرهـا أن بهـا اجـود أنـواع القهـوة ,كـم كان رقيقـا حانيـا حينـما أحـضر لهـا الشـكولاته التـي اكلهـا خالـد ,كان ينتظـر ردهـا عليـه لـو اطلعـت عـلى الغيـب لأخبرتـك بموافقتهـا ، ولـو عـدت الآن للحيـاة لتزوجتـك فـورا ...
تذكـرت ملامحـه وهـو يخبرهـا بأنهـا خُلقـت للكتابـة وليـس للترجمـة ثـم نـبرات صوتـه وهـو يؤكـد عليهـا لا تـتركي أحـدا يقـرر عنـك ، هـل كنـت تتلـو عـلي وصيتـك يـا محمـود ؟ هـل كنـت تعلـم أنهـا آخـر مـرة وأنـه لـن يبقـى منـك غـير أقـلام وأوراق وبضـع مـن حبـات القهـوة
أعـدك يـا محمـود أن أعمـل عـلى وصيتـك وأن أخلـدك في روايتـي حيـث اني لم أسـتطع أن اخلـدك في أيامـي .
مـرت الأيـام ثقيلـة عليهـا بعـد مـوت محمـود وخاصـة بعدمـا عرفـت

سناء التي ما إن سمعت الخبر حتى دخلت في موجة من البكاء الهستيري ، كم كان لطيفا وودودا ,اخرجت من حقيبتها مجموعة ملابس صغيرة لطفلها وأخذت تخبرهم أن محمود هو من أحضرها لها في أخر زيارة له إلى أوربا ,كأنه يعلم أنه لن يرى طفلي فأهداني هذه الملابس مبكرا ثم اتصلت على زوجها وهي تنتحب لتسأله : هل استخرجت شهادة ميلاد لمحمد

فرد : لم يسعفني الوقت فقد انشغلت في حادث محمود ثم وفاته

قالت : فليكن اسمه « محمود « بدلا من « محمد»

قالتها وهي تكاد تختنق بالدموع حتى أن والدتها اخذت منها الهاتف وصاحت فيها أن هذا لا يليق بمن لديها طفل رضيع وكيف ان البكاء والاحزان يؤثران على حليب الطفل

كانت صدفة تنتحب هي الأخرى في غرفتها ,وأربكتهم تسمية الطفل بمحمود بدلا من محمد فقد كانوا كلما أرادوا أن ينادونه تذكروا صاحب الاسم فتخنقهم العبرات ...

عادت سناء إلى بيتها وعاد سامح لعمله وكذلك صدفة عادت لعملها خفض خالد نظره عندما رآها فقد تذكر عندما أكل قطع الشكولاته وقال لها : لقد اكلنا محمود ,كان يمزح وقتها ولم يتخيل أبدا ان يحدث ما حدث ,سأل نفسه عدة مرات هل كانت صدفة ستتزوج منه ولذلك هي حزينة إلى هذه الدرجة ...

غير ان صدفة نفسها لم تكن تعرف سر حزنها الشديد ,ولم تكن قد قررت ابدا أن توافق على محمود ولعل شعورها بالذنب لعدم الموافقة هو السر وراء حزنها الشديد ...

دخلت مكتبها واخرجت الاوراق وأمسكت بأحد الأقلام وبدأت تكتب روايتها « صدفة « كتبت عدة أسطر لكنها لم تتمالك نفسها سقطت دموعها على الورقة فبهت اسمها المكتوب أمامها فقالت لنفسها هكذا أنت الآن من الداخل باهتة شاحبة الألوان

مسلوبة الرغبة لعمل أي شيء وكأن الحياة تسللت من ثقب روحك وتركتك جسدا هامدا

دخل « خالد» فوجدها منهارة فأصر على اصطحابها خارج المكتب، أجلسها بجواره في السيارة لا يرى سوى دمعاتها ولا يسمع سوى صوت نحيبها ، تدفعيني دفعا لاختطافك من هذا العالم الذي يبكيكِ رغم أن كلما ازداد بكاءك كلما ازدادت رغبتي لعناقك ,للمسة منك ,أريد ان أتلمس وجنتيك وأن امسح دموعك المتلألئة بوجنتي ,أتعلمين أني أود الآن تقبيلك كي تتوقفي أنتِ عن البكاء وكي أُبعث أنا من جديد ، إن قلبي ينزف شوقا وألما حينما تكونين بجانبي ,هلا توقفتي عن البكاء ودخلتي في ضلوعي حتى تردي إليها الدفء والهدوء ، هل سيطول انتظاري يا صدفة أم أنك سترأفين بحالي ؟

نزلا من السيارة وتوجها إلى حيث اعتادا أن يجلسا دائما نظر إليها قائلا: هل أطلب لك نصف طن من الدجاج ونصف طن من الأرز أم أنك ستكتفين بالقهوة ؟

ضحكت ودموعها تتناثر حولها

قال: لماذا تبكين هيا تحدثي ألسنا أصدقاء على الأقل حتى الآن

قالت : أشعر بالذنب

قال : لم ؟

لأني لم أرد عليه عندما سألني الزواج منه

قال: هل كنتِ ستوافقين ؟

قالت : لا اعلم ولكني أشعر أني لم استطع اسعاده قبل أن يموت

قال : اذا عليك أن تسارعي لتسعديني قبل أن أموت وتوافقي على طلبي ,ثم وضع يده على قلبه متظاهرا بالموت

ابتسمت وقالت : لا امزح

قال : بل لابد وان تكوني تمزحين ، هل اذا تقدم لك عشرة رجال

فإنك ستوافقين عليهم جميعا حتى لا يموت أحدهم وهو غير راض أو غير سعيد ؟

ثم تابع قائلا : ما هذا الغرور الذي انتابك يا صديقتي من أخبرك ان محمود كان مشغول بك إلى هذا الحد

قالت : ماذا تعني

مارس خالد دوره المعتاد لتهميش كل من حولها في محاولة للانفراد بقلبها فتابع قائلا: ما علمته منك أن محمود رجل أعمل ناجح وغالبا ما يكون هؤلاء الأشخاص عمليون لا يعنون بالمشاعر كما تعنين أنتِ بها ، لقد أرادك زوجة لأنه وجد فيك ما يناسبه ويناسب أحلامه ولرؤيته لتحقيق أهدافه وليس لأنه عاشق متيم ثم ابتسم وقال « مثلي» واذا رفضته ما كان لينتحر كان ليبحث عن شريكة حياته في مكان آخر وفي شخص آخر غيرك

هدأت وهي تستمع إليه وتوقفت عن البكاء وانتبهت لحديثه بكل اهتمام ,يعرف دائما كيف يخرجها من أحزانها وآلمها رغم أنه غالبا ما يكون يمهد بحديثه الطريق لنفسه إلا أنه دائما ينجح معها وفي اقناعها ...

قالت: لكني سأكتب الرواية التي طلب مني كتابتها

قال : وأنا سأطبعها وأنشرها ثم أردف قائلا : ها هل أطلب النصف طن من الدجاج الآن ؟

ابتسمت وشكرته أوصلها إلى منزلها هادئة إلى حد ما لكنها « ضائعة»

دق هاتفها للمرة الخامسة خلال الساعات القليلة القادمة وفي كل مرة يكون المتصل « سعد» وفي كل مرة لا ترد

لا تريد ان ترد عليه .

انهمكت صدفة في الترجمة ونسيت تماما أمر الرواية التي طلب منها محمود كتابتها قبل موته بأيام

انشغلت مع سامح وخطيبته في الاستعداد للزفاف وتجهيز «شقة الزوجية « وقد اخبرهم انه اتفق مع خطيبته على ان يكون الزفاف عائلي حتى يتمكنا من السفر لأطول فترة ممكنة بعد العرس
اعترضت والدته فأقنعها بأن ما سندفعه للناس في الحفل كي يستمتعوا سندفعه لأنفسنا كي نستمتع فوافقت على مضض
همس لها سامح : متى سنفرح بك ؟ كل يوم ترفضين عريسا وأخشى يا أختي أن تظلي في وجهي بقية العمر أريد ان ارتاح منك
قالت مازحة : وهل يرضيك أن نترك والدينا بمفردهما
نادى بأعلى صوته : يا بابا يا ماما إن صدفة لا تريد الزواج بسببكما ...
أخذت تكتم فمه بكفها وهي تقفز لأعلى حتى تكون على طول مناسب لطوله ...
فقالت والدتها : سأغضب عليكِ إذا استمر رفضك لكل من يتقدم لخطبتك وأخشى أن أموت وأنا على هذه الحالة
قال : والدها أنا لن أستطيع ان أغضب منك أبدا لكني حزين,قالها بصوت تخنقه العبرات كاد أن يمزق قلبها بكلماته ,اقتربت منه فرأت الدموع تترقق في عينيه ,فجلست بجواره صامتة
فتابع بنفس الصوت قائلا : إن «عماد « ابن الاستاذ « عبد الجليل» زميلي في العمل طلبك مني ,إنه محاسب في شركة استثمارية كبرى كما أن والده يملك عقارات وأراضي زراعية ورثها عن أبيه ولديه عمارة كاملة على بعد ربع ساعة من منزلنا ,أخبرني ان الشقة التي ستختارينها ستكون ملك لك ,ابتلع ريقه ثم أكمل لقد احترمت حزنك على محمود رغم أنك لم تخبرينا أبدا انك وافقت عليه وتركت الأمر معلق حتى الانتهاء من دراستك
كانت « صدفة» تسمع في صمت ونبرات والدها تمزقها فلم تسمعه أبدا يتكلم بهذا الشكل

تابع والدها : لا أريد ان أضغط عليكِ ولكني أريد ان اطمئن عليك قبل أن أموت وما إن سمعته والدتها يتحدث بهذه الكلمات حتى انفجرت باكية وهي تدعو الله له بالصحة والعافية وتتمتم بكلمات فهموا منها انهم لا زالوا في حاجة إليه وعليه ان يزوج اختهم الصغيرة أيضا ,نظرت إليها الابنة الصغرى وقالت : لم اعد صغيرة يا عالم اكملت الثالثة عشر من عمري وأوشكت على أن اتزوج أنا الأخرى ...

ضحكوا جميعا عليها وتذكرت صدفة حينما أرسلتها بالرسالة لسعد كانت لم تتجاوز حينها الست سنوات تقريبا .

انهمكت معهم في التحضير للزفاف ، لم يفاتحها والدها في أمر ابن صديقه مره اخرى حتى انتهى الزفاف وسافر سامح وعروسته لقضاء شهر العسل ...

خلال هذه المدة كانت تذهب للمكتب تلتقي بخالد على عجالة ولا ترد أبدا على مكالمات سعد

في المساء جلس والدها بجوارها وسألها : ما رأيك ؟

قالت : في أي شيء ؟

قال : في عماد

قالت في نفسها : عماد ؟ هل تعلم يا أبي أني ممزقة بين سعد وخالد وكأنما بُعث سعد من جديد في طريقي لتزداد حيرتي

ثم قالت : هل من الممكن ان تتركني أسبوعا واحدا لا غير ,أريد ان أفكر جيدا ؟

قال : لك ما طلبت لكن أسبوع واحد فقط ...

قبلته ودخلت غرفتها أغلقت بابها وفتحت النافذة ثم تذكرت خالد فدخلت ولفت رأسها بحجابها وعادت إلى شرفتها مرة أخرى وكانت قد اتخذت قرارا ألا تذهب للمكتب طوال الأسبوع حتى تفكر بهدوء بعيدا عن تأثير خالد عليها

كما أنها أيضا لا تريد ان ترد على مكالمات « سعد» فهي تعرف جيدا ان كل مقاومتها قد تنهار لمجرد سماع صوته لا تريد أن تضعف أمامه ,عليها أن تفكر وهي قوية

فتحت هاتفها وأرسلت لخالد رسالة قالت فيها : استأذنك في اجازة لمدة أسبوع

رد سريعا مما أكد لها انه يقف في شرفته ايضا قال : لم ؟ هل ستتزوجين ؟

ردت مازحة : نعم سأتزوج

اتصل بها فور وصول الرسالة : هل ستتزوجين فعلا؟

ردت وهي تكسب صوتها نبرة الجد : نعم

قال: ستتزوجين ياصدفة بغيري ؟ بغيريبا صدفة ؟ لم ؟ تكلمي وأخبريني الآن

ضحكت صدفة وقالت: سأتزوج يوما ما أما الآن فقد كنت امازحك

قال: هل اخبرك أحد انك سخيفة وصاحبة ظل ثقيل قبل الآن ؟

قالت : لا أنت اول من يخبرني بهذا الشأن

رد عليها : لم الاجازة ؟

أجابت : احتاج بعض الراحة بعد تعبي في زواج سامح

قال: لعلي ألحق به قريبا ,ثم تابع قائلا : وافقنا على الاجازة

تمنت له ليلة سعيدة وأغلقت الهاتف وأغلقت النافذة أيضا وضعت رأسها على الوسادة واستغرقت في نوم عميق كأنها لم تنم منذ شهور ...

قامت في وقت متأخر من صباح اليوم التالي فانضمت لوالدتها في المطبخ ,أعدت لنفسها كوبا من الشاي بالحليب وشطيرة جبن تناولتها في صمت ثم عاونت أمها قليلا في إعداد الغذاء واستأذنتها ان تذهب لسناء وتتناول الغذاء معها وكانت تريد أن تغير من جوها العام حتى تُفكر بشكل أفضل ، سمحت لها والدتها في الذهاب .

وجدت سناء تقرأ كتابا عن خصائص الأطفال من الرضاعة وحتى ست سنوات ,حملت محمود بين ذراعيها وأخذت في تقبيله حتى أن سناء قالت لها : ستلتهب وجنتاه يكفي
ضحكت وقالت: لا اشبع من تقبيله أبدا
ردت : هيا وافقي على عماد او على غيره لنحمل نحن أيضا أبنائك ,فلماذا أنا لا يوجد من سيقول لي يا خالتي
اجابت : سيقول أبناء سامح لك يا عمتي
قالت سناء : كما أني انجبت طفلا يقول لك يا خالتي فأنت مدانة لي بطفل يقول لي يا خالتي
ردت : هيا لنعد الغذاء أم أعود إلى أمي كي تطعمني بدلا من ابنتها البخيلة ...
تناولت غذائها مع اختها وجلست حتى وقت متأخر من الليل وكأنها لا تريد أن تعود إلى غرفتها وإلى أفكارها ,تركت هاتفها في البيت ولم تحمله معها كانت تريد أن تتخفف من كل شيء حتى تلك المكالمة التي لا يرد عليها احد والتي يُصر صاحبها على مواصلة الاتصال بها ...
دعتها سناء للمبيت عندها فرفضت ,اوصلها زوج اختها للبيت ، وجدت والديها لازالوا مستيقظين حكت لهم عن سناء وطمأنتهم عليها وعلى محمود الصغير وتمنت لهم ليلة سعيدة وأسرعت داخل غرفتها تختبئ بها قبل أن يسألها أحد رأيها في عريس آخر فتحت نافذتها وهي بكامل ملابسها ووقفت تنظر للمدى البعيد ثم تحولت بعينيها إلى سلك الهاتف المتدلي من أعلى البناية روادها الحنين وشعرت برغبة مجنونة تجتاحها في أن تخرج هاتفها الصغير من بين أغراضها في الخزانة وأن تصل الأسلاك ببعضها لتتحدث إليه أغلقت غرفتها بالمفتاح وأخرجت الهاتف ,كانت تعلم أن خالدا يراها لكنها لم تعبأ به ,جذبت السلك إليها وتحسست الجزء الذي

قامت بقصه قديما لازال على حاله ,لامست الأسلاك ببعضها فأضاء الهاتف معلنا عن عودة روحه إليه وبأنامل مرتجفة بدأت تضغط أرقاما تحفظها جيدا وقبل أن تدق الرقم الأخير وضعت السماعة ، كاد قلبها أن ينخلع منها ,فصلت الأسلاك سريعا وأعادت «سلك المحامي» كما كان

صرخت هامسة لنفسها : علي أن أتخلص منك و من كل ما يذكرني بك ، ضمت ساقيها إلى صدرها وهي تبكي كيف اقتلعك من داخلي ؟علي أن أتحرر منك ، على أن أسحق ملامحك التي تتجسد أمامي في كل فضاء وتحتل جميع الوجوه

إلا ان صوتا داخلها استيقظ فجأة قائلا : لا تقسٍ عليه فأنت تعلمين كم يحبك وأنتِ لن تعشقِ سواه ما حييتِ فمن تعاندين ؟

أتزوج ملحدا ؟ أجابت على تساؤلها أيضا تعلمين كم تغيرت افكاره بعد الذي مر به مع زوجته ردت ولكنه لم يعلن توبته كما أني لن اتزوج هارب ضعيف ، لم يبذل من اجلي شيئا ، تركني وتزوج بأخرى ساخرا مني ومن أفكاري ...

من يهرب مني الان قد يهرب مني غدا ، وهل سأقضي ما بقي من عمري ألاحقه ؟ كم انت قاسية يا صدفة لم يعشق سواك وترك زوجته من أجلك ، لا لم يترك زوجته من أجلي ولو أنها وافقت على انجاب الطفل لما عاد إلي كان سيستمر معها وشبح ابنة خالتها يلوح في وجهه من وقت لآخر ، لن أتزوج من شخص هرب حتى من التكاليف الشرعية التي لم يستطع القيام بها بحجة الالحاد ، لن أتزوجه ,سأبقى أحبه ما حييت ,وسيبقى داخلي ما حييت ,وسيراه كل من ينبش ذاكرتي متلألئا في عيني ، سأسمعه إذا همس لي « أحبك» ستحمر وجنتي خجلا وانا أمنع نفسي من ان اهمس له أيضا ، سيظل داخلي أحمله كطفل لا يولد أبدا ,سأرى في عينيه سنوات طفولتي ومراهقتي وسألمح طيف شبابي في

ايامه المنصرمة ,سأحارب نفسي حتى أبقيه دوما في صحبتي إلا أن لا أتزوج «هارب»
اتخذت قرارها وقالت في الصباح سأخبرك بردي يا أبي
دق الهاتف معلنا وصول رسالة من خالد « أحيك على قوتك استمري»
ابتسمت وحدثت نفسها : لازلت خلفي ومعي وبجانبي من أي سماء هبطت علي يا خالد ، لم ترد عليه واتجهت نحو فراشها ونامت حتى تستعد للغد ...
في الصباح ساعدت والدتها في ترتيب المنزل واعداد الطعام وصنعت كعكة بالشكولاتة دعت سناء لأن تتناولها معهم
وفي المساء جلست بجوار أبيها وقالت : لقد فكرت
خفضت رأسها نحو الأرض وانخفض صوتها تلقائيا وهي تتابع:أبلغ صديقك أني موافقة مبدئيا على أن أجلس معه قبل أي شيء
كانت تنطق بكلماتها وهي تتمزق وكأن كل حرف خنجر طعنها في صدرها ألف مرة ,وكأن حلقها أصبح محشوا بالحجارة وعقلها يكاد يُجن ، وألف سؤال وسؤال يدور في رأسها
ماهذا الذي فعلته أيتها الحمقاء؟ إن كنتِ قررتِ تنحية سعد من حياتك فلماذا ترفضين خالد ؟ ما الذي جناه لكي تقسي عليه كل هذه القسوة؟ كيف ستلتقي عيونكما بعد الآن ؟ كيف ستعملين معه في مكان واحد ؟ ألهذا الحد قاسية انت ؟
قبل والدها رأسها وضمها بعطف إلى صدره شعرت بأن بركانا من الدموع اوشك على الانفجار فقامت مسرعة إلى غرفتها,أغلقتها واخذت تبكي نفس البكاء الذي نعت به محمود كما لو كانت تنعي نفسها وتشيع جنازتها الآن بهذا القرار
ثم صرخت : ممن تنتقمين يا صدفة
جاء صوتها مكسور وهي تجيب : انتقم من نفسي التي ورطتها

وهـي لازالـت تلهـو في سنواتها الأولى في حـب لا طائـل منـه ,كان عـلي ان ابتعـد عنـه ,كان عـلي ألا أهتـم لشـأنه ولا ان ارسـل تلـك الرسـالة الحمقـاء التـي لم تـرده لدينـه وكذلـك لم تـرد إلي قلبـي مـن يومهـا ,مـا الـذي جنيتـه غـير العزلـة والحـزن والألم ,ثـم في النهايـة تركنـي وتـزوج بأخـرى كـما لـو كنـت لا أعنـي لـه أي شيء ,استمر صوتها موبخـا : لماذا تحصريـن مأسـاتك في سـعد لماذا ترفضيـن يد خالـد الممـدودة بكل حب نحـوك ، أخـشى مـن أن افقـده ، أخـشى ان يغضـب منـي يومـا فيذكـرني بالمـاضي ، أخـشى أن يَمُـن عـلي يومـا بمـا قدمـه لي ، أخـاف ان اقـصر في شيء فيتهمنـي ان راسي مشـغول بغـيره ، لا اريـد أن أكرهـه ,أريـده بجـواري بقيـة عمـري ,لقـد أصبحـت اخـشى الفقـد, يكفـي اني فقـدت سـعدا ومحمـود للأبـد هـل تريديـن أن أفقـد خالـد ايضـا أنـه كل مـا تبقـى لي ، أريـد أن أجـري نحـوه لأخـبره بمـا يسـعدني وأخـر أخبـاري وأن ألهـث إليـه عندمـا يحزننـي شيء مـا ، سـأحافظ عليـه بجـواري ، لـن يقبـل ,سـيغضب سـيثور ، سـيبتعد عنـك ، لـن أتركـه يفعـل شـيئا مـن ذلـك سـأرغمه عـلى البقـاء جـواري ,سأتوسـل إليـه واسـتحلفه باللـه ألا يتركنـي وألا يرحـل بعيـدا عنـي وأني سـأظل أوفى صديقـة لـه مـا حييـت ,سأشـاركه أ حزانـه قبـل أفراحـه .

اذا عليـك ان تسـتعدي لمواجهتـه بالخـبر ، غـدا سـأذهب إليـه وأخـبره بـكل شيء .

****

الفصل الختامي

بعدما أخبرت « صدفة» والدها بأنها موافقة مبدئيا على الزواج من « عماد» على أن تتحدث معه أولا ,احتضنها والدها وقبل رأسها ,كان يعلم ان قلبها الصغير ليس هادئا وأن أمواجه العميقة كادت أن تبتلع بهجتها لسنوات ، كان يُدرك تماما الإدراك أن ثمة صراع تخوضه ولكن ثقته فيها جعلته يكتفي بمراقبتها من بعيد, كان يعتقد أن تلك المعارك النفسية اليومية هي أداة الصقل والتمييز وأن روحها التي ترفرف داخلها ستعرف يوما طريقها للحرية وأن مرآة قلبها ستغدو أصفى وأنقى مما يجعلها ترى انعكاس الناس فيها بوضوح تام

بعد عدة أيام زارهم « عماد» في منزلهم كان شخصا مقبولا متوسطا فيطوله ولونه ووزنه حتى افكاره ، باختصار شديد هو رجل «متوسط» في كل شيء ,كان مثل هؤلاء الأشخاص الذين تقابلهم عشرات المرات ولا يتركون لديك انطباعا بشيء ما ، كما كان متوسط الحماسة أيضا فلا يمكنك أن تطير معه من الفرحة ولا أن تغرق معه في بحر الأحزان ، بعيدا كل البعد عن لحظات الجنون واجتياحات المشاعر ، أدركت « صدفة» سريعا كيف سيكون شكل حياتها ولكنها أدركت أيضا ان الحياة لا تسير وفق ما يرسم خيالها وأن جنون العاشقين ككتلة «ثلج» وضعتها الأقدار أعلا فوهة بركان يغلي ، وأن اجتياحات المشاعر هي كرة « نار» يُلقي بها الواقع في بحر جليد .

تذكرت وهي تنظر إليه عينا «سعد» ونظراته الساكنة في أحداقها وصوته الكامن في ثنايا صوتها ,تذكرت الطاولة التي كانت تجلس تحتها بالساعات تضحك وتتكلم وتغني ، بدت أكثر اتساعا حينها

من بيداء مترامية الأطراف ,تذكرت أيضا كيف أخذها سلك الهاتف لعالم أسطوري فاسكنها بين احضان السماء وكيف تحولت عينا « سعد « لغيمة تحميها وتلفها ,سمعت صوت أنفاسه تقتحم الغرفة تلهث حولها وتحاول أن تمنعها مما هي مقدمة عليه إلا انها استمرت كأنها لا تشعر بروحه النافرة بينهم ذهابا وإيابا ، عليها أن تستمر ,عليها أن تؤدي دور البطلة حتى النهاية وأن تختار بعقلها ومنطق الجميع .

قضت «صدفة» فترة خطوبتها بعماد كاملة في اقناع « خالد» بأن هذا هو التصرف الصحيح وأنها لا يمكنها أن تتنازل عنه أبدا ولا أن تترك الدنيا والظروف تسحبه بعيدا عنها فقد كان هو الشيء الوحيد الباقي من زمنها الجميل وعالمها الوهمي الذي كانت تعشقه ...

لا يمكنها بحال أن تبتعد عن خالد فمجرد رؤيته أمامها تُشعرها بالأمان وأنها ليست وحدها في هذا العالم القاسي المتوحش ، كان هو وحده يعني لها بقية من ذكرى ففي عينيه تلمح طيف حبها الوحيد وفي صوته تسمع نبرة عتاب تذكرها بجنونها الذي أرداها في قاع الواقع مكسورة ممزقة .

لن تسمح لمصباح طريقه الذي يُوقد من فرط احساسه أن ينطفيء أبدا في عينيها ، تريده بقوة أن يبقى إلى جوارها لبقية عمرها

غضب « خالد»غضبا شديدا ,ثار وانفعل حد البكاء وهو يمسك بكفيها إلا أنه في النهاية كان لا يملك قسوة «سعد» فقلبه الرقراق ومشاعره المنسابة كشلالات تغمرها تأبى أن تغادرها ,ما كان له أبدا ان يبتعد عنها وكيف يمكنه ذلك ؟ فهو يعلم ضعفها وبراءتها وكيف قضت حياتها بين الكلمات والخيال ,لمن يتركها إذا؟

حتى إذا اتخذت قرارا غبيا « كما وصفه» إلا أنه لا يستطيع أن يفارقها ولا أن يمنع يده من ان تمسح دموعها ولا ان تربت على

كتفها ، إنه هنا لها وسيظل كذلك وستظل هي دوما في احتياجه,اه يا شبيهة « أمي» يامن تحملين ملامحها وتحتفظين بقلب ابنها ولكنك اخترت طريقا يخالف طريقهما .
عادت لخالد بسمته ودعاباته رويدا رويدا فقد كانت صدفة لا تفارقه ,يوميا معه في «المكتب» وعلى الهاتف ,جمعهما حب ما يفعلانه وتاريخ من الذكريات والحكايات واكواب من القهوة لازالت تدور بينهم حتى الآن .

بعد الزواج حاولت «صدفة» أن تأخذ زوجها لعالمها إلا انه «أبى» أن يذهب معها وفضل البقاء في عالمه ,كان الزواج يعني له بيت وأطفال واستقرار ليس إلا توقعت صدفة انه لا يعلم أن الحياة بها أمور مختلفة غير هؤلاء الثلاث وان ثمة أمور قد تنقلهما من مجرد زوجين إلى عاشقين هائمين لكنه كان « متوسط» في كل شيء والتوسط لا يناسبه الجنون والجنون هو الذي يقود للعشق لذا فإنه بقي على حالته الوسطى وهي تخلت عن فكرة دعوته لعالمها واكتفت أن تعيش جنونها وخيالها عبر الحروف والسطور والكلمات إلا أنه رغم حالة الوسطية التي كان يعيشها لم يتوقف لحظة عن دعمها كي تصبح على ما هي عليه الآن ,لم يبخل بماله ووقته وجهده في سبيل أن تحقق ما تحلم به وكأنه يُخبرها بأنه لا يُجيد اكثر من ذلك فاكتفت هي أيضا بذلك .
استمرت حياتها وانجبت أطفالا رائعين يحملون نفس ملامحها وجنونها ولمحة ذكائها ,ترعى أبناءها وتعمل في مكتب الترجمة الذي توسع في حجمه وأعماله فانتقلوا إلى مبنى كبير مكون من عدة طوابق إلا ان غرفتها بقية بجوار غرفة خالد الذي تزوج بعدما يأس من أن تكون له وأنجب ولدين رائعين أيضا .
أما « سعد» فقد انقطعت أخباره عنها تماما بعدما علم بزواجها

وأخبرها سامح ذات يوم انه سافر وانضم لا خوته خارج مصر,كادت تقول لأخيها أنها شعرت بغيابه وأن الهواء المحيط بها أصبح باردا اكثر وأن نسمة الحر التي كانت تنبعث من صدره فتلفح وجهها اختفت ,لكنها بقيت تسمع صوته عند منتصف الليل يهمس لها « احبك» لا زال محافظا عليها كما لو كانت من طقوس يومه ,غير انه من عامين ونصف العام وصلتها رسالة عبر موقع التواصل الاجتماعي «فيس بوك» تبدأ بـــ «صغيرتي» بسرعة تفحصت اسم المرسل فوجدت اسمه باللغة الانجليزية غير انه كتبه بشكل لا يعرفه غيرها فقط هكذا اعتادا دوما أن يكتباه كان نص الرسالة كما جاءت

«صغيرتي»

وهل امتلك اسما آخرا أناديكِ به بعدما سلبتِ مني كل ما أملكه وتركتني في هذه الدنيا عريان الروح شريدا لا وطن لي ولا أهل ، أعلم جيدا أني أستحق المآل الذي وصلتُ إليه لكني كنت أطمع في رحمة الأم وعطف العاشقة ومغفرة الصبية التي لم تتجاوز الرابعة عشر من عمرها حين التقيتها ذات يوم تحت طاولة صغيرة كانت أوسع لنا من تلك المساحة الفاصلة بيننا الآن ...

صغيرتي التي لازلت أرى عينيها وهي تلتهم عيناي شوقا وعشقا مكتفية بها عن جميع من حولها ورغم أني لم أبادلك الوفاء بالوفاء حينها فها أنا أُعلمك الآن أن الأدوار تبدلت فصرتُ أنا الذي أحلم بعيناك وألتهمها بعيني شوقا وحبا وأني أعيش الآن مكتف بك تماما مأسور في عالمك وسعيد بذلك العالم الخيالي احتضنك فيه كما يحلو لي أعبث بوجنتيك والثم شفتيك فلا يمنعني أحدٌ ولا حتى حمرة الخجل التي كانت تحول بيني وبين أن أعبر لك عما يدور داخلي ,فأنت الآن لي وحدي رغم أنك لست لي ...

ورغم أني أعانقك في البعد إلا أني أتوق للمسة منك ترتجف على

إثرهـا أوصـالي ,ويهتـز لهـا كيـاني ,كـما أني بحاجـة لرؤيتـك ولأن اطيـل النظـر في اشراقـة عينيـك كي تعـود الألـوان إلى عالمـي الـذي غـدا باهتـا كئيبـا ، إني سـئمت مـن اسـتحضارك كل ليلـة كطيـف ينفـذ مـن جلـدي ليختـرق لحمـي وعظمـي ويسـتقر في أعمـق حفـرة داخـلي ,مللـت مـن أن ألمـس روحـك فقـط ,إن رائحـة الحنـين تغلـب عـلي ,فـكل مـن حـولي يشـمونك عـلى ملابـسي وبـين ثنايـا جلـدي كحبـات مـن عـرق الشـوق «صغيرتي»

لا أريد أن أنبش في ذاكرتك أكثر من ذلك فقط أردت أن أخبرك عني ، فأنا يا مدللتي قد عدتُ من فترة قليلة من أداء فريضة « الحج»

أدري كـم الفرحـة التـي سـتنتابك وأن حبـات اللؤلـؤ ستتسـاقط الآن مـن عينيـك الجميلتـين ,فلتهنئـي يـا أمـي وابنتـي وصديقتـي أني أصبحـت مؤمنـا باللـه وان الفضـل يعـود لـك بعـد اللـه تعـالى ، نعـم أنـتِ يـا ملهمتـي واسـتاذتي يـا مـن وضعـت قدمـي عـلى طريـق الهدايـة حينـما وبختنـي بـكل قـوة وقلـت « أي رأس هـذا الـذي تحملـه في رأسـك يـا سـعد» عندمـا سـألتني هـل يُسـعدك أن تـرى العيـون المتلصصـة السـارقة تنهـش جسـد زوجتـك ؟ لقـد كنـتِ أول مـن نبهنـي أن الفطـرة تصطـدم مـع مـا أدعيـه ,كنـت أعمـى لا أرى إلا عنـادي وجهـلي ,وعندما أبـصرتُ غاليتـي لم تكـوني بجـواري .

إن في قـربي مـن اللـه عوضـا عـن بعـدي عنـك ,وأنـسي بـه ينسـيني شـوقي المتدافـع نحـوك بجنـون ,ولـولا لقاءنـا الأخـير وكلماتـك لي بـأن إلحادنـا هـو للهـروب مـن التكاليـف والعجـز عـن أدائهـا كـما أنـه مـبررا جيـد للانحـراف عـن الحـق والفطـرة أحيانـا ،,لذلـك غـادرت تلـك الـروح الحائـرة وغـادرت أيضـا أمـاني ومـن ثـم رحلـت عـن أوطـاني . كـما أردت أيضـا أن أخـبرك أمـر هامـا ,اني لم أتـزوج ثانيـة لأن روحـك

التي تحتلني ترفض بشدة أن تترك أرضها بداخلي لأخرى ,وأني سعيد بذلك ...

وأخيرا ...

فلتتكرمي وترسلي لي قليلا من عبقك على هيئة سطور أحتضنها وأنا أطمئن من خلالها عليك ,فأنا الذي عاش عمره كله يمل من مجرد رؤية الحروف اليوم أصبحت قارئا نهما لكل كتاب موقع أدناه ترجمة « صدفة»

«سعد»

كان هذا نص الرسالة التي أرسلها سعد لصدفة عبر حسابها الشخصي فيس بوك ...

قرأتها مئات المرات وفي كل مرة تبكي وكأنها تقرأها لأول مرة ,جاءتها هذه الرسالة لتخبرها بأن ثمة حياة كانت تحلم بأن تحياها يوما ما ولكنها لم تجد أمامها إلا أن تدفن كل أحلامها في نفس الحفرة التي كانت تنبعث منها أشواقها وأن تردم عليها بتراب الذكريات ثم وجدت نفسها تكتب .....

لست ادري إن كان من الصواب أن أكتب لك ولا أعلم هل من اللائق أن أخبرك بأني أشتاقك!

فليسامحني الجميع وليمنحوني تلك اللحظات كي أنسلخ فيها من كل المسميات التي من شأنها أن تحول بيني وبين ان اهمس لك لمرة واحدة على الأقل « اتذكرك بكل تفاصيلك» أتذكر وجهك هناك في بيت جدي وتحت تلك الشجرة وأنت تعانق السماء بنظرات عينيك الضائعة ,أتذكر صوتك وأنفاسك التي لم يحرقني سواها ولم يعصف بي غيرها ,لم أنس حينما كنت تهمس باسمي فتبعثرني ثم تلملمني لم أستطع أن أحدد حتى الآن ماذا كان يفعل صوتك بي ,أكان ينثرني كذرات في الفضاء أم كان يجمعني ويعجنني بماء الشوق ,أنه الصوت الوحيد القادر على بعثي من جديد ...

فليغفر لي الله وليغفر لي الجميع ضعفي ,فأنا لسنوات أبني أكواما من الثلج فوق ركام الحنين حتى نبشته الآن بهذه الكلمات
أخبرك عن أيامي فهي باردة كبرودة تلال من جليد لم تسطع عليه الشمس لحظة ,فارغة قدر المسافة بيني وبينك, لم يملأها أحد .
أما عن « روحي» فهي مسكونة بك ،,لم تفقدك للحظة ,تفي بوعودك ، تسمعك كل ليلة وأنت تهمس فتهمس بسرعة لعلك تسمعها فيلتئم جرحي وعمري معا ...
أما عن عيني فهي كما هي لا ترى غيرك ولن ترى سواك وأذني عجزت ان تسمع صوتا غير صوتك ...
أما عن ذكرياتي فحتى الآن لازلت أتذكر سؤالك جيدا : لم أحببتني كل هذا الحب يا صدفة ؟
والحقيقة اني وبعد كل هذه السنوات فشلت في الحصول على إجابة محددة ولا أخفيك سرا أني وبخت نفسي كثيرا وعنفتها بشدة وأنا أسألها : لم كل هذا الحب ؟ ولم كل العذاب الذي تعيشينه في فقده ؟ إلا اني لم احصل بعد على الاجابة ...
قد يكون ما حدث بيننا كان بداية تهور انفعالاتي وأحاسيسي ولحظات جنون لم أستشعر بها وهي تحملني إليك رويدا رويدا حتى صرت جزءا من تكوينك لعلي رأيتك فارسي وأنا لازلت أداعب طفولتي بضفيرتي ولكن ماذا عنك ؟ ما الذي دفعك نحوي ؟ ومهما يكن جوابك فلن يتغير شيء من واقعنا الآن ,فلن تستطيع قوات العالم مستغيثة بسحابات السماء وجبال الأرض أن تقتلعك من داخلي ،،,فات الآوان ...
وأخيرا أخبرك عني ...
أنا زوجة وام لثلاث أطفال رائعين ولازلت اعمل في مكتب الترجمة مع « خالد» وأكتب من وقت لآخر بضع القصص القصيرة كما اني ....لازلت على عهدي .

إلا انها قبل ان تضغط إرسال ,تراجعت وحذفت كل الحروف التي كتبتها بدموعها كانت الحروف تتأكل أمامها سريعة وهي لازلت تضغط على زر الحذف ، إن الحروف تختفي كما اختفت حياتها تلك وكما اختفت احلامها حتى أصبحت المساحة أمامها بيضاء فبدات تكتب من جديد ...

أنا بخير واحمد الله ان ردك إلى دينك ردا جميلا فقد كانت دعوتي التي احتفظت بها لنفسي أدعو بها الله ليلا ونهارا ...

كما أني اصبحت أما لثلاث أطفال رائعين ولا زلت اعمل في مكتب الترجمة مع خالد كما أن لي بعض التجارب الشعرية والنصوص الأدبية ...

في انتظار رسائلك دوما كي أطمئن عليك

ثم ضغطت زر « ارسال»

****

انتبهت صدفة أن كوب القهوة أصبح باردا جدا وانها ظلت كل هذه الفترة تستعيد ذكرياتها ، من وقت لآخر تشعر بغصة الحنين والشوق لأيام الماضي لكنها اعترفت لنفسها أن الحياة لا تستقيم بلحظات الجنون وحدها حتى وان كنا في حاجة ماسة إليه من وقت لآخر وان الواقع يبني بيوتا غير تلك التي يبنيها الخيال وأن عليها ان تقبل في النهاية ان يكون فارسها متوسط في كل أموره حتى وإن أدى ذلك لبرودة اطرافها واندثار قلبها تحت شظايا « متطلبات الحياة»

وفجآة خطرت لها فكرة

فتحت الحاسوب امامها وبحثت عن ملف قديم جدا كتبت فيه بضعة أسطر من عدة سنوات فتحت الملف وقرأت العنوان «رواية صدفة» ثم قالت لنفسها آن الآوان كي أنفذ وصية « محمود»